نِداءاتُ الرّحمنِ

لِأهْلِ الإيمانِ

تأليف

أبو بكر جابر الجزائري

الواعظ بالمسجد النبوي الشريف



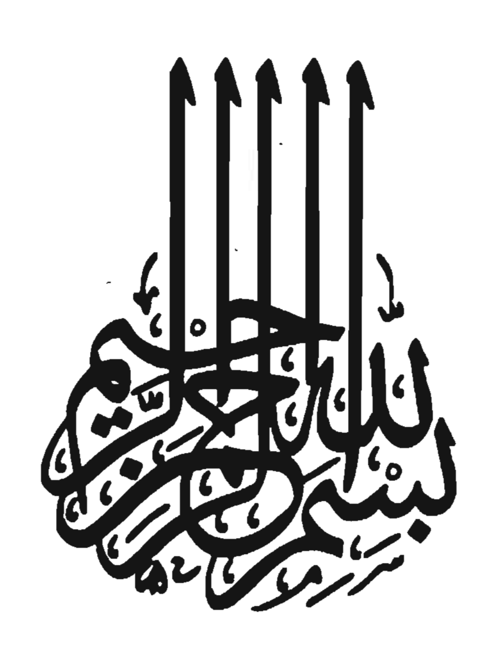
١٤٢٣هـ - 2002 م

ISBN 9953 - 400-04-0

الناشر

مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة

ص. ب. ٦٨٨ - هاتف ٨٤٧٣١٤٨ -


بسم الله الرحمن الرحيم

إهـداء

باسم الله والحمد لله، أهدي
هذا الكتاب لروح باني دولة القرآن
عبد العزيز بن عبد الرحمن ولكافة
أفراد أسرته: ذكوراً وإناثاً، أحياءً
وأمواتاً، اعترافاً بالجميل، وتخليداً
لذكرى الصالحين من المؤمنين،
وسلام على المرسلين
والحمد لله رب العالمين

المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدّمة الكتاب

الحمد لله البر الرحيم، ذي الإنعام والإفضال على عباده المؤمنين به وبلقائه القانتين له، المستجيبين لندائه، والصلاة والسلام على رسوله الرؤوف بالمؤمنين الرحيم، وعلى آله الطاهرين، وصحابته أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد،

فهذه نداءات الرّحمن لعباده المؤمنين البالغة تسعين نداءً، حواها كتابه القرآن الكريم، قد يسّر الله تعالى لي جمعها في هذا المؤلف الصغير كما يسر لي شرحها، وبيان ما تحتويه من علم وهداية لعباده المؤمنين المتقين، هذا وليعلم القارئ الكريم والمستمع المستفيد أن هذه النداءات التسعين قد اشتملت على ما يهم المسلم في أمور دينه ودنياه، وما يجب أن يعلمه ويعمل به ليكمل ويسعد في دنياه ويفلح في آخرته، وذلك بالنجاة من النار ودخول الجنة دار الأبرار؛ إذ هذه النداءات الرحمانية بينت العقيدة السلفية المُنجّية، والعبادات الدينية المزكية للنفس البشرية، كما بينت الأخلاق الإسلامية الفاضلة، والآداب الشرعية السامية، والمعاملات النافعة للانتفاع بها، والضارة لاجتنابها، كما بينت الأحكام الخاصة والعامة وذلك في الأموال والدماء والحدود، وفي الجهاد، والمعاهدات في الحرب والسلم.

وقد ابتُدِئَتْ تلك النداءات الرحمانية الإيمانية بالأدب الرفيع الذي بدونه يهبط الإنسان إلى مستوى الحيوان، وختمت بالتوبة النصوح المنجية من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

وسنعرض تلك النداءات، الأول فالأول، كما هي في كتاب الله الحكيم، مصحوبة برقم الآية واسم السورة وعنوان هدايتها التي أناطها بها مُنزّلها العليم الحكيم، الله جل جلاله، وعظم سلطانه.

وأخيراً أهيب بكل مؤمن ومؤمنة أن يقرأ هذه النداءات أو يستمع إليها؛ فإنها

منقذة بإذن الله تعالى من الجهل، ورافعة إلى أعلى درجات العلم، والله تعالى أسأل لي ولهما عافيته ومغفرته ورحمته ورضوانه.

وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين

المؤلف

أبو بكر جابر الجزائري
المدرّس بالمسجد النبوي الشريف
بالمدينة النبوية

في ٢١/٧/١٤١٤هـ

النداء الأول

في الأدب مع رسولُ الله ﷺ

الآية (١٠٤) من سورة البقرة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٠٤﴾.

الشــــرح:

هذا نداء الله تعالى لعباده المؤمنين، ناداهم بعنوان الإيمان؛ لأن المؤمن حي بإيمانه، يسمع ويعقل ويقدر على الفعل والترك بخلاف الكافر، فإنه لا يسمع ولا يعقل ولا يفعل إن أُمر، ولا يترك إن نُهي، واعلم أيُّها القارئ لهذا النداء أن الله تعالى إذا نادى عباده المؤمنين إنما يناديهم ليأمرهم بما فيه سعادتهم وكمالهم، أو لينهاهم عما فيه شقاؤهم ونقصانهم، أو ليبشرهم، أو ينذرهم، أو ليعلمهم ما ينفعهم، ولنستمع إلى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وقد قال له رجل: اعهد إليّ يا عبد الله، فقال له: إذا سمعت الله يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ فأعِرها سمعك فإنه خير يُؤمر به أو شر يُنهى عنه. وقد نادى الله تعالى عباده المؤمنين في هذه الآية لينهاهم عن كلمة راعنا، ويرشدهم إلى كلمة انظرنا؛ وذلك لأن المنافقين من اليهود كانوا يقولون لرسول الله ﷺ راعنا وهي في لغتهم العبرية بمعنى الاستهزاء والسخرية، فكانوا بذلك يستهزئون بالرسول ﷺ ويسخرون منه، والاستهزاء بالرسول والسخرية منه كفر، فنهى الله تعالى المؤمنين أن يقولوا للرسول ﷺ إذا جلسوا إليه يتعلمون الكتاب والحكمة راعنا وليقولوا بدلها وهي في العربية بمعناها أنظرنا بمعنى أمهلنا، ولا تعجل علينا حتى نحفظ أو نفهم ما تقول لنا. وأمرهم بالإصغاء والسماع عند تلقي العلم والمعرفة والتأدب في ذلك. وأعلمهم أن للكافرين وهم المستهزئون برسول الله ﷺ والساخرون منه من اليهود وغيرهم عذاباً أليماً أي شديداً موجعاً، وقد ينالهم في الدنيا قبل الآخرة، وفي هذه الآية الكريمة بيان وجوب الأدب مع رسول الله ﷺ، وحرمة الإساءة إليه بقول أو عمل هذا مع الجهل وعدم العلم، أما مع العلم بأن اللفظة أو الحركة فيها إساءة أدب مع رسول الله ﷺ فإن ذلك هو الكفر بعينه، والعياذ بالله

تعالى، وكما أن إساءة الأدب مع رسول الله محرمة وقد تكون كفراً مع التعمد والقصد، فإن إساءة الأدب مع المربي والمعلم والمرشد والأمير محرمة أيضاً، كما أن عيب المؤمن أو احتقاره أو الهزء به والسخرية منه محرمة وفاعلها فاسق إن لم يتب من ذلك، ولنقرأ قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحجرات: ١١] ألا فلنحذر إساءة الأدب مع الله ورسوله ﷺ فإذا ذُكر الله تعالى أو تلي كتابه يجب أن نُصغي ونخشع، ولا نرفع أصواتنا، أو نضحك، وإذا ذكر رسول الله ﷺ أو حديثه يجب أن نُصغي ويظهر علينا إجلاله واحترامه وحبه وتقديره، وهذه ثمرة هذا النداء الإلهي الذي أكرمنا الله تعالى بحفظه وفهم معناه. فَلْنَجْتَنِبْهَا ولْنَنتفع بها، ولنحمد الله تعالى عليها ونشكره، وهو أهل الحمد والشكر والثناء.

وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين

النداء الثاني

في الاستعانة بالصبر والصلاة

الآية (١٥٣) من سورة البقرة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾.

الشـــرح:

اذكر أيها القارئ الكريم والمستمع المستفيد قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه إذا سمعت الله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ فأعرها سمعك فإنه خير يؤمر به أو شر يُنهى عنه. أو بشرى يزفها، أو خطر يحذر منه، فإذا أمرك فافعل وإذا نهاك فانْته، وإذا بشرك فابشر واحمدهُ، وإذا حذرك فاحذر وانجُ بفضله، واذكر أيها القارئ والمستمع أن نداء الله تعالى لك بإيمانك شرف لك وأي شرف!! وإلا فمن أنت حتى يناديك رب العالمين!! واذكر أن شرفك كان بالإيمان به تعالى وبلقائه وملائكته وكتبه ورسله وقضائه وقدره، إن الإيمان بمثابة الروح للإنسان، فالمؤمن بحق حي، والكافر ميت، فاحمد الله تعالى على نعمة الإيمان واطلب التقوى وحققها تظفر بأعظم مطلوب ألا وهو ولاية الله تعالى لك، فإن من والاه الله أكرمه وما أهانه، وأسعده وما أشقاه. واسمع قوله تعالى في أوليائه بقوله: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [يونس: ٦٢ ـ ٦٤] أرأيت كيف بين الله تعالى من هم أولياؤه بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾، فاعمل أيها المؤمن القارئ والمستمع على تحقيق التقوى. واعلم أن التقوى هي طاعة الله ورسوله بما أوجبا من الأوامر وما حرما من المناهي، وذلك بعد معرفة العبد المؤمن أوامر الله ورسوله ونواهيهما، وهذه المعرفة تتطلب جهداً كبيراً. كما أن النهوض بفعل الأوامر، وهي كثيرة وشاقة على النفس، يتطلب جهداً أكثر من جهد المعرفة، وأما ترك المنهيات فإنه وإن كان لا جهد فيه ولا مشقة ولا معاناة، إلا أن النفس الأمارة بالسوء واللوامة معاً تضغطان على العبد حتى ترغماه على فعل المنهي عنه، إلا أن يجد العبد من

الله عوناً فإنه يسلم من التلوث بأوضار فعل المنهي عنه، ويحتفظ بطهارة روحه التي هي مفتاح دار سعادته.

وهنا أيها القارئ والمستمع يجد المؤمن نفسه في حاجة ماسة إلى عون إلهي كبير حتى يحقق التقوى المتوقفة على العلم وكيفية العمل وأدائه على الوجه المطلوب المحقق لزكاة النفس وطهارتها، وها هو ذا الرب تبارك وتعالى يرشدنا إلى طريق الحصول على عونه لعباده المؤمنين فيقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ فعلى كل مؤمن أن يستعين بالصبر وهو حبس النفس على طلب العلم حتى يعلم ما يحب ربه وما يكره، وكيف يؤدي المحبوب على الوجه الذي يرضي الله تعالى، وحبسها على فعل الطاعات حتى تؤديها على الوجه الذي يثمر زكاة النفس وطهارتها وحبسها بعيدةً عن المحرّمات والمنهيات، وحبسها على مجاري الأقدار فلا تسخط ولا تجزع ولكن ترضى وتصبر. بهذا الصبر يستعين المؤمن، والله معه ناصره ومؤيده. وكما يستعين المؤمن بالصبر يستعين بالصلاة كما أمره الله تعالى. والاستعانة بالصلاة تكون بأدائها في أوقاتها مستوفاة الأركان والشروط وبأهم أركانها وهو الخشوع فيها. فقد كان النبي ﷺ إذا حزبه[1] أمر فزع إلى الصلاة. إذِ الصلاة تولد نوراً للقلب ولا تولّده عبادة غيرها، وصاحب نور القلب لا يقع في غضب الله تعالى بترك واجب ولا بفعل مكروه، وهذا هو العون المطلوب بالصبر والصلاة. والله مع الصابرين بتأييدهم ونصرتهم بعد وقايتهم وحمايتهم من كل مكروه. فاللهم اجْعَلْنَا منهم وارضَ عنا كما رضيت عنهم.

وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين

---

(١) رواه أحمد وأبو داود بلفظ «إذا حزبه أمر صلى».

النداء الثالث

في أكل الحلال وشكر الله على ذلك

الآية (١٧٢) من سورة البقرة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١٧٢﴾.

الشـــرح:

لا تنس أيها القارئ الكريم سر نداء الله تعالى لعباده المؤمنين بوصف الإيمان وهو أنهم بإيمانهم الحق أحياء يسمعون ويعقلون ويقدرون على الفعل والترك، واذكر أن الله تعالى ما ناداهم إلا ليأمرهم بما هو خير لهم، أو ينهاهم عما هو شر لهم، إذ بفعل المأمور وترك المنهي تتحقق تقوى الله عزّ وجلّ، وبالإيمان والتقوى تكون ولاية الله للعبد. واسمع ما قاله الله تعالى في ذلك: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٦٤﴾ [يونس: ٦٢ ـ ٦٤] لذا يجب على المؤمنين إذا سمعوا نداء الله لهم أن يصغوا ويسمعوا لأنه ناداهم ليأمرهم أو ينهاهم، فإذا فعلوا المأمور وتركوا المنهي إيماناً واحتساباً تحققت لهم ولاية الله ففازوا بذهاب الخوف والحزن عنهم في الدنيا والآخرة وهم في الغرفات آمنون.

هل تدري أيها القارئ أن الله تعالى نادى المؤمنين في هذا النداء الثالث من سورة البقرة، ناداهم ليأمرهم بالأكل من الطيبات مما رزقهم من أنواع المطاعم والمشارب للحفاظ على حياتهم. إذ البنية البشرية استمرار حياتها وصلاحيتها مُتوقف على الغذاء والماء والهواء. فالأمر هنا على هذا دالٌ على الوجوب، إلا أن قوله: ﴿مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ يشير إلى أنه لما حرم المشركون على أنفسهم أنواعاً من اللحوم كلحم السائبة[١] والوصيلة[٢]

(١) السائبة: الناقة تسيّب للآلهة فلا تركب ولا تؤكل.

(٢) الوصيلة: الناقة يكون أول إنتاجها أنثى.

والحام[١] والبحيرة[٢] وأنكر الله تعالى ذلك عليهم، أمر المؤمنين بالأكل من الطيبات وهي كل ما أحله الله تعالى من اللحوم وغيرها. وأمرهم عزّ وجلّ بشكره على نعمه التي أنعم بها عليهم من أنواع الطيبات من الرزق الحلال. والشكر يكون بالاعتراف بالنعمة وحمد المنعم عليها وصرفها فيما أذن أن تصرف فيه، وذلك كنعمة العلم والمال والبدن، فشكر نعمة العلم العمل به، وتعليمه للناس، وشكر نعمة المال أن يُصرف في طاعة الله لا في معصيته. وشكر نعمة البدن أن يُسخر في عبادة الله، وفعل الصالحات والمسابقة في الخيرات. وأخيراً أيها القارئ الكريم والمستمع المستفيد إن الأمر بالأكل من الطيبات دال على أن الأكل من المحرمات لا يجوز، والمحرمات قد بيّنها الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٧٣] وبقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [البقرة: ١٨٨]. وكالأكل الشرب، فالخمر محرمة بقول الله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١] أي من شرب الخمر، ومال الميسر والأنصاب والأزلام، ومن ذلك مال الربا قلّ أو كثر. ولنستمع إلى قول الرسول ﷺ يقول محذراً ومعلماً ومنبهاً: «**يا أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً وإن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين** فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [المؤمنون: ٥١]. وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ **ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنّى يُستجاب لذلك**»؟؟.

أرأيت أيها القارئ والمستمع كيف يُحرم آكل الحرام استجابة الدعاء، ومن لم يستجب الله دعاءه هلك ورب الكعبة. فالحذر الحذر أيها المؤمن من أكل الحرام وشربه ولباسه والاستمتاع به. واكتف بما أحل الله تعالى عما حرم عليك فإنك عبده وتعبده فكيف يصح إذاً أن تأكل ما حرم عليك وأنت عبده وعابده. وقد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾. أما من لا يعبد الله تعالى فأكله الحرام وتركه سواء إذ ما بعد الكفر ذنب كما قيل، وهو كذلك.

وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين

(١) الحام: الجمل يحمي ظهره للآلهة فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يؤكل لحمه.
(٢) البحيرة: الناقة تبحر أذنها أي تشق وتترك للآلهة.

النداء الرابع

في القصاص والدية والعفو

الآية (١٧٨) من سورة البقرة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٨)﴾.

الشـــرح:

هل تدري أيها القارئ الكريم والمستمع المستفيد لماذا نادى الله تعالى عباده المؤمنين؟ إنه ناداهم ليعلّمهم حكماً شرعياً عليه مدار تحقيق الأمن والاستقرار في المجتمع الإسلامي المبارك، وهذا الحكم هو فَرضه تعالى على المؤمنين القصاص في القتلى. فقد كان حيّان من العرب يرى أحدهما أنه أشرف من الثاني فيقتل الحر بالعبد، والرجل بالمرأة، فأبْطَلَ الله تعالى هذا الحكم الجاهلي، وأعلمهم أن العدل هو أن يُقتل الحر بالحر، والعبد بالعبد، والأنثى بالأنثى. فكفوا عن ذلك الحكم الجاهلي، وأصبح الحر يقتل بالحر لا بالعبد، والعبد يقتل بالعبد لا بالحر، والأنثى تقتل بالأنثى لا بالرجل. وبقي الأمر هكذا حتى نزلت آية المائدة وهو قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ [المائدة: ٤٥] فأصبح الحكم العادل النافذ هو أن يقتل القاتل سواء قتل رجلاً أو امرأة، حراً أو عبداً، إلا أن يعفو أهل القتيل عن القاتل فلا يطالبوا بقتله، إما لرضاهم بالدية، وإما لاختيارهم أجر الآخرة عن أجر الدنيا، فتركوا القصاص والدية معاً. ثم أخبر تعالى المؤمنين بأن من عُفي له من أخيه شيء بأن تنازل الولي عن القتل قصاصاً ورضي بالدية فعلى المطالب بالدية أن يطلبها بالمعروف وهو الرفق واللين وعدم الشدة والعنف، وعلى مؤديها أن يؤديها بإحسان لا بالمماطلة والتأخير أو الانتقاص وعدم الوفاء. ثم أخبر تعالى عباده المؤمنين بأنه رحمة بهم خفف عنهم فخيّر ولي الدم بين العفو، أو أخذ الدية، أو القصاص، في حين أن أهل الكتاب قد

شدد عليهم. فاليهود لا دية عندهم ولا عفو بل القصاص فقط، والنصارى لا قصاص ولا دية ولكن العفو فقط. وهذا بناءً على ما علم الله تعالى من حالهم. فشرع لهم ما يناسبهم تأديباً وتربية لهم.

وقوله تعالى في آخر الآية ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ أي بعد أن رضي بالدية وقبلها وقتل القاتل ﴿فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ وهو عذاب الآخرة بحيث لا تقبل منه دية، وإنما يتعين قتله، إلا أن يرى الإمام عدم قتله ودفعه دية من قتل.

وأخيراً: اعلم أيها القارئ الكريم أن هناك خلافاً بين فقهاء الإسلام من أهل السنة والجماعة وهي في المسائل الآتية:

١ ـ في قتل الحر بالعبد حيث ذهب الجمهور أن الحر إذا قتل عبداً لا يقتل به، ولكن يدفع قيمته لمالكه، بحجة أن العبد يباع ويُقوّم بقيمة؛ فلذا من العدل أن لا يقتل حرّ به ولكن يعطي مالكه قيمة مثله. وذهب أبو حنيفة رحمه الله تعالى إلى أنه يقتل به الحر أخذاً بظاهر الآية: ﴿ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾، والذي يظهر أن الأمر يرجع إلى الإمام فإن خاف فتنة واضطراباً أخذ بالآية وهي القصاص، وإن لم يخف ذلك أخذ بمذهب الجمهور وهو دفع قيمته لمالكه لا غير.

٢ ـ ذهب البعض كالحسن البصري وعطاء وهما تابعيّان إلى أن الرجل لا يقتل بالمرأة ولكن تدفع الدية، ورد هذا الجمهور وقالوا بالقصاص لآية المائدة: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾ ولقول الرسول ﷺ: **«المسلمون تتكافأ دماؤهم»**.

٣ ـ ذهب الجمهور إلى أن الجماعة إذا اشتركوا في قتل واحد يقتلون به لقول عمر رضي الله عنه في غلام قتله سبعة فقتلهم وقال: **«لو تمالأ عليه أهل صنعاء لقتلتهم»**، وقال غير الجمهور لا يُقتل الجماعة بالواحد، وهذا أيضاً قد يُرد إلى الإمام حيث ينظر في عواقب الأمور ويحكم بما فيه خير الأمة وصلاحها.

تنبيه:

القصاص كما يكون في النفس يكون في الأعضاء؛ لآية المائدة: ﴿وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ...﴾ والعفو يكون في النفس والأعضاء والدية كذلك. ودية الرجل الحر مائة بعير، أو ألف مثقال ذهباً أو اثنا عشر ألف درهم فضة، ودية المرأة على النصف من دية الرجل، ولمزيد البيان اقرأ أيها القارئ الكريم الفصل العاشر من الجنايات وأحكامها من كتاب منهاج المسلم للمؤلف.

وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين

النداء الخامس

في فريضة الصيام وآثاره على نفس الصائم

الآية (١٨٣) من سورة البقرة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾.

الشــــرح:

اعلم أيها القارئ أو السامع أنك بإيمانك منادى بهذا النداء الإلهي، وإنه لشرف لك وأي شرف. فأصغ بأذنك تسمع، وأحضر جميع أحاسيسك وافهم، ووطن النفس على أن تعمل بما تعلم فإن في ذلك لحاقك بعظماء العباد، فقد روى مالك في الموطأ: (أن من علم وعمل بما علم وعلمه غيره دُعي في السماء عظيماً) هذا النداء الموجه للمؤمنين والمؤمنات يحمل فرضية صيام رمضان، ولما كان في الصوم مشقة؛ لأن ترك المعتاد من الأكل والشرب شاق على النفس، لذا هونه الله تعالى على عباده المؤمنين بقوله: ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ أي المؤمنين الأولين أتباع الرسل عليهم السلام. وهذا على حد قول العامة: «المصيبة إذا عمت خفت».

والصيام معناه: الإمساك عن الأكل والشرب والجماع، وذلك من طلوع الفجر إلى غروب الشمس بنية الصيام، وقد بين تعالى شهر الصيام بقوله: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ﴾ [البقرة: ١٨٥] وبينه الرسول ﷺ بقوله: «**بُني الإسلام على خمس، شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصّلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان**»[١] ومن رحمة الله بعباده المؤمنين أن للمريض والمسافر أن يفطرا ويقضيا ما أفطراه يوم الشفاء، والعودة إلى البلد. كما أن الحائض والنفساء تفطران وتقضيان بعد الطهارة من الحيض ودم النفاس؛ إذ قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ

---

(١) متفق عليه.

أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٤] وأما المريض الذي لا يرجى برؤه، والشيخ الكبير الهرم فإنهما لا يصومان ويطعمان عن كل يوم مداً من طعام للفقراء والمساكين.

واعلم أيها القارئ أن الصيام من أفضل العبادات، وأعظمها أجراً؛ فقد أخبر النبي ﷺ: «**أن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك**» والخلوف رائحة الفم المتغيرة بطول الصيام، وقال ﷺ: «**من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه**» ورغب رسول الله ﷺ في صيام ستة أيام من شوال، وصيام التاسع والعاشر من شهر المحرم، ويوم التاسع من شهر ذي الحجة وهو يوم عرفة، فقال ﷺ: «**صيام عاشوراء يكفر ذنوب سنة، وصيام يوم عرفة يكفر ذنوب سنتين: الماضية والآتية**» ورغّب في صيام ثلاثة أيام من كل شهر وهي الأيام البيض الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر وقال ﷺ: «**إنها كصيام الدهر**». كما كان ﷺ يصوم الاثنين والخميس.

واعلم أيها القارئ الكريم أن من أكل أو شرب أو جامع وهو صائم فسد صومه وأن من اغتاب أو نمَّ أو سبّ مؤمناً بطل أجره، فاحذر مُفسدات الصوم، ومبطلات أجره.

واعلم أن للصوم فوائد روحية واجتماعية وصحية، ومن الفوائد الروحية أن الصيام يعوّد على الصبر ويقوي عليه، ويُعلّم ضبط النفس ويساعد عليه ويوجد في النفس ملكة التقوى.

ومن الفوائد الاجتماعية أنه (يُرَبِّي) الأمة على النظام والاتحاد وحب العدل والمساواة ويُكوّن في الصائم عاطفة الرحمة وخلق الإحسان، كما يصون المجتمع من الشرور والمفاسد.

ومن الفوائد الصحية أنه يطهر الأمعاء، ويصلح المعدة، وينظف البدن من الفضلات والرواسب، ويخفف من وطأة السمن، وثقل البطن بالشحم. وفي الحديث الحسن «**صوموا تصحوا**».

وأخيراً أيها القارئ: لا تنس النية؛ فإنها شرط في صحة الصوم لقول الرسول ﷺ: «**لا صيام لمن لم يُبيّت الصيام بالليل**»[١] وقوله ﷺ: «**إنما الأعمال بالنِّيات وإنما لكل امرئ ما نوى**»[٢] واعلم أن صيام رمضان تكفي فيه النية من أول ليلة منه إلا أن يفطر لعلة مرض أو سفر، فإنه يعيد النية ليلة بدئه الصيام.

---

(١) رواه الترمذي.

(٢) رواه البخاري.

واعلم أن من أكل أو شرب ناسياً أنه لا كفارة عليه، وأما من أكل أو شرب أو جامع متعمداً فإن عليه القضاء والكفارة وهي صيام شهرين متتابعين أو إطعام ستين مسكيناً، أو عتق رقبة إن وجدت وقدر على ذلك[١].

وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين

(١) من فقهاء الأمة مَنْ لا يرى الكفّارة على مَنْ أكل أو شرب، ولكن على مَنْ جامع فقط.

النداء السادس

في وجوب قبول شرائع الإسلام كلها، وحرمة اتباع الشيطان

الآيتان (٢٠٨، ٢٠٩) من سورة البقرة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡكُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾﴾.

الشـــرح:

إن الإسلام دين كامل ومتكامل؛ لذا هو لا يقبل الزيادة فيه، ولا يسمح بالنقص منه، إذ الزيادة فيه تبطله، والنقص منه يفسده. وأقرب مثال يوضح هذه الحقيقة صلاة المغرب ثلاث ركعات، فلو زيد فيها ركعة أو سجدة بطلت، كما أنه لو نقصت منها ركعة أو سجدة بطلت كذلك، بإجماع علماء الإسلام.

لذا فلو أن فرداً من الناس قال: أنا أقبل الإسلام وأدخل فيه إلا أن ما حرمه من المطاعم والمشارب لا أحرمه، أو قال آخر: أنا أدخل في الإسلام إلا أن الصيام لا أعترف به لأنه يضعف من قوتي البدنية. أو قال آخر: أقبله إلا أني لا أعترف بما قرره الإسلام من أن المرأة لها نصف ما للذكر في الميراث، أو قال آخر: أنا أقر بالإسلام وأدخل فيه إلا أني لا أعترف بحكم قطع يد السارق، أو رجم الزاني المحصن. فهل يقبل الإسلام من هؤلاء؟ والجواب: لا يقبل أبداً؛ وهم كافرون مخلدون في النار إذا ماتوا على هذا الكفر. ومثال آخر: لو أن مسلماً أباً أو جداً قال: أنا لا أعترف بأن المسلم إذا دعا الأولياء أو استغاث بهم، أو تقرب إليهم بذبح أو نذر هو مشرك وأصر على ذلك فإنه كافر، وإن هو استغاث بغير الله ودعا غير الله وتقرب إلى غيره بذبح أو نذر فهو مشرك لا يقبل منه إيمان ولا إسلام، ولو صلى وصام وحج واعتمر وجاهد ورابط.

وهذا النداء الإلهي الكريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٢٠٨﴾﴾ هذا النداء هو الذي قرر حرمة النقص

في الدين أو الزيادة فيه؛ إذ هذه الآية الكريمة نزلت في عبد الله بن سلام رضي الله عنه وكان حبراً من أحبار اليهود في المدينة، ودخل في الإسلام عن علم وقناعة، وبُشر على لسان رسول ﷺ بالجنة لرؤيا رآها. هذا العالم رأى في بداية إسلامه أن يبقي على تعظيم السَّبت، وأن يقرأ بشيء من التوراة في صلاته بحجة أن السبت فرضه الله تعالى تعظيماً على اليهود، وأن التوراة كلام الله تعالى، وقبل أن يفعل استأذن رسول الله ﷺ في ذلك، فنزلت هذه الآية تأمر المؤمن أن يدخل في الإسلام بكله، لا يبقي شيئاً خارجاً عنه حتى ولو كان تعظيم يوم السبت الذي كان تعظيمه شرعاً وعبادة قبل الإسلام، أو تحريم لحوم الإبل وألبانها إذ كانت محرمة على اليهود، فرأى بعضهم ممن أسلموا أن يبقوا على ما كانوا عليه من تحريمها. فكانت هذه الآية الكريمة مانعة من كل ذلك. ولا يسع المؤمن الحق إلا الدخول في الاستسلام الكامل لله تعالى؛ وذلك بقبول ما شرع وعدم التخير فيه بقبول بعض ورفض بعض. وبعد أن أمرَ الله عباده المؤمنين بالانقياد الكامل والطاعة التامة لله ورسوله في كل ما حواه الإسلام من الشرائع والأحكام العامة والخاصة، نهى المؤمنين عن اتباع خطوات الشيطان وهي ما يزينه ويحسنه للمرء بنوع من التحسين والتزيين حتى يقع فيه فينقطع عن الله تعالى فيهلك كما هلك الشيطان بكبره وعجبه بنفسه، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾، وعلل لتحريم عدم اتباع خطواته بقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ أي بين العداوة ظاهرها لا تخفى على أحد من ذوي العقول الراجحة والفهوم السليمة. وكيف وهو يُزيّن اللواط، والزنا، والربا، وقتل النفس، والحسد، والكبر، والعجب، وعقوق الوالدين، وأذية المسلمين، إلى غير هذا من كبائر الذنوب والفواحش.

اعلم أيها القارئ أن هذا النداء اشتمل على بيان طريق النجاة وطريق الهلاك؛ فطريق النجاة هو الإسلام الكامل لله تعالى، باعتقاد ما أمر باعتقاده، وقول ما أمر بقوله، وفعل ما أمر بفعله، واجتناب ما أمر باجتنابه من ذلك كله اعتقاداً أو قولاً أو عملاً، وطريق الهلاك هو اتباع خطوات الشيطان بتحسين القبيح، وتقبيح الحسن، فإذا أصبح العبد يحب ما يحب الشيطان، ويكره ما يكره فقد التحق به وأصبح من أوليائه، وخسر نفسه وأهله. كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الزمر: ١٥]. واذكر ما يحمله قول الله تعالى: ﴿فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾﴾ من الوعيد الشديد؛ لكل من زلت قدمه فزاد في الإسلام أو نقص منه، أو بدل فيه. وما أصاب المسلمين من خراب ودمار، وذل وصغَار لما تركوا واجبات أوجبها الله، وارتكبوا محرمات حرمها الله، كافٍ في الدلالة على ما تحمله الآية من وعيد شديد.

وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين

النداء السابع

في الإنفاق في سبيل الله قبل الفوات بالموت

الآية (٢٥٤) من سورة البقرة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَـٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَـٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾ .

الشـــرح:

إن معنى هذا النداء أيها القارئ الكريم هو أن الله تبارك وتعالى، نادى عباده المؤمنين به وبلقائه، وكتبه ورسله وملائكته وقضائه وقدره، ناداهم بعنوان الإيمان؛ لأن المؤمن حيٌّ يسمع النداء ويُجيب الداعي لما دعاه من أجله، وهنا ناداهم ليأمرهم بالإنفاق أي إنفاق المال حيث تعين الإنفاق، وذلك كالجهاد في سبيل الله، وسد حاجة الفقراء والمساكين، وكإعداد العُدة للجهاد؛ لحماية الملة والعباد، وكالإنفاق لتحرير الرقيق، ومداواة المريض، وما إلى ذلك من مواطن الإنفاق في سبيل الله لا في سبيل الشيطان، وذكرهم رأفة بهم أن الإنفاق الذي أمرهم به هو من ماله تعالى الذي رزقهم إياه، وأنه بعضه لا كله؛ إذ قال لهم: ﴿أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَـٰكُم﴾ أي من بعض المال الذي رزقناكموه فضلاً منا وإحساناً إليكم. وإن قلت أيها القارئ الكريم: وهل للشيطان سبيل ينفق فيها المال؟ أجبتك قائلاً: إي ورب الكعبة إنها كل ما ينفق في معصية الله تعالى هو إنفاق في سبيل الشيطان، وذلك كالإنفاق في القمار، واللهو، والباطل، وكالإنفاق في أكل وشرب ولبس الحرام، وكالإسراف في الأكل والشرب وغيرهما، كل هذا الإنفاق هو في سبيل مرضاة الشيطان، ولذا فهو يأمر به ويزينه لفاعله.

وهل تدري أيها القارئ ما يدل عليه قوله تعالى في هذا النداء وهو قوله تعالى: ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَـٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَـٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ إنه دل على أن الله تعالى رحمة بعباده المؤمنين وشفقة عليهم استعجلهم في الإنفاق في حياتهم قبل موتهم، إذ المرء إذا مات انقطع عمله، وتلقى الجزاء عن عمله الذي عمله قبل موته، إن كان خيراً فهو خير، وإن كان شراً فهو شر، والعبد إذا مات دخل في الحياة الآخرة حيث لا ينفع المرء يومئذٍ بيع؛ إذ لا يملك شيئاً حتي يبيعه ولا يوجد من يشترى، كما

لا تنفعه خُلة أو صداقة أحد ولا شفاعة إن وُجد من يشفع له، إذ لا شفاعة إلا بعد إذن الله تعالى للشافع ورضاه عن المشفوع له.

وختم تعالى هذا النداء الرحيم بقوله: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ يحذر عباده المؤمنين من الكفر. والكفر نوعان: كفر ملة، وكفر نعمة. كلٌّ منهما صاحبه ظالم، والظالمون أعد الله لهم عذاباً أليماً؛ كما قال تعالى في سورة الإنسان: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾﴾ [الإنسان: ٣١] وإن سألت أيها القارئ عن الفرق بين كفر الملة، وكفر النعمة، فاعلم أن كفر الملة هو جحود العبد لبعض شرائع الله تعالى أو جحودها كاملة بأن لا يعترف بالدين الإسلامي كاليهود أو النصارى والمجوس والمشركين، إذ كلهم كفار لعدم دخولهم في الإسلام وجحودهم له وعدم اعترافهم به. وأما كفر النعمة فهو عدم الاعتراف لله تعالى بها، وعدم شكره عليها، وصرفها في غير مرضاته. وبذلك يدخل في عداد الظالمين؛ إذ الظلم حقيقته هو وضع الشيء في غير محله، والذي رزقه الله تعالى مالاً فبخل به وشح فمنع الزكاة، وتجاهل الواجبات فلم ينفق فيها فهو قطعاً ظالم؛ إذ وضع المال في غير موضعه، وبذلك هو من أهل العذاب الأليم توعد الله تعالى به الظالمين في قوله: ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا﴾.

ألا فلنحذر أيها القارئ والمستمع البخل والشح ومنع الزكاة، والواجبات المالية، كنفقة الجهاد، ونفقة الآباء، والأزواج، والأولاد، والمسكين وابن السبيل، واعلم أن مما يُساعدُك على الإنفاق قراءة هذه الآية التي شرحناها واجعلها دائماً نصب عينيك؛ إذ فيها أَمر الله بالإنفاق، والتذكير بالدار الآخرة، وجزاء الظالمين، والعياذ بالله تعالى رب العالمين.

وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين

النداء الثامن

في بيان مبطلات ثواب الصدقة كالمن والأذى والرياء

الآية (٢٦٤) من سورة البقرة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾﴾.

الشـــرح:

اذكر أيها القارئ الكريم ما سبق أن عرفته في سر نداء الله تعالى عباده المؤمنين بعنوان الإيمان ألا وهو أن المؤمن حيٌّ يسمع ويبصر، ويقدر على الفعل والترك؛ لأن الإيمان الصحيح وهو تصديق الله ورسوله في كل ما أخبر به من شأن الغيب والشهادة هو بمثابة الروح للجسم، فالجسم يتحرك ويقبل ما يراد به ما دامت الروح فيه، فإذا فارقته مات. اذكر هذا أيها القارئ أو السامع لتعي عن الله تعالى ما خاطبك به، وهو نهيه لك عن إبطال صدقاتك، وهو تعطيلها عن تزكية نفسك وتطهيرها؛ لأن الصدقة عبادة تزكي النفس إذا خلت من الموانع المبطلة لها. ومن الموانع للصدقة من تزكية نفس المؤمن المتصدق ما ذكر الله تعالى وهي:

١ ـ المن وهو من كبائر الذنوب؛ لأن المنان أحد ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يُزكيهم ولهم عذاب أليم؛ لحديث مسلم: «**ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم: المسبل**[١] **إزاره والمنان الذي لا يعطي شيئاً إلا منّة، والمنفق**[٢] **بالحلف الكاذب**» وحقيقة المَنّ أنه ذكر الصدقة وتعدادها على من تصدق بها عليه من المؤمنين على وجه التفضّل عليه. والمَنان من الناس

(١) هو الذي يحسر ثيابه كبراً وخيلاء.

(٢) يُقال نفق سلعته وأنفقها بمعنى روّجها.

هو الذي لا يعطي شيئاً إلا مَنّه على من أعطاه إياه. فاحذر المنَّ أيها المؤمن؛ فإنه مبطل لأجر الصدقة، وموجب لغضب الله تعالى.

٢ ـ الأذى لغة هو كل ما يؤذي الإنسان في دينه أو عرضه أو بدنه أو ماله، وهو هنا أي الأذى المبطل للصدقات هو التطاول على المتصدق وإذلاله بالكلمة النابية، أو التي تمس كرامته وتحط من شرفه وقدره وهو المؤمن وليّ الله تعالى. والله يقول في الحديث الذي رواه البخاري «**من عَادَى لي ولياً فقد آذنته بالحرب**» والمعاداة هي مُولدة الأذى وأشده وأقبحه.

٣ ـ الرياء وهو أن يُري العبد عمله للناس رجاء أن يحمدوه عليه، أو يدفع به مذمتهم إذا خاف ذلك منهم، وهو في هذه الحال مُراء، والرياء مبطلة للعمل مفسدة له فلا تزكو به النفس البشرية، كالمن والأذى سواء بسواء في إبطال الصدقات لقوله تعالى: ﴿لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ فالرياء في الصدقات مبطلٌ لها كالمن والأذى؛ إلا أن الرياء عامة يكون في الصدقات وغيرها من سائر العبادات كالصلاة، والذكر، وقراءة القرآن، والحج، والعمرة، والجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لذا فهو أخطر من المنّ والأذى، وغالباً ما يكون الرياء ممن ضعف إيمانه بالله واليوم الآخر لقوله تعالى في الآية: ﴿وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ إذ المؤمن بالله واليوم الآخر لا يتعمد بطلان عمله بالمراءاة ولا بغيرها. وقوله تعالى في الآية ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾ والصفوان هو الحجر الأملس ﴿عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ﴾ من المطر، وهو المطر الشديد ﴿فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا﴾ أي ليس عليه شيء؛ لأن المطر أزال التراب وبقي الصفوان أملس كما كان. وقوله تعالى: ﴿لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ أي ينتفعون به وذلك لعجزهم عن الانتفاع بصدقاتهم بعد أن أبطلها المن والأذى والرياء. وقوله تعالى: ﴿فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ أي إلى ما يكملهم ويسعدهم في الدنيا والآخرة؛ وفي هذا إشارة إلى أن المنان والمؤذي للمؤمنين والمرائي هم قريبون من الكفر إن لم يكونوا كفاراً لنعم الله، وذلك بترك شكرها وصرفها فيما يحب المنعم عزّ وجلّ. ألا فلنحذر أيها المؤمنون كل ما يبطل صدقاتنا بأن تصبح لا تزكي أنفسنا ولا تطهرها، ونحن نعلم حكم الله تعالى في الناس أبيضهم وأسودهم، عربهم وعجمهم، وهو فوز أصحاب النفوس الزكية، وخيبة وخسران أصحاب النفوس المدساة الخبيثة التي لم تطهر بالإيمان وصالح الأعمال، إذ قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [الشمس: ٩، ١٠].

وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين

النداء التاسع

في وجوب إخراج الصدقة من طيب المال، وحرمة إخراجها من خبيثه

الآية (٢٦٧) من سورة البقرة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ﴾.

الشـــرح:

اعلم أيها القارئ الكريم أن هذا النداء الإلهي الرحيم يحتوي على ما يلي من التعاليم الإلهية المسعدة للإنسان المؤمن، المُزكّية له وهي:

١ ـ وجوب إخراج الصدقة من طيب المال.

٢ ـ حرمة إخراجها من خبيثه.

٣ ـ بيان وجوب الزكاة مما كسبه المؤمن من الأنعام، وهي الإبل والبقر والغنم، إن بلغت النصاب وحال عليها الحول. ومما كسبه من الدنانير والدراهم أو ما يقوم مقامها من العُملِ المتداولة اليوم بين الناس إن بلغت النصاب وحال عليها الحول.

٤ ـ بيان وجوب الزكاة من الخارج من الأرض وهو الحبوب كالبُر والشعير والذرة والزيتون والزبيب والتمر، إن بلغ نصاباً، وكان مقتاتاً مدخراً، أما ما لم يكن مقتاتاً كالفلفل والبصل والثوم فلا زكاة فيه، وكذلك ما لا يُدخر وإن كان مقتاتاً كالبطيخ والقثاء والرمان والتين والتفاح والبرتقال، إلا أنه يستحب التصدق من كل خارج من الأرض مما لا تجب فيه الزكاة لعدم توفر شرطي الزكاة فيه وهو الاقتيات والادخار.

هل تدري ما نصاب هذه المزكيات أيها المؤمن أو المستمع؟

إنها في الإبل خمس من الإبل، وفي البقر ثلاثون بقرة، وفي الغنم ضأناً أو ماعزاً أربعون شاة، وفي الحبوب والتمر خمسة أوسق، والوسق ستون صاعاً،

والصاع أربعة أمداد أي حفنات، وفي العُمل قيمة سبعين غراماً من الذهب.

أرأيت أيها القارئ إن قيل لك عرفنا النصاب في الأنعام، لكنا ما عرفنا كم الخارج منه؟

فعلمه أن من ملك خمساً من الإبل زكاها بشاة من الغنم، ومن ملك عشراً زكاها بشاتين، ومن ملك خمسَ عشرة زكاها بثلاث، ومن ملك عشرين زكاها بأربع شياه، ومن ملك خمساً وعشرين زكاها ببنت مخاض أوفت سنة ودخلت في الثانية، وإن من ملك ثلاثين بقرة وجب عليه فيها عجل يتبع أمه أوفى سنة. ومن ملك أربعين من الغنم وجب فيها شاة، وما زاد على ما ذكر يُطلب من كتب الفقه المطولة وهذا جدول مختصر لها.

العدد	الإبل	العدد	البقر	العدد	الغنم
٢٥	فيها بنت مخاض	٣٠	فيها عجل	٤٠	فيها شاة
٣٦	بنت لبون	٤٠	فيها مسنة	١٢١	فيها شاتان
٤٦	حقة أوفت ٣ سنوات	فوق	في كل ٤٠ مسنة	إذا بلغت	ففيها ٣ شياه
٦١	جذعة أوفت ٤ سنوات	٤٠	وفي كل ٣٠ عجل	٢٠١	
٧٦	بنتا لبون			وفوق	في كل مائة
٩١	حقتان			ذلك	شاة واحدة
١٢٠	ففي كل ٤٠ بنت لبون وفي كل ٥٠ حقة				

واعلم أيها القارئ أن ما بين الفريضتين يسمى وقصاً[١]، وأنه لا زكاة فيه مثاله في الخمس من الإبل شاة حتى تبلغ عشراً، فالعدد ما بين الخمس والعشر لا زكاة فيه، وهكذا فالغنم في الأربعين شاة وفي المائة وواحدة وعشرين شاتان، فالعدد ما بين

(١) مثاله في الخمس من الإبل شاة، والسادسة من الإبل، والسابعة، والثامنة، والتاسعة وقصٌ لا زكاة فيها، فإذا بلغت عشراً زُكّيت بشاتين، وهكذا ما بين الفريضتين لا زكاة فيه، وهو القوقص المعروف عند الفقهاء رحمهم الله تعالى.

الأربعين إلى مائة وعشرين وقص لا زكاة فيه أي معفو عنه فاذكرها ولا تنسها فإنه لا بدّ منها.

هذا وهل فهمت من النداء قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾ إن معناه حرمة إخراج الزكاة أو الصدقة من رديء المال وفاسده ذاك الذي لو أعطيته أنت ما قبلته ورددته على صاحبه، اللهم إلا أن تغمض عينيك وتقبله حتى لا تُغْضِب عليك من أعطاكه، وهو معنى قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ﴾. وأخيراً اذكر ما ذكرنا الله تعالى به في هذا النداء الكريم إذ قال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ حتى لا تسوّل لك نفسك أن الله في حاجة إلى صدقة متصدق، فتمن ذلك عليه، أو أن الله فرض الصدقة لأجل أن يحمد من المتصدق عليهم، لا، لا، فإنه تعالى غني حميد بإفضاله وإنعامه على خلقه حميد بصفات الجلال والكمال فيه، إذ له الحمد في السموات والأرض وله الحمد في الآخرة، وهو العزيز الحكيم.

وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين

النداء العاشر

في الأمر بالتقوى وترك ما بقي من الربا

الآيات (٢٧٨ ـ ٢٨٠) من سورة البقرة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ (٢٧٩) وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٨٠)﴾.

الشـــرح:

اعلم أيها القارئ أو المستمع لهذا النداء العزيز أن هذا النداء وُجِّه للمؤمنين ليأمرهم بأمرين عظيمين: الأول: تقوى الله عزّ وجلّ، وذلك بطاعته وطاعة رسوله ﷺ؛ إذ الله تعالى لا يُتقى غضبه وعقابه إلا بالاستسلام والانقياد له وذلك بحب ما يحب، وكره ما يكره، وفعل ما يأمر به، وترك ما يَنهى عنه. والثاني: ترك ما بقي من الربا بعد تحريمه بقوله: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟﴾ [البقرة: ٢٧٥] فمن بقي له شيء من فوائد الربا فليتركها لمن هي في ذمته.

ولخطورة هذا الموقف وصعوبته على النفس البشرية: ذكرهم بإيمانهم؛ إذ الإيمان الصحيح هو بمثابة الطاقة الدافعة فقال لهم: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ فإن إيمانكم قدرة قوية تحملكم على تقوى الله وترك ما بقي من الربا عند المدينين لكم. وفي الآيتين بعد هذه حذرهم مهدداً لهم بسوء عاقبة الاستمرار في هذه المعصية الكبيرة فقال: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟﴾ أي ما أمرتكم به من التقوى وترك ما بقي لكم من الربا ﴿فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ وهل من حارب الله ورسوله يفوز وينتصر؟ لا، والله بل يخسر وينكسر، ثم أرشدهم إلى حل مشكلة تحدث لهم بعد توبتهم وهي أن رؤوس أموالهم مع أرباحهم تبقى عند المدينين لهم فكيف يصنعون بها. فأرشدهم إلى أخذ رؤوس أموالهم التي هي تحت يد المدينين وترك الأرباح التي كانت لهم بحكم التعامل الربوي المحرم. وإن من كان معسراً من المدينين لهم فلينظروه حتى يُيسر الله عليه ويدفع لهم رأس مالهم، وإن هم تكرموا بترك ذلك المال صدقة منهم على المعسر فذاك خيرٌ إن

كانوا يعلمون ثمرة الإحسان بعد الإساءة والتوبة بعد الذنب، فقال: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾﴾.

هل عرفت أيها المؤمن القارئ أو المستمع عظم ذنب المرابي وآكل الربا، وأزيدك معرفة بقول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٥] ـ أي من قبورهم يوم القيامة ـ ﴿إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥] أي يضربه الشيطان ضرباً غير منتظم، والمس اللمس ومن لمسه الشيطان يصرع فوراً. فالمرابي يقوم يوم القيامة من قبره كالمجنون الذي كلما قام صرعه الجان.

ويقول الرسول ﷺ: «**لعن الله آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه**» ويقول: «**اجتنبوا السبع الموبقات**» ويذكر منها أكل الربا. فإذا عرفت أيها القارئ عظيم ذنب آكل الربا، فاعرف ما هو الربا حتى تجتنبه وتدعو المؤمنين إلى اجتنابه. إنه نوعان:

الأول: ربا الفضل وهو بيع ربوي بآخر مع فضل زيادة، والربويات هي الذهب والفضة والبر والشعير والتمر والملح، ويقاس على البر الذرة وكل مقتات مدخر. فإذا باع أحد ذهباً بذهب، أو فضة بفضة وجب أن يكون المقدار متساوياً وأن يكون في مجلس واحد أي يد بيد، وكذا إن باع قمحاً بقمح وإن اختلف الجنس كأن يباع ذهب بفضة، أو قمح بشعير مثلاً فيجوز التفاضل ولكن بشرط أن يكون يداً بيد.

الثاني: ربا النسيئة: أي التأخير وهو أن يعطي المرء لآخَرَ مالاً يسدِّده بعد عام مثلاً على أن يزيد فيه، فإذا أعطاه ألفاً يردها بعد العام ألفاً ومائة مثلاً، وكلما تأخر السداد زاد في رأس المال؛ حتى يصبح أضعافاً مضاعفة كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾﴾ [آل عمران: ١٣٠].

وأخيراً اعلم أيها القارئ أن سرّ علة تحريم الربا هي أنه يقطع التراحم بين المؤمنين، وكل ما يؤدي إلى القطيعة بين المؤمنين فهو حرام؛ لأن المؤمنين يجب أن يعيشوا إخواناً متعاونين متحابين، يُقرض بعضهم بعضاً القروض طويلة الأجل، ولا يرجون من ذلك سوى الأجر والمثوبة من الله تعالى؛ لأن القرض في الأجر كالصدقة بل أعظم منها، كما أن المضاربة وهي أن يعطي المؤمن أخاه مالاً يتجر فيه والربح بينهما فيها فائدتان: الأولى: نماء المال. والثانية: عون الفقير على الكسب والربح. ومثل المضاربة المشاركة في الزراعة والصناعة في تنمية المال، وإفاضته بين المؤمنين، لذا حرم الله تعالى الربا وأحل البيع.

فللَّه الحمد وله المنة، وصلى الله وسلم على نبيه وآله وسلم تسليماً كثيراً.

النداء الحادي عشر

في مشروعية كتابة الديون والإشهاد عليها

الآية (٢٨٢) من سورة البقرة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةٗ تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَلَّا تَكۡتُبُوهَاۗ وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٢٨٢﴾ ﴾.

الشـــرح:

اعلم أيُّها القارئ الكريم أن المال قوام الأعمال. واسمع قول الله تعالى فيه: ﴿ وَلَا تُؤۡتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمۡوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ قِيَٰمٗا ﴾ [النساء: ٥]، إذ حرم إعطاء المال لغير الراشدين كالنساء والأطفال وقاصري العقول وعادمي البصيرة في التصرف المالي، فإذا عرفت هذا فهيا بنا نشرح آية الدَّيْن ونُبيّن ما احتوت عليه من أحكام تتعلق بالديون، الأخذ بها بعد معرفتها يحفظ على المسلم ماله ويصون كرامته.

وأول أحكام الديون هو: كتابة الدَّين إذا كان مؤجلاً لثلاثة أيام فأكثر. ودل على هذا الحكم قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكۡتُبُوهُۚ ﴾.

وثاني أحكامها: مشروعية بيع السَّلَم إذ قوله إلى أجل مسمى دال عليه وبيع السَّلم هو أن يبيع العبد أخاه تمراً أو قمحاً إلى أجل فيأخذ البائع الثمن. ويدفع السلعة عند حلول الأجل على شرط أن يكون السَّلَم معلوم الكيل أو الوزن،

لقول رسول الله ﷺ: «**من أسلف في تمر فليسلف في كيل معلوم ووزن معلوم إلى أجل معلوم**».

وثالث الأحكام: أن يكتب الدَّيْن وإن على الكاتب أن يعدل فيما يكتب فلا يزيد ولا ينقص ولا يبدل ويغير لقوله تعالى: ﴿فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ﴾.

ورابع الأحكام: أن من يُحسن الكتابة إذا احتيج إليه ليكتب بين متداينين وجب عليه أن يكتب لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ﴾ أي شكراً لله تعالى على تعليمه الكتابة.

وخامس أحكام هذه الآية: أن الذي يُملي على الكاتب هو الذي عليه الحق ليكون إملاؤه اعترافاً بالحق وتقريراً له، لقوله تعالى: ﴿وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ﴾، كما نهاه أن ينقص من الدَّيْن شيئاً إذ قال تعالى: ﴿وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ﴾.

وسادس أحكامها: إن كان الذي عليه الحق قاصراً لسفه أو خوف فليملل وليه بالعدل، أي بالقسط بلا زيادة في الدَّيْن ولا نقصٍ منه.

وسابع الأحكام: الإشهاد على صك الكتابة ويشهد رجلان، فإن تعذر وجود رجلين فرجل وامرأتان إذ قال تعالى: ﴿وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ﴾.

وثامن الأحكام: حرمة رفض الشهود الشهادة إذا دعوا إليها، وتوقف حق المرء على شهادتهما إذ قال تعالى: ﴿وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ﴾ أي لأداء الشهادة.

وتاسع الأحكام: الحث على كتابة الدَّيْن، قليلاً كان أو كثيراً إذ قال تعالى: ﴿وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ﴾.

وعاشر الأحكام: العفو عن عدم الكتابة في التجارة الحاضرة كأن يشتري المرء قنطاراً تمراً أو سكراً على أن يسدد الثمن بعد يوم أو أيام مثلاً فإنه لا تتعين كتابة هذا الدَّيْن.

وحادي عشر الأحكام: وجوب الإشهاد على البيع. فمن باع داراً أو بستاناً أو سيارة فليكتب ويُشهد على الكتابة إذ قال تعالى: ﴿وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ﴾.

وثاني عشر الأحكام: أن لا يُضَارَّ كاتبٌ ولا شهيد كأن يدعى الكاتب أو الشاهد إلى مكان بعيد أو إلى وقت يعطل فيه عمله، أو يضيع فيه حقوقه إذ قال تعالى: ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ﴾، ومن الإضرار بالكاتب والشهيد أن يطلب إليهم أن يكتبوا باطلاً أو يشهدوا زوراً.

وثالث عشر الأحكام: الأمر بتقوى الله ووعد الله تعالى للمتقين بأن يعلمهم ما

ينفعهم في دنياهم وأُخراهم بما يؤتيهم من نور في قلوبهم يفرقون به بين الحق والباطل والرابح والخاسر إذ قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩].

بعد هذه الأحكام التي اشتملت عليها آية الدَّيْن العظيمة، فإليك بعض البيانات الهامة:

١ ـ شهود المال لا يقلون عن اثنين، وأما شهود الزنا فهم أربعة لا يقلون عنها.

٢ ـ لا يشهد الصغير ولا العبد المملوك.

٣ ـ إن وُجد شاهد فقط تتم الشهادة باليمين.

٤ ـ خير الشهود الذي يأتي بشهادته قبل أن يُسألها للحديث في ذلك.

٥ ـ أول من جحد آدم فجحد بنوه، لذا شرع الله الكتابة في البيوع والديون لحديث أبي داود.

وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين

النداء الثاني عشر

التحذير من طاعة بعض أهل الكتاب حتى لا يفسدوا على المؤمن دينه

الآيتان (١٠٠، ١٠١) من سورة آل عمران

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾.

الشــرح:

اذكر أيها القارئ الكريم أن الله تعالى ما ينادي المؤمنين إلا ليأمرهم بما فيه سعادتهم في دنياهم وأُخراهم، أو لينهاهم عما فيه خسرانهم وشقاؤهم في دنياهم وأُخراهم، أو ليبشرهم بما يزيد حبهم في الله وطاعة له وحباً فيه، أو ليحذرهم وينذرهم بما فيه خطر أو شر، وذلك لأنهم إن اتقوه كانوا أولياءه، وأولياؤه تعالى لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وهذا هو الفوز العظيم.

وها هو ذا تبارك وتعالى ناداهم ليخبرهم محذراً لهم من طاعة بعض أهل الكتاب من اليهود والنصارى؛ فإنهم إن أطاعوهم كفّروهم بردتهم عن الإسلام، فقال عزّ وجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ أي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً ورسولاً ﴿إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ وهم الحاقدون على الإسلام والمسلمين، المغتاظون لظهور الإسلام وانتشار نوره في المشرق والمغرب، إن تطيعوهم فيما يزينون لكم ويحسنون من الباطل والكفر الخفي، وفيما يقبحون لكم من أحكام الإسلام، وعباداته، وآدابه، وأخلاقه، بدعوى أنها منافية للديمقراطية والحرية الشخصية، أو أنها تعوق عن التقدم الحضاري، أو أنها كانت فيما مضى صالحة، أما اليوم فنحن في عصر الذرة وغزو الفضاء، فإنها تُخلِّف أصحابها وتَقْعُدُ بهم دون الحضارة والتقدم.

هؤلاء وهم طائفة اليهود والنصارى ممن يدّعون العلم والمعرفة، وهم يحملون العداء

للإسلام وأهله، هؤلاء إن تطيعوهم فتعتقدوا صحة ما يزينون لكم، وتأخذوا بما يقدمون لكم من توجيهات وإرشادات ظاهرها أنها في صالحكم وباطنها فيه خزيكم، وذلكم هؤلاء إن تطيعوهم يردوكم بعد إيمانكم كافرين. إذاً فالحذر الحذر أيها المؤمنون، وخذوا بهذه النصائح القرآنية الغالية، فإنكم تنجون من كيد أعدائكم الماكرين بكم، الطالبين بُعدكم عن مصدر عزكم وقوتكم وسيادتكم وقيادتكم.

واعلموا أن في الآية الكريمة بعد هذه مباشرة أكبر حصن لكم، وأعظم سور لمناعتكم من أعدائكم الكائدين لكم من هذا الفريق الذي تقدمت صفاته وهم أهل الحقد والتغيظ على الإسلام وأهله؛ لشعورهم أن الإسلام هو سبيل النجاة، وأن ما هم عليه من اليهودية أو النصرانية هو طريق الخسران في الدنيا والآخرة. وإنما منعهم من الإسلام حب الرئاسة، والمصالح المادية التي يعيشون عليها بين أتباعهم، والشهوات المسيطرة على نفوسهم؛ لأن الإسلام يحرم منها ويبعد من ساحتها؛ لذا هم مصرون على الكفر وتكفير المؤمنين ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً. ومثل هؤلاء بعض رجالات الرافضة في كونهم يبغضون أهل السنة والجماعة، ويبذلون الغالي والرخيص في صرف أهل السنة والجماعة عن سبيل النجاة إلى سبيل الهلاك بالتشيّع القائم على تكفير خيرة الأصحاب: أبي بكر وعمر وعثمان وغيرهم، وتحريف معاني آيات الله، وأحاديث رسول الله ﷺ تصحيحاً لمذهبهم الباطل، لحمل الأجيال على اعتناقه ليهلكوا معهم ويحرموا الجنة دار السلام مثلهم، لأن الذي يكفر مؤمناً فهو كافر. فما بالك بالذي يكفر من رضي الله عنهم وأنزل ذلك في كتابه في قوله: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨] وهم ألف وأربعمائة من أصحاب رسول الله ﷺ، وعلى رأسهم العشرة المبشرون بالجنة، فكيف يرضى عنهم اليوم ويخبر برضاه عنهم ويكفرون بعد موت نبيهم، إن هذا اتهام لله عزّ وجلّ بأنه لا يعلم الغيب وأنه كالإنسان يرضى اليوم ويغضب غداً، وهذا هو الكفر بعينيه كما يقال. فتنبه أيُّها المؤمن القارئ المستمع لهذا النداء...

أما الحصن المانع من الوقوع في الكفر الذي يدعو إليه الحاقدون على الإسلام من يهود، ونصارى، ورافضة، فهو في قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ﴾. ومعنى هذه الآية أنه من العجيب أن يكفر مؤمن تُتلى عليه آيات الله، وبين يديه رسوله يوجهه ويرشده ويحميه من مضلات الفتن. ومعنى هذا أن المناعة كل المناعة للمؤمن من الزيغ والكفر في العمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ. فعلى المؤمنين أن يُحيُوا عهد رسول الله ﷺ وذلك بأن يتعاهدوا في مدنهم وقراهم على الاجتماع كل ليلة في بيوت ربهم من صلاة المغرب إلى صلاة العشاء يتعلمون

الكتاب والحكمة ويعملون بما يعلمون بجد وصراحة وصدق، وذلك طول الحياة فلا يتخلف رجل ولا امرأة ولا طفل إلا معذور بمرض أو تمريض، وأما المسافر فإنه يأتي مسجد أهل البلد الذي سافر إليه ويشهد معهم الصلاتين، ويسمع معهم الكتاب والحكمة، ويعمل بهما ويُعلّمهما، وبذلك يعظم ويفوز.

وأخيراً يخبر تعالى عباده المؤمنين مبشراً لهم بأن من يعتصم بالله أي بكتابه وسنة رسوله فقد هُدي إلى صراط مستقيم، فلا يضل ولا يشقى.

وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين

النداء الثالث عشر

في الأمر بتقوى الله والموت على الإسلام

الآية (١٠٢) من سورة آل عمران

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ .

الشـــرح:

اعلم أيُّها القارئ الكريم أن هذا النداء الإلهي يحمل أمرين عظيمين من التكليف، ولولا الله ما قدر مؤمن على النهوض بهما، إلا أن العبد إذا صدق ربه وأخلص النية والعمل له، ولجأ في صدق إليه سبحانه وتعالى، فإن الله عزّ وجلّ لا يخيبه بل يسدده ويعينه حتى يأتي بهذين المطلبين العظيمين اللذين هما تقوى الله حق تقاته، والموت على الإسلام، إذ قال تعالى: ﴿ يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ .

واعلم أيُّها المؤمن أن الأمر بالتقوى أمر به تعالى عباده المؤمنين في عشرات الآيات، وإنما قوله هنا حق تقاته، هذا الذي حير عقول العلماء إذ ليس في قدرة العبد ذلك، إذ لو ذاب العبد وتحلل وتبخر من خشية الله تعالى ما كان ذلك وافياً بتقوى الجبار الذي يقول للشيء كن فيكون، والذي الأرض جميعاً قبضته يوم القيامة، والسموات مطويات بيمينه، والذي يحيي ويميت ويعز ويذل، وهو على كل شيء قدير.

وقد ذكر أهل العلم من السلف الصالح أن تقوى الله حق تقاته هي أن يُذكر تعالى فلا يُنسى، وأن يُطاع فلا يُعصى، وأن يُشكر فلا يُكفر، والذي يخفف على المؤمن همه في تقوى الله حق تقاته هو قول الله تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦] فهذه الآية كالمخصصة لعموم قوله تعالى في هذه الآية: ﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ والحمد لله.

ولنعلم أيها المؤمن أن العبد إذا حمل هم تقوى الله حق تقاته فأصبح يذكر ولا ينسى، ويشكر ولا يكفر، ويطيع ولا يعصي، وذلك في أغلب أوقاته، وأكثر أحواله، فإنه بحمد الله تعالى يحقق المطلوب منه وهو أن يتقي الله حق تقاته في حدود طاقته البشرية وخوفه الإنساني.

واذكر أيها المؤمن أن تقوى الله عزّ وجلّ هي طاعته، وطاعة رسوله، بفعل الأوامر واجتناب النواهي في حدود الطاقة البشرية، إلا أن هذه الطاعة متوقفة على معرفة الأوامر وكيف تُفعل، ومعرفة النواهي وبمَ تُترك. وهنا يتعين طلب العلم وهو معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته، معرفةٌ تُثمر حبه تعالى في القلب، وخشيته في النفس، ومعرفة أوامره ونواهيه، ومعرفة محابه ومكارهه، ليحب العبد ما يحب ربه ويكره ما يكره، وبهذه التقوى تتحقق للعبد ولاية الرب عزّ وجلّ، ومتى ظفر العبد بهذا المطلب السامي؛ وهو ولاية الله تعالى فقد فاز بالسعادة في الدارين وتلك أُمنية العاملين، وهدف السّاعين من المؤمنين.

كان هذا بيان تقوى الله حق تقاته، وأما بيان قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ فإن الله تعالى لما أمرنا بتقواه حق التقوى، نهانا أن نموت على غير الإسلام، كاليهودية، أو النصرانية، أو غيرهما من الأديان الباطلة، وهل يملك المرء أن يموت على الإسلام أو غير الإسلام؟ والجواب: أن على العبد أن يُسلم قلبه ووجهه لله تعالى، فلا يتقلب قلبه إلا في طاعة الله وطلب مرضاته، ولا يوجه وجهه راغباً وراهباً، إلا إلى الله عزّ وجلّ، ويستمر على ذلك، فإنه لا يموت إلا على تلك الحال وهي الإسلام، ومعنى هذا أن الاستمرار على طاعة الله ورسوله مع العزم على الموت على الإسلام سيؤدي قطعاً بالعبد أن يموت مسلماً. وكيف وهو يكره أن يعود إلى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يُقذف في النار، وذلك لما يُوجده الإيمان الصحيح الذي يرضى صاحبه أن يقتل ويصلب ويحرق ويمزق ولا يرضى أن يكفر بعد إيمانه وطاعته لربه وحصوله على رضاه.

فاذكر هذا أيُّها المؤمن وواصل طريق تقواك لله، فإنك ضامن أن لا تموت إلا على الإسلام بمشيئة الرحمن جلّ جلالُه، وعَظُم سلطانُه.

وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين

النداء الرابع عشر

في حرمة اتخاذ البطانة من غير المؤمنين، وبيان أثرها السيئ

الآية (١١٨) من سورة آل عمران

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ (١١٨)﴾.

الشرح:

اذكر أيها القارئ والمستمع الكريمان ما سبق من أسرار نداءات الرحمن في كتابه للمؤمنين به وبلقائه، إن منها إنذارهم وتحذيرهم من كل ما يرديهم أو يشقيهم. وها هو تعالى هنا يناديهم ليمنعهم ويحرم عليهم اتخاذ بطانة من غير المؤمنين كاليهود، والنصارى، والمشركين، يطلعونهم على بواطن أمورهم، وأسرار دولتهم وبخاصة الأسرار الحربية والمالية؛ فإن في هذا خطراً عظيماً على الدولة المسلمة، قد يؤدي بها إلى التلاشي بعد الفرقة والهزيمة، والعياذ بالله من كل شر وسوء يصيب الإسلام وأهله ودولتهم. فلنتأمل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾، فالبطانة من يطلع على بواطن الأمور وخفاياها، ومن دوننا هم قطعاً الكفار، وسواء كانوا أهل كتاب أو مشركين. ولنتأمل قوله: ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ أي لا يقصرون في إفساد أموركم عنكم بشتى الوسائل تحت شعار العلم والمعرفة، أو النصح والتوجيه. ولنتأمل قوله تعالى: ﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾ أي أحبوا حباً عظيماً كل ما يوقعكم في العنت والمشقة، حتى تحرموا سعادة الدنيا وهناءها وتصبحوا عالة عليهم، ومحتاجين إليهم لتذلكم الحاجة، وتهينكم بين أيديهم. ولنتأمل قوله تعالى: ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ أي قد ظهرت البغضاء وهي شدة بغضهم لكم لأنكم مسلمون وهم كافرون. وقال بأفواههم ولم يقل بألسنتهم إشارة إلى أنهم إذا تكلموا لكم ناصحين ومعلمين يتشدقون بالكلام، فتمتلئ أفواههم به إظهاراً للرغبة في نفعكم وخيركم. والمتأمل الواعي البصير يعرف هذا من كلامهم، وما تخفي صدورهم من التغيظ عليكم والبغض

لكم أكبر مما يظهر من كلامهم. ولنتأمل قوله تعالى: ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ فلننظر، فتتجلى لنا نعمة الرحمن الرحيم بعباده المؤمنين، إنها منّته تعالى علينا، حيث منعنا من اتخاذ البطانة من غيرنا صرفاً للشر والأذى عنا، وإبقاء على نورنا وهدايتنا وكرامتنا. إنه يُعقّبُ على نعمة البيان والهداية بقوله: ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ الكاشفة لنا عن مخبئات أعدائنا لنا من الحسد والكره والغيظ والبغض. إن كنّا نعقل عنه سبحانه وتعالى ما ينزله علينا ويخاطبنا به إكراماً منه لنا فلله الحمد والمِنّة. ألا فليعلم هذا كل مسؤول في دولة الإسلام وليعمل به ولا يعرض عنه ولا يتنكر له، فإنه المناعة التامة للحفاظ على دولة الإسلام وقوتها وامتداد ظلها في العالمين.

ولنورد أخيراً ما يثبت به ما بيناه من هداية هذه الآية الكريمة الحاملة للنصيحة والتوجيه الرباني لأمة الإسلام، فهذا البخاري يروي في صحيحه تعليقاً أن النبي ﷺ قال: **«ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة إلا كان له بطانتان: بطانة تأمره بالخير وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالسوء وتحضه عليه، والمعصوم من عصمه الله»**، من هنا وجب على كل من وَلِي أمر المسلمين أن يعرف هذا ويحذر من بطانة السوء فلا يقبل اقتراحاتها ولا توجيهاتها، ويقبل ما تقدمه البطانة الصالحة ويشكرها عليه ويقربها منه ويدنيها إليه. وهذا عمر رضي الله عنه قال له أحد رجاله: إن ههنا رجلاً من نصارى الحيرة لا أحد أكتب ولا أخط بالقلم منه أفلا يكتب عنك؟ فقال: لا آخذ بطانة من دون المؤمنين. وجاء أيضاً أبو موسى الأشعري بحَسَّاب نصراني لعمر رضي الله عنه فانتهره وقال: لا تُدنهم وقد أقصاهم الله، ولا تكرمهم وقد أهانهم الله ولا تأمنهم وقد خونهم الله.

قل لي أيها المؤمن، أبعد هذا يجوز اتخاذ بطائن من أهل غير الإسلام، يطلعون على بواطن أمور الدولة والأمة؟ والجواب لا، لا وليس معنى هذا أن لا نستخدم غير المؤمنين إذا دعت الحاجة إلى استخدامهم، وإنما لا نطلعهم على بواطن أمورنا ولا نضعهم في مقاعد التكريم والإكبار والإجلال ونترك أهل العلم والإيمان.

وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين

النداء الخامس عشر

في النهي عن أكل الربا والأمر بتقوى الله عزّ وجلّ

الآية (١٣٠) من سورة آل عمران

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾﴾.

الشـــرح:

اعلم أيها المؤمن زادك الله علماً ووفقني وإياك للعمل بما نعلم، فإن العلم بلا عمل كشجر بلا ثمر. ورضي الله عن علي بن أبي طالب، إذ قال: العلم يهتف بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل. وإن قلت لي: ماذا أعلم؟ قلت لك اعلم عظم ذنب آكل الربا واحذره، فإن الله تعالى ما توعد أهل الإيمان بعذاب النار كما توعد آكل الربا؛ إذ قال تعالى: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٥] وها هو ذا تعالى في هذا النداء الخامس عشر من نداءات الله تعالى لعباده المؤمنين ينهاهم عن أكل الربا ويأمرهم بالتقوى ويطمعهم في الفلاح الذي هو النجاة من النار ودخول الجنة، فيقول لهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ۖ﴾ إذ كان الرجل يستقرض من آخر مالاً إلى أجل معين، فإذا حل الأجل ولم يجد سداداً يقول لمن أقرضه أخِّر وزد فيؤخر ويزيد فيه، فإذا حل الأجل ولم يجد سداداً فيقول له أخر وزد أيضاً. وهكذا حتى يصبح القرض الذي كان مائة درهم ـ مئات الدراهم. وهذا هو ربا النسيئة الذي يتضاعف. أما ربا الفضل فإنه تحصل فيه الزيادة فور البيع بأن يبيعه قنطار بر بقنطار ونصف براً، ويبيعه ألف درهم بألف وعشرة مثلاً. وهكذا في كل الربويات، وهي الذهب والفضة والبر والشعير والتمر والملح وما يلحق بها من كل مقتات مدخر، إذ هذه الربويات لا تباع إلا كيلاً بكيل، أو وزناً بوزن بلا زيادة إلا أن تختلف أجناسها كبيع فضة بذهب أو بر بشعير أو تمر بملح مثلاً، فلا بأس بالزيادة على شرط أن يتم البيع في مجلس واحد لقول الرسول ﷺ: «**إذا اختلفت الأجناس فبيعوا كيف شئتم إذا كان يداً بيد ها وها...**».

واعلم أيها المؤمن أن ربا البنوك اليوم أكثر ظلماً وأعظم ذنباً من ربا الجاهلية الذي حرمه الله تعالى في هذه الآية وفي غيرها من آيات البقرة؛ لأن ربا البنوك من وضع اليهود، واليهود لا رحمة عندهم، ولا شفقة في نفوسهم على غير بني جلدتهم، فإن البنك إذا أقرض امرأً ألفاً إلى أجل يكتبها عليه ألفاً ومائة، وإذا تأخر سدادها رفع قيمتها حتى تكون أضعافاً مضاعفة، أما ربا الجاهلية من العرب فإنه لا يزيد عليه شيئاً إذا سلم الدَّيْن في وقته الذي حل فيه، وإنما يزيد عليه إذا حل الأجل ولم يسدد فقط.

لعلك أيها القارئ الكريم ترى أن الربا إذا كان غير مضاعف لا بأس به، لما قد يفهم من هذه الآية: ﴿لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَـٰفًا مُّضَـٰعَفَةً﴾ إياك أن يعلق بذهنك هذا المعنى؛ فإنه غير وارد أبداً. وإنما الآية ذكرت حال المرابين في عصر الجاهلية فعاتبتهم على ذلك. أما بعد أن حرم الله الربا فإنه حرمه تحريماً مطلقاً لا فرق بين كثيره وقليله. واسمع رسول الله ﷺ يقرر هذه الحقيقة فيقول: «**درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم أشد من ست وثلاثين زنية**»[١]. ويقول ﷺ: «**الربا ثلاثة وسبعون باباً أيسرها أن ينكح الرجل أمه، وإن أربى الربا عرض الرجل المسلم**»[٢]. ألا فليجتنب المؤمن الربا وليبتعد عنه. وليذكر ما يساعده على ذلك من قول الرسول ﷺ: «**اجتنبوا السبع الموبقات**» فيُسأل عنها فيقول: «**الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات**»[٣]. وهل تدري ما علة تحريم الربا؟

إنها ما يلي:

١ ـ المحافظة على مال المسلم حتى لا يُؤكل بالباطل.

٢ ـ توجيه المسلم إلى استثمار ماله في أوجه المكاسب الشريفة الخالية من الاحتيال والخديعة والغش، كالفلاحة والصناعة والتجارة.

٣ ـ سد الطرق المفضية بالمسلم إلى عداوة أخيه المسلم وبغضه وكرهه.

٤ ـ فتح أبواب البر في وجه المسلم ليتزود لآخرته فيقرض أخاه المسلم بلا فائدة وينتظر ميسرتَه بلا فائدة وييسر عليه أمره ويرحمه ابتغاء مرضاة الله؛ وفي هذا ما يشيع المودة بين المسلمين ويقوي روح الإخاء والحب والتصافي بينهم.

فاذكر هذا أيها المؤمن وعلّمه غيرك من إخوانك المؤمنين.

وأخيراً: هل عرفت لمَ جاء الأمر بتقوى الله تعالى بعد النهي عن أكل الربا في

---

(١) رواه أحمد بسند صحيح.

(٢) متفق عليه.

(٣) متفق عليه.

هذا النداء؟ إذ قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾؟ إنه من أجل إرهاب النفوس وإخافتها من عاقبة الإصرار على أكل الربا؛ لأن الله تعالى لرحمته بعباده لم يأذن لأحد منهم أن يأكل مال أخيه بغير حق. وتقوى الله تكون بامتثال أمره واجتناب نهيه، ومن امتثل أمر الله فاتقاه وأطاعه فلم يأكل الربا، فقد تهيأ للفلاح وهو كما عرفت الفوز بدخول الجنة بعد النجاة من النار.

ألا فلنطع الله فلا نأكل الربا، ونتقي الله فلا نعصيه في أمر، أو في نهي، لنظفر بأعظم ربح، ونغنم أفضل غنم ألا وهو الفلاح. جعلنا الله من أهله الفائزين به الناجين من النار الساكنين الجنة دار الأبرار.

وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين

النداء السادس عشر

في حرمة طاعة الكفار
وما يترتب عليها من هلاك وخسران

الآيتان (١٤٩ ، ١٥٠) من سورة آل عمران

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَـٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّـٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾﴾.

الشـــرح:

اذكر أيها القارئ الكريم أن هذا النداء الإلهي لعباده المؤمنين يحمل تحذيراً لهم وإنذاراً من الوقوع في فتنة الكفر بعد الإيمان، والضلال بعد الهداية، بل والموت بعد الحياة، إذ الكافر ضال بكفره ميت، والعياذ بالله من الكفر بعد الإيمان، والموت بعد الحياة. إنه لما تمت تلك الهزيمة للمؤمنين في معركة أُحد الخالدة، بسبب معصية بعضهم لرسول الله ﷺ وما من حقهم أن يعصوه، وما عصوه كفراً به ولا استخفافاً بطاعته، ولكن زين لهم الشيطان وحسنت لهم نفوسهم ترك المراكز الدفاعية التي أنزلهم الرسول بها وحذرهم من تركها ومغادرتها مهما كانت الظروف والأحوال، إلا أنهم لما شاهدوا العدو فاراً منهزماً وإخوانهم في صفوف القتال يجمعون الغنائم هبطوا من جبل الرماة وجَروا وراء العدو يجمعون الغنائم كإخوانهم، وما إن أخلوا مراكزهم الدفاعية حتى مال إليها العدو واحتلها وسلط عليهم وابل السهام والنبال فهزمهم، وفروا هاربين تاركين رسولهم، تسيل دماؤه، وهو يدعوهم: إليّ عباد الله، إليّ عباد الله. كما قال الله تعالى: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَـٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ﴾ [آل عمران: ١٥٣] **الأول**: غم فوات النصر والغنيمة. **والثاني**: القتل وجراحات نبيهم ﷺ إذ جرح في وجهه وكسرت رباعيته ﷺ، وهنا في هذه الحالة المحزنة المخيفة قال من قال من المنافقين، ارجعوا إلى دينكم وإخوانكم فلو كان محمدٌ نبياً ما قُتل عمه وكثير من أصحابه، وجرح هو وكسرت رباعيته. . . ومنهم من قال: استكينوا لأبي سفيان وأصحابه واستأمنوهم، أي اطلبوا أمنكم منهم،

لأنهم الغالبون إلى غير هذا مما هو رغبة في العودة إلى الكفر بعد الإيمان، والعياذ بالله الرحمن.

وفي هذا نزلت هذه الآية الكريمة وما بعدها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾﴾. فدلت **أولاً**: على أن الذين نادوا بالعودة إلى دين الآباء، والاستكانة إلى قائد المشركين، وطلب الأمن منه، هم كفار في الباطن مؤمنون في الظاهر، وهم المنافقون ورؤساؤهم كابن أُبي وإخوانه.

وثانياً: أن طاعة الكافر والأخذ برأيه أو توجيهه وإرشاده تؤدي بمن أطاعه إلى الكفر حتماً، ومن كفر بعد إيمانه فقد خسر خسراناً مبيناً، وليس هذا خاصاً بزمان دون زمان أو مكان دون مكان، بل طاعة الكافر تؤدي بالمطيع حتماً إلى الكفر، إذ الكافر لا يأمر ولا يدعو ولا يهدي إلا إلى ما هو فيه وعليه، من الضلال والكفر، والخبث، والشر، والفساد.

وثالثاً: أن الطاعة الواجبة وهي المنجية من الخسران في الدنيا والآخرة هي طاعة الله ورسوله، وأولي الأمر من المؤمنين، لا طاعة الكافرين والمنافقين؛ لأن من طلب النصر على العدو فليطلبه من الله مولاه القوي القدير العزيز، الحكيم، العليم، الخبير، لا من عدوه وعدو مولاه، وهو الكافر الضال الحائر الهالك المتهالك، فهل مثل هذا يطلب منه النصر؟ ولنعُد إلى تلاوة الآية الكريمة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ﴾. أي أطيعوه واطلبوا النصر منه، فإنه ينصركم وهو خير الناصرين. ألا فليعلم هذا عباد الله اليوم وليؤمنوا بالله وليتقوه فيصبحوا حقاً عبيده، وهو مولاهم الحق الذي لا مولى لهم سواه، ويومئذٍ إن أصابهم خوف، أو حلت بهم هزيمة لمخالفتهم هدي ربهم ونبيه ﷺ فليطلبوا النصر منه سبحانه وتعالى فإنه ينصرهم ولا يذلهم ولا يخزيهم، وكيف لا، وهو مولاهم، وهم لا مولى لهم سواه.

ألا فليعلم هذا كل مؤمن ومؤمنة، وليطيعوا ربهم، ونبيهم وولي أمرهم منهم.. ولا يقبلوا طاعة غيرهم من أهل الكفر، والنفاق، والشرك، والجهل، من العرب أو العجم على حد سواء وليطلبوا نصر الله على من عاداهم أو حاربهم أو سالمهم فإن الله لا يخلف وعده في قوله: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٩﴾﴾ [محمد: ٧ ـ ٩] ألا فلنُقبل على الله في صدق ولنثق في وعده فإن الله لا يخلف وعده.

وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

النداء السابع عشر

في حرمة التشبه بالكافرين والمنافقين في عقائدهم وسلوكهم

الآية (١٥٦) من سورة آل عمران

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَٱللَّهُ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾﴾.

الشـــرح:

من مظاهر رحمة الله بالمؤمنين وإكرامه لهم؛ لأنهم أولياؤه بإيمانهم به وبلقائه وتقواهم له بفعل أوامره، واجتناب نواهيه من مظاهر إكرامه لهم أنه لم يرض لهم أن يتشبهوا بأعدائه وأعدائهم وهم الكفرة المشركون والمنافقون، إذ ناداهم بعنوان الإيمان قائلاً: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾. ونهاهم عن التشبه بالكافرين والمنافقين بقوله: ﴿لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ والكفر أقبح ذنب وأسوأه أي لا تكونوا مثلهم في الكفر والنفاق، وفيما يتولد عنه من الظلم والخبث والشر والفساد وسوء الأخلاق، ومن ذلك قولهم لإخوانهم في الكفر والنفاق إذا ضربوا في الأرض أي خرجوا مسافرين في تجارة وغيرها وأصابهم حادث من خوف أو جوع أو مرض فماتوا أو خرجوا غُزاة مقاتلين فقُتلوا في المعارك الجهادية وهم من المؤمنين الصادقين بوصفهم مؤمنين في الظاهر وهم كافرون في الباطن؛ إذ النفاق هو إظهار الإيمان وإخفاء الكفر في النفس، فقالوا لإخوانهم المنافقين في مجالسهم الخاصة لو كان فلان وفلان وفلان عندنا ما خرجوا مسافرين غزاة مقاتلين، وما ماتوا وما قُتلوا، فيُنتج لهم هذا القول حسب سنة الله تعالى الحسرة والندم والحزن والألم في نفوسهم، كما قال تعالى: ﴿لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ﴾ أي حسب سنته ﴿حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ فنهى الله تبارك وتعالى عباده المؤمنين عن التشبه بحال الكافرين والمنافقين الظاهرة والباطنة حتى في السلوك النفسي الخفي، كهذا الذي هو قولهم لإخوانهم: لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قُتلوا، لما ينتج ذلك من الحسرة التي

هي ألم يأخذ بخناق النفس بسبب فوت مرغوب، أو فقد محبوب، والله تعالى لا يحب لأوليائه وصالحي عباده المؤمنين به وبلقائه والمطيعين له، ولرسوله، لا يحب لهم ما يؤذيهم من حزن أو حسرة أو ندم، فلذا نهاهم عن التشبه بالكافرين بقوله: و﴿لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُوا۟ غُزًّى لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟﴾. ثم ذكرهم بقوله: ﴿وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ ليعلمهم أن الله تعالى هو الذي بيده الحياة والموت فقد يُحيي المسافر والغازي، ويُميت[1] المقيم في داره وبين أهله، والقاعد عن القتال دون غيره. إذ الأمر له وهو على كل شيء قدير، فلا معنى إذاً لما يردده أولئك الكافرون من قولهم: لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا، إلا أن يجعل الله تعالى ذلك حسرة في قلوبهم.

ألا فليحذر المؤمنون مثل هذا القول فإنه قول باطل، ويجلب الألم والحسرة والعياذ بالله تعالى، كما يحذرون كل تشبه بالكافرين في الزيّ والسلوك وحتى التفكير والهَمّ بالأمور للفوارق بين المؤمنين والكافرين في الاعتقاد، والقول والعمل والصفات الظاهرة والباطنة. وختم تعالى توجيهه لعباده المؤمنين بقوله: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ تأكيداً لنهيه لعباده المؤمنين عن التشبه بالكافرين في الظاهر والباطن لما فيه من الضرر والفساد وسوء الحال والمآل فأعلمهم أنه بصير بأعمالهم الظاهرة والباطنة ألا فليعلموا ذلك وليحذروا التشبه بأعدائهم، وإلا فستحل العقوبة بهم كما حلت بغيرهم، لأن لله تعالى سنناً لا تتبدل ولا تتحول...

هذا ولنذكر قول الرسول ﷺ: «**من تشبه بقوم فهو منهم**» فمن تشبه بالصالحين فهو صالح، ومن تشبه بالفاسدين فهو فاسد، لأن سنة الله تعالى في أن من رغب في شيء وطلبه بجد ورغبة حصل عليه، وفاز به، وما تشبه أحد بآخر إلا لرغبة في نفسه أن يكون مثله فهو كائن إذاً لا محالة، وصدق رسول الله ﷺ القائل: «**من تشبه بقوم فهو منهم**».

وأخيراً أيها القارئ أو المستمع لهذا النداء وما حواه من النهي عن التشبه بالكافرين في الاعتقاد والقول والعمل والفهم، وحتى الذوق، فاحذر أن يراك الله تعالى تتعمد التشبه بالكافرين، فإن عذاب الله شديد، واذكر قوله: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ولا تغفل عنه ولا تنسه.

وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين

---

(١) يُروى أن خالد بن الوليد رضي الله عنه قال عند موته: ما في موضع شبر إلا وفيه ضربة بسيف أو طعنة برمح وها أنذا أموت كما يموت البعير، فلا نامت أعين الجبناء!!؟!

النداء الثامن عشر

في الأمر بالصبر والمصابرة والرباط، والتقوى رجاء الفلاح

الآية (٢٠٠) من سورة آل عمران

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾.

الشـــرح:

اذكر أيها القارئ الكريم أن الله تعالى ينادي المؤمنين؛ لأنهم أحياء بإيمانهم بالله رباً، وبمحمد رسولاً، وبالإسلام ديناً، والحيُّ إذا نُودي سمع، وإذا أُمر أطاع، وإذا نُهي انتهى، وإذا أُنعم عليه شكر، وإذا أُوذي في الله صبر، والكافر لا نصيب له من هذه المظاهر الحيوية، وذلك لكفره بالله، ورسوله ودينه.

واذكر ما ناداهم لأجله في هذا النداء وهو الصبر والمصابرة، والرباط والتقوى وإليك بيانها:

١ ـ **الصبر**: وهو حبس النفس على ما تكره وله ثلاثة مواطن، **الأول**: الصبر على طاعة الله، ورسوله، وأولي الأمر من المؤمنين، **والثاني**: الصبر عن ترك ما حرم الله ورسوله من الأقوال والأفعال والصفات. **والثالث**: الصبر على البلاء الذي يبتلي به الله تعالى عباده المؤمنين تكفيراً لذنوبهم، أو رفعاً لدرجاتهم، والصبر على البلاء معناه الرضا به والتسليم لله تعالى فيما ابتلاه به، وآية ذلك عدم الجزع والسخط، والإكثار من حمد الله تعالى على قضائه، وابتلائه.

٢ ـ **المصابرة**: وهي الصبر في وجه العدو الصابر، لذا كانت المصابرة أشد من الصبر، لأنها صبر في وجه عدو صابر. فأيهما لم يثبت على صبره سقط وهلك. ولذا كان النجاح والغلبة لأيهما أطول صبراً. يؤكد هذا قول وفر بن الحارث في اعتذاره عن الانهزام إذ قال شعراً:

سقيناهم كأساً سقونا بمثلها ولكنهم كانوا على الموت أصبرا

٣ ـ **المرابطة**: وهي لغة مصدر رابط يرابط رباطاً ومرابطة، وهي في الشرع ربط النفس والخيل والعتاد الحربي في الثغور الإسلامية، وهي الأماكن التي يُخشى أن يتسرب منها العدو إلى بلاد المسلمين، وهي غالباً ما تكون على السواحل البحرية، والأماكن الخالية من المدن كما تكون في حدود بلاد العدو المتصلة بالبلاد الإسلامية. والرباط فرض كفائي، إذا قام به من يؤمن حدود بلاد المسلمين ويرهب عدوهم سقط الواجب عن الباقين إذ هو كالجهاد، ويتعين على من عينه الإمام عليه. وفيه يقول الله تعالى في سورة الأنفال: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

وللرباط فضل عظيم، فقد روى البخاري عن أنس رضي الله عنه قوله: «**رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها**» وروى مسلم عنه ﷺ: «**رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه**» وإن من مات مرابطاً جرى عليه عمله الذي كان يعمله وأُجري عليه رزقه، وأمن الفتان أي في قبره.

واعلم أن الجيوش الإسلامية اليوم إن هم أقاموا الصلاة في ثكناتهم، واتقوا الله فلم يعصوه بترك واجب أو فعل مكروه، ثم نووا الرباط في سبيل الله لحماية بلاد المسلمين فإنهم مرابطون، ويجري لهم كل ما ورد في فضل الرباط والمرابطين.

٤ ـ **التقوى**: وهي تقوى الله عزّ وجلّ بالخوف منه والخشية من عقابه، وأليم عذابه الحاملة للعبد على طاعة الله وطاعة رسوله بفعل الأوامر واجتناب النواهي، في السراء والضراء والمنشط والمكره، والعسر واليسر. هذه التقوى هي التي بها وبالإيمان يتحقق للعبد ولاية الرحمن وما بعد ولاية الرحمن من مطلب أسمى ومقام أعلى. إذ أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون لا في الدنيا، ولا في البرزخ، ولا في يوم القيامة. ولهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

وبعد، اذكر أيها القارئ الكريم هذه الأوامر الأربعة التي تضمنها هذا النداء الكريم، اذكر وعد الله تعالى لأهلها وهو الفلاح. وما هو الفلاح؟ إنه الفوز العظيم المتمثل في دخول الجنة بعد النجاة من النار. واذكر أن هذه الأوامر الأربعة سرها أن تزكي النفس وتطهرها من أوضار الذنوب والآثام، وإذا زكت النفس وطهرت استحقت الفلاح. واقرأ لذلك قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [الشمس: ٩، ١٠] واذكر للفوز قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ۝١٨٥﴾ [آل عمران: ١٨٥].

ألا فلنذكر هذا أيها القارئ والمستمع، ولا ننسه. والله ولي من تولاه.

وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين

النداء التاسع عشر

في تحريم إرث النساء ومنعهن حتى يُسَلمنَ ما أخذن من المهور

الآية (١٩) من سورة النساء

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾﴾.

الشـــرح:

اعلم أيها القارئ الكريم أن لهذه الآية سبباً اقتضى نزولها وهو ما رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: (كانوا إذا مات الرجل ـ عن زوجته ـ كان أولياؤه أحق بامرأته إن شاء بعضهم تزوجها، وإن شاء زوّجها، وإن لم يشاؤوا لم يزوجوها فهم أحق بها من أهلها) فنزلت هذه الآية: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ . . . إلخ﴾.

فنادى الله تعالى عباده المؤمنين بقوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ لينهاهم عما كانوا متعارفين عليه في الجاهلية، وهو أن الرجل إذا مات وترك زوجة ورثها أكبر أولاده وهي كارهة لذلك قطعاً، ثم هو إن شاء تزوجها، أو زوجها غيره وأخذ المهر له، وإن شاء أبقاها حتى تعطيه ما أخذت من مهر من والده. فحرم تعالى هذا الإرث الجاهلي الجائر، فقال: ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا﴾ فأصبحت المرأة إذا مات زوجها ترث منه ما أعطاها الله وهو الثُّمن، إن كان لهُ ولد، وإلا فترث الربع، ثم تبقى في بيته حتى تكمل عدتها أربعة أشهر وعشراً، ثم تذهب حيث شاءت. وكما حرم تعالى إرث الزوجة حرم عضلها أي منعها أيضاً، وهو أن يَكْره الرجل امرأته لدمامتها، أو سوء خلقها فيضايقها ويؤذيها حتى تفتدي منه بمال، ثم يطلقها فقال تعالى: ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا۟ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾ أي من مال، وهو المهر. هذا إن لم ترتكب الزوجة فاحشة الزنا،

أو تترفع عن الزوج (وتتكبَّر) عليه وتبخسه حقه في الطاعة والمعاشرة بالمعروف. أما إن ارتكبت فاحشة واضحة بيّنة لا شك فيها ونشزت نشوزاً، أو أعرضت عن الزوج إعراضاً فإن للزوج أن يُضايقها حتى تُفدي نفسها منه بمثل المهر.

ثم وجه تعالى عباده المؤمنين إلى ما فيه خير الزوجين فقال: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ أي على كل مؤمن أن يعاشر زوجته بالمعروف، وهو الإحسان إليها وعدم الإساءة إليها بقول أو فعل، إن كره المؤمن زوجته فليصبر عليها، ولا يطلقها فلعل الله تعالى يجعل في بقائها خيراً، كأن تُنجب له ولداً ينفعه الله تعالى به، أو تذهب تلك الكراهة من نفسه، ويصبح يحبها وتحبه ويودها وتوده، وهذا المراد من قوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾، وصدق الله العظيم، وله الحمد والمنَّة على إرشاده وتوجيهه لعباده المؤمنين إلى ما فيه خيرهم وصلاحهم. ويزيد هذا الإرشاد الرباني وضوحاً قول الرسول ﷺ في رواية مسلم وهو قوله ﷺ: **«لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقاً رضي منها آخر»**، ومعنى يفرك: يبغض. أي لا يجوز للمؤمن أن يبغض امرأته، فإنه إن كره منها خلقاً من أخلاقها فسيرضى منها خلقاً آخر.

هذا واذكر أيها القارئ الكريم أو المستمع المستفيد ما حملته هذه الآية من هدايات إلهية وهي:

١ ـ إبطال قانون الجاهلية الذي كان يسمح لولد الزوج إذا مات والده أن يرث امرأة أبيه فيتزوجها، أو يزوجها، ويأخذ مهرها أو يسترد منها ما مهرها أبوه ويطلقها. وما أقبح هذه العادة الجاهلية، والحمد لله على نعمة الإسلام الذي دفع هذا الظلم وأبطل قانون الجاهلية الجائر الفاسد، وأبدله بقانون الرحمة الإلهية لعباد الله المؤمنين.

٢ ـ حرمة عضل الزوجة والتضييق عليها حتى تفدي نفسها بما أخذته من المهر أو أكثر، إذ هذا الصنيع مظهر من مظاهر الظلم والاعتداء وفساد القلوب والأخلاق.

٣ ـ الإذن للمؤمن بأن يأخذ فدية من امرأته إذا كرهته وأساءت إليه ولم تعاشره بالمعروف فمتى أتت بفاحشة أو أساءت العشرة مع زوجها، وأظهرت كراهيتها له، للزوج الحق في أن يُطلقها بفداء، وهو ما يُسمى بالخُلع، فيطلقها مقابل مبلغ مالي، قد يزيد على المهر الذي تسلمته منه يوم عقد نكاحها.

٤ ـ لفظ (عسى) في اللغة معناه الترجي، وقد يقع المرجو، وقد لا يقع، إلا إذا كان القائل (عسى) هو الله سبحانه وتعالى فإن عسى تفيد وقوع المرجو، وعدم تأخره وذلك لعلم الله تعالى وقدرته وحكمته ورحمته.

لذا قوله تعالى: ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾ يجعل المؤمن يأخذ بما يوجبه عليه ربُّه تعالى، ويصبر على المرأة التي كرهها ولا يلبث أن يزول ذلك الكره، ويحل محله الرضا، والحب، والخير الكثير.

وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين

النداء العشرون

في حرمة أكل أموال المؤمنين بالباطل وحرمة قتل النفس بغير حق

الآية (٢٩) من سورة النساء

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾﴾.

الشــــرح:

هل تذكر أيها القارئ أن المراد بالمؤمنين الذين ناداهم الله عزّ وجلّ هم الذين آمنوا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً، وأنهم بإيمانهم أهل لأن يكلفوا وينهضوا بالتكاليف، فيفعلون منها ما يُفعل، ويتركون منها ما يترك، وذلك لكمال حياتهم. فها هو ذا تعالى قد ناداهم بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ لينهاهم عن أكل أموالهم بينهم بالباطل، أي بدون حق كالإرث، أو التجارة، أو العمل، أو الصدقة على مستحقيها، لفقره أو مسكنته، أو لوجوبها كالنفقة على الزوجة، والولد، والوالدين، وهو معنى قوله تعالى: ﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم﴾ أي بدون حق يقتضي الأكل، وعبّر بالأكل؛ لأن الغالب في الأموال يُؤكل بها، وإلا فكل مال أُخذ بغير حق حرام سواء أكل به وشرب، أو بني به وسكن، أو ركب به ولبس أو فرش، واستثنى تعالى مال التجارة فقال: ﴿إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾ فإن التاجر قد يشتري الشاة من صاحبه بعشرة برضاه، ويبيعها بعشرين، أو يشتري الدار بمائة ألف، وقد يبيعها بمائة وخمسين منه فلا يقولن قائل قد أكل فلان مال أخيه؛ لأنه باعه الشاة بعشرة، فكيف يبيعها بعشرين وقد أخذ عشرة بغير حق، والجواب أن الله قد أباح ربح التجارة بقوله: ﴿إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾. نعم لو اشترى منه ما اشترى بدون رضاه، فلا يحل له ذلك الربح ولو قلّ. والرسول ﷺ يقول: «**البيعان بالخيار ما لم يتفرقا**» بأن يرد أحدهما البضاعة لمن ابتاعها منه أو يتفرقا من المجلس فيذهب كل

اشتراها بعشرة، وباعها بعشرين، لهذه الآية الكريمة: ﴿لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ﴾.

ولنعلم أن إباحة ربح التجارة مشروط بشرط التراضي بين البائع والمشتري، لقول رسول الله ﷺ: «**إنما البيع عن تراض**» فإن لم يحصل تراض بينهما، فالبيع باطل، ومن أخذ تجارة بغير رضا صاحبه فربحه باطل، وحرام، وعليه أن يرده إلى صاحب البضاعة التي أخذها بدون رضا بائعها.

فلنذكر هذا أيها المؤمنون، ولنعلم أن أكل أموال المؤمنين بالباطل له صور منها:

١ ـ **السرقة**: إذ حرم الله السرقة وحكم بقطع يد السارق.

٢ ـ **الربا**: فمن أعطى أخاه قرضاً فلا يحل له أن يأخذ منه زائداً عن قرضه ولو كان درهماً واحداً.

٣ ـ **الغش**: كأن يبيعه سلعة فاسدة وهو لا يدري فسادها، لأنه مستور أو خفي، وقد حدث مرة أن دخل رسول الله ﷺ سوق المدينة فوجد صبرة «كيساً» فيها طعام فأدخل يده في وسطها فوجد فيها بللاً، فعاب على البائع، وقال له: «**لِمَ لا تجعل المُبتل منها ظاهراً حتى يعلمه المشتري يا فلان إن من غشنا فليس منا، المكر والخداع في النار**».

٤ ـ **القمار**: فكل مال القمار حرام لأنه بغير حق.

٥ ـ **أكل العربون**: وهو أن يعطي المشتري لصاحب السلعة بعضاً، ويقول له: إن أتممت الثمن أخذت البضاعة وإن لم آتك فالبضاعة لك وما دفعته أيضاً هو لك. فأكل هذا العربون حرام، لأنه بغير حق.

وقوله تعالى في هذا النداء: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ فإنه نص قطعي في تحريم قتل المؤمن أخاه صغيراً أو كبيراً، سليماً أو مريضاً، وكذا قتل المؤمن نفسه بأي (وسيلةٍ) ولو بأن يمتنع من الماء أو الطعام حتى يموت، فضلاً عن أن يشرب سُماً أو يلقي بنفسه في بئر، أو من رأس جبل، أو بناء عالٍ، كذلك قتل النفس التي حرم الله قتلها في هذه الآية وفي غيرها من الآيات القرآنية بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١٥١] وقد أَعْلَن الرسول عن حكم تحريم أكل أموال المؤمنين وقتلهم في أعظم مشهد إنه يوم عرفة إذ جاء في خطبته الطويلة الشاملة قوله ﷺ: «**إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا**». ثم قال: «**اللهم اشهد فقد بلغت. . .**» ولنعلم أيها المؤمنون أن جريمة قتل النفس لا تفوقها جريمة سوى الكفر، والشرك، ودونهما جريمة الزنا، والعياذ بالله تعالى

وأخيراً إن جريمة الانتحار الشائعة في ديار الكفار قد ظهرت أيضاً في بلاد المسلمين فلنذكر وعيداً لأصحابها على لسان رسول الله ﷺ في الصحيح إذ قال: فداه أبي وأمي ونفسي والعالم أجمع قال: «**من قتل نفسه بشيء عذب به يوم القيامة**» وقال ﷺ: «**من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يجأ بها بطنه يوم القيامة في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً**». وقال ﷺ: «**ومن قتل نفسه بسُمّ فسُمُّه في يده يتحسّاه في نار جهنم خالداً مُخَلَّداً أبداً**».

وقال ﷺ: «**ومن تردى من جبل فقتل نفسه فهو مترد في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً**».

ألا فلنستعذ بالله من أكل أموال المؤمنين ومن قتل أنفسهم. فإن الله كان بنا رحيماً، لذا حرم ما حرم علينا.

ولله الحمد والمنة، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين

النداء الحادي والعشرون

في حرمة الصلاة حال السكر وحرمة الصلاة والمكث في المسجد حال الجنابة ومشروعية التيمم للعذر

الآية (٤٣) من سورة النساء

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا (٤٣)﴾ .

الشـــرح:

اعلم أيها القارئ الكريم أن هذا النداء يحوي أحكاماً عدة ومعرفتها واجبة، وها أنذا أفصلها لك تفصيلاً، فاحفظ النداء أولاً ثم أقبل على معرفة ما فيه من أحكام فقهية ضرورية، واعمل بها وعلِّمها غيرك، تظفر بشرف العظمة في السماء لما رواه مالك (أن من علم وعمل بما علم وعلمه غيره دُعي في السماء عظيماً) وإليك بيان الأحكام:

١ ـ حرمة الصلاة حال السكر. وهذا الحكم نُسخ بآية تحريم شرب الخمر من سورة المائدة فلم يجز شرب الخمر بحال من الأحوال. وعلى فرض أن من شربها فاسق فلا يدخل في الصلاة وهو سكران، إذ وضوؤه باطل فلا تصح صلاته.

٢ ـ حرمة الصلاة على الجنب والحائض والنفساء إلا بعد الغسل أو التيمم، وكذلك دخول المسجد، ولا بأس بالمرور فيه بدون جلوس. وهذان الحكمان دل عليهما قوله تعالى: ﴿لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْۚ﴾ أي غسل الجنابة.

٣ ـ المريض، والمسافر، والذي انتقض وضوؤه ببول أو غائط، أو ضراط أو فساء، والجنب بجماع أو احتلام. هؤلاء إذا لم يجدوا ماء للوضوء أو الغسل عليهم أن يتيمموا ويصلُّوا أو يدخلوا المسجد. دل على هذين الحكمين قوله تعالى: ﴿وَإِن

كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ .

٤ ـ بيان كيفية التيمم وهو أن يضع المتيمم كفيه قائلاً: بسم الله، على التراب الطاهر. فإن لم يكن فعلى حجر فطري ليس مصنوعاً ويمسح وجهه ثم يضع يديه أيضاً على التراب أو الحجر ويمسح كفيه. وكان ابن عمر يمسح مع كفيه ذراعيه وهو جائز. ودل على كيفية التيمم هذه قوله تعالى: ﴿فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ .

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ فيه إظهار لرحمة الله بالمؤمنين وعفوه عن مُسيئهم؛ إذ الآية نزلت فيمن صلوا وهم سكارى قبل تحريم الخمر، رحمة بهم فلم ينزل بهم عقوبة وغفر لهم ذلك الذنب الذي ارتكبوه بغير قصد.

وإن سألت عن كيفية الاغتسال فاعلم أن الجنب يصب الماء على كفيه قائلاً: بسم الله، ناوياً رفع الحدث الأكبر أي الغُسل من الجنابة، ثم يغسل فرجيه: القبل والدبر وما حولهما، ثم يتوضأ وضوءه للصلاة، وهو أن يغسل كفيه ثلاثاً، ثم يتمضمض ثلاثاً، ثم يستنشق ويستنثر ثلاثاً ثم يغسل وجهه ثلاثاً ثم يغسل يده اليمنى إلى المفرق ثلاثاً ثم اليسرى ثلاثاً ثم يمسح رأسه وأذنيه مرة واحدة، ثم يغسل رجله اليمنى، ثم اليسرى إلى الكعبين، وهذا هو الوضوء فاعرفه. ثم يُخلل شعر رأسه بكفيه، ثم يغسل رأسه كله ثلاث مرات، ويغسل أذنيه ظاهراً وباطناً، ثم يغسل شقه الأيمن من رأسه إلى قدمه، ثم الأيسر كذلك، بحيث يعمم الماء على كل جسده فلا يترك لمعة أبداً، بهذا عرفت كيفية الغسل والوضوء معاً.

وأخيراً أيها القارئ الكريم، هل تعرف معنى الجُنُب؟ إنه الرجل أو المرأة إذا جامع، أو احتلم فخرج المَنِي أصبح جنباً أي به جنابة. وهل عرفت معنى الغائط؟ إنه مكان التغوط أي التبول والخرء. وهل عرفت معنى أو لامستم النساء؟ إنه الجماع. وهل عرفت موجبات الوضوء أو نواقضه؟ إن الوضوء يجب من الخارج من السبيلين: القبل والدبر، وهو البول والخرء، والريح والضراط، ومن مس المرأة بشهوة، وكذا مس الذكر، والنوم الثقيل. فهذه موجبات الوضوء وهي نواقضه أيضاً فاعرف هذا. واعلم أن من تيمم لعدم وجود الماء أو لمرض يمنعه من مس الماء، أو الحصول عليه، فإنه يتيمم لكل صلاة، وإن تيمم للفرض صلى به النوافل القبلية والبعدية معاً، فاعرف هذا زادك الله علماً.

وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين

النداء الثاني والعشرون

في وجوب طاعة الله وطاعة الرسول ﷺ وأولي الأمر من المؤمنين، ورد المتنازع فيه إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ

الآية (٥٩) من سورة النساء

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾.

الشـــرح:

اذكر أيها القارئ أنك أهل لنداء الله تعالى لك، ولسائر المؤمنين والمؤمنات، وأن سبب هذا التأهيل هو الإيمان بالله رباً وإلهاً، وبمحمد نبياً ورسولاً، وبالإسلام شرعاً وديناً مع ضرورة الإيمان بباقي الأركان وهي الإيمان بالملائكة، والكتب والرسل، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره.

وهل تدري لِمَ نادى الرب تبارك وتعالى عباده المؤمنين في هذا النداء؟ إنه ناداهم ليأمرهم بأمرين عظيمين أُنيطت بهما سعادة الدنيا والآخرة معاً.

فالأول: طاعة الله وطاعة رسوله وطاعة أولي الأمر من المؤمنين وهم الأمراء والعلماء.

والثاني: رد المختلف فيه والمتنازع عليه إلى كتاب الله وهو القرآن الكريم وإلى سنة رسوله الأمين محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم تسليماً. وإليك بيان وجه السعادة فيما أمر الله بطاعته، والرد إليه:

١ ـ طاعة الله عزّ وجل، وطاعته تعالى تتحقق بفعل الأمر وترك النهي، ولا فرق بين ما كان من الأمر للوجوب، وما كان للندب والإرشاد، وكذلك النهي لا فرق بين ما كان منه للتحريم، وما كان للكراهة، وذلك أن الله تعالى لا يأمر ولا ينهى إلا

من أجل إكمال عباده وإسعادهم وإبعاد الشقاوة عنهم والخسران في الحياتين، لأنه ربهم ووليهم، وليس في حاجة إليهم، ومن هنا فإنه لا يأمرهم إلا بما يحقق سعادتهم وكمالهم، ولا ينهاهم إلا عما يسبب شقاءهم وخسرانهم في الدارين.

ومن هنا أيها القارئ الكريم وجب أن تعلم أن معرفة أوامر الله تعالى، ومعرفة نواهيه من أوجب الواجبات وألزمها، وأن من لم يعرف ذلك لا يمكنه أن يطيع الله بحال من الأحوال، فهو إذاً خاسر لا محالة في الدنيا والآخرة، فلنذكر هذا ولنُعْلِم المؤمنين به.

٢ ـ طاعة رسول الله ﷺ وهي كطاعة الله تعالى لا تتحقق إلا بمعرفة أوامره ونواهيه ﷺ، ولا فرق بين ما كان للوجوب والندب، وما كان للتحريم والكراهة، وإن كانت أوامره ونواهيه ﷺ مستوحاة من الكتاب الكريم، إلا أن الله تعالى أمر بطاعته طاعة استقلالية، إذ قال تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ فكرر الأمر بالطاعة لعلمه تعالى أن الأمة قد تعجز عند إدراك الأحكام الشرعية والهدايات القرآنية ما لم يكن الرسول ﷺ مُبيناً لها آمراً بها ناهياً. وكيف وقد قال عز من قائل: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤] وهو ﷺ قد قال: «**من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله**» ومن هنا وجبت طاعته ﷺ على كل مؤمن ومؤمنة في الأمر والنهي، على حد سواء ولا سيما ما كان منها للوجوب والتحريم، ووجبت معرفة أوامره ونواهيه لأمته وإلا فطاعته متعذرة على المؤمن الجاهل بها.

٣ ـ طاعة أولي الأمر من المؤمنين إذ أمر تعالى بها في هذا النداء بقوله: ﴿وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ وقَيّدَ ﴿مِنكُمْ﴾ يخرج به طاعة الكافر إذ لا طاعة لحاكم كافر إلا في حالة الإكراه الشديد المقتضي للقتل أو أشد العذاب، لقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦] وأولو الأمر يتناول الأمراء والعلماء والوالدين والمربين الصالحين، إلا أن طاعتهم ليست مطلقة بل هي مقيدة بالمعروف. فمن أمر منهم بالمعروف وهو ما عرفه الشارع صالحاً نافعاً أو ضاراً فاسداً، فهذا الذي إذا أمر به الأمير أو العالم أو الوالد أو المربي الصالح تجب فيه الطاعة فعلاً أو تركاً. إذ قال تعالى وهو يخاطب رسوله: ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ [الممتحنة: ١٢] أي على المؤمنات طاعتك في المعروف، وأما غير المعروف لو أمرتهن به فلا طاعة لك فيه، وهذا من باب الهداية القرآنية، وإلا حاشا رسول الله ﷺ أن يأمر بغير المعروف.

ومن هنا فطاعة أولي الأمر لا تجب إلا فيما كان معروفاً في الشرع مأموراً به أو منهياً

عنه. وهذا رسول الله ﷺ يقرر هذا الحكم فيقول: «**من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني ومن يعص الأمير فقد عصاني**» وفي الوالدين يقول تعالى: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ. . .﴾ [لقمان: ١٥] كان ذلك **الأمر الأول** وهو طاعة الله وطاعة رسوله وأولي الأمر.

وأما الأمر الثاني: فهو رد المختلف فيه إلى الكتاب والسنة وهو ردٌّ واجب من رفضه على علم فقد فسق وظلم وتعرض للكفر والعياذ بالله إذ قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ﴾ (أيها المؤمنون حكاماً أو محكومين علماء أو جاهلين) أي في حليته أو حرمته، في وجوبه أو عدم وجوبه، في جوازه وإباحته أو عدم ذلك فردوه إلى القرآن والسنة النبوية الصحيحة. والذي يقوم بالتحقيق والمعرفة هم العلماء: علماء الشرع الفقهاء والعارفون بالكتاب والسنة، لا الجهال، والذين لا علم لهم حتى ولو كانوا الحاكمين. وقوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ فيه إشارة أفصح من عبارة وهي أن الذين يرفضون الرد إلى الكتاب والسنة فيما اختلف في حكمه ما هم بالمؤمنين بالله واليوم الآخر، ومن لم يؤمن بالله واليوم الآخر فهو كافر. وأخيراً وإتماماً للنصح والتوجيه يقول تعالى: ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ أي أحسن عاقبة فهو خير حالاً ومآلاً.

والحمد لله والشكر له على هدايته وتعليمه وإنعامه.

وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين

النداء الثالث والعشرون

في وجوب أخذ الحذر من العدو والتصرف بحكمة حال الحرب واشتداد القتال

الآية (٧١) من سورة النساء

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿يَتَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا ﴿٧١﴾﴾.

الشـــرح:

تعلم أيها المؤمن أنه ما نادى الله تعالى عباده المؤمنين إلا ليبيّن لهم طريق سعادتهم وكمالهم، وعزهم وسيادتهم وقيادتهم، لأنهم أولياؤه وهو وليهم، وأن ما يأتي بعد النداء لا يكون إلا أمراً منجياً ومسعداً، أو نهياً مبعداً عن الشقاوة والخسران في الدارين، أو نذارة تخيف وترهب فتحمل المؤمنين على مواصلة فعل الخيرات، واجتناب المنكرات، ولا غرابة ولا عجب في هذا؛ لأن الولي لا يريد لأوليائه إلا نجاتهم وسعادتهم. والمؤمنون المتقون أولياء الله، والله وليهم، إذ قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧] يخرجهم من ظلمات الشرك والكفر والنفاق، وكبائر الذنوب وفواحش القول والعمل لتبقى أنفسهم زكية طاهرة يرضاها تعالى، ويعطيها مُناها. وقد أخبر بذلك في قوله: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يونس: ٦٢] وبينهم بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس: ٦٣] وبيّن تحقيق مناهم لهم فقال: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ٦٤] أي الحاملة للبشارات ذلك هو الفوز العظيم.

والآن هل تدري لِمَ نادى الله تعالى عباده المؤمنين في هذا النداء الثالث والعشرين من نداءاته لهم في كتابه العزيز الحكيم؟ إذ ناداهم ليأمرهم بأخذ الحذر من عدوهم، وعدو المؤمنين وهو كل كافر من الإنس والجن، وعدوهم هو من يريد هلاكهم وخسرانهم وذلهم وضعفهم وحقارتهم، ولا يكون هذا العدو إلا كافراً ظالماً، والحذر يكون بتوقي المكروه بالأسباب المشروعة الممكنة. فمن الأسباب المشروعة الممكنة لتوقي عدو الشياطين الاستعاذة بالله السميع العليم إذ قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ

مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ ﴾ [فصلت: ٣٦] هذا **أولاً**، **وثانياً** عدم الاستجابة لما يُزيّنه للعبد، وتركه والإعراض عنه. **وثالثاً**: لزوم الطهارة ما أمكن ذلك، **ورابعاً**: قراءة القرآن في المنزل، وصلاة النافلة فيه، **وخامساً**: تطهير المنزل من الصور، خاصة ما يُعرض في الآلات كالفيديو والتلفاز من صور العواهر والكفار، وأصوات المزامير المختلفة. بهذا يُتقى الشيطان وإخوانه. ومن الأسباب الممكنة لتوقي شر العدو من الإنس:

١ ـ عدم حسن الظن به أي بالعدو الكافر دائماً وأبداً.

٢ ـ إعداد العدة الحربية بحسب القدرة على ذلك لقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠].

٣ ـ إسناد أمر القيادات الحربية إلى ذوي الكفاءات من القدرة البدنية والعلمية الحربية والإيمانية الروحية.

٤ ـ وجود خبرة عسكرية كاملة وقيادة رشيدة مؤمنة حكيمة عليمة.

٥ ـ وجوب أخذ الأهبة، والاستعداد التام في أيام السلم، وأيام الحرب على حد سواء؛ لآية الأنفال: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠] وهذا يعرف بالسلم المسلح.

٦ ـ وحدة الكلمة ووحدة الصف؛ إذ الفرقة محرمة بقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦].

٧ ـ طاعة الله وطاعة رسوله بصورة عامة، وذلك بفعل الأوامر واجتناب المناهي في الحرب والسلم معاً، إذ الذنوب موجبة للعقوبة من الله تعالى، وقد تكون هزيمة بالعدو، والعياذ بالله.

٨ ـ في حال الهجوم يجب القيام بما يلي:

أ ـ الثبات وعدم التقهقر.

ب ـ ذكر الله تعالى بالقلب واللسان.

وهذا لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الأنفال: ٤٥، ٤٦].

ولتُراجع معاني هذه الآية الكريمة في النداء (٤٥) من سورة الأنفال فإن بيانها هناك وافٍ مفيد.

وصلى الله وسلّم على نبينا وآله وصحبه وسلّم وعلى المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

النداء الرابع والعشرون

في وجوب التثبت والتبين في الأمور التي يترتب على الخطأ فيها ضرر بالغ وعظيم

الآية (٩٤) من سورة النساء

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (٩٤)﴾.

الشـــرح:

اذكر أيها القارئ الكريم ما قد سبق أن علمته، وهو أن الله تعالى لا ينادي عباده المؤمنين إلا ليأمرهم بما فيه سعادتهم وكمالهم وينهاهم عما فيه شقاؤهم وخسرانهم، وذلك لولايتهم له حيث آمنوا به وبلقائه، وبكل ما أمرهم أن يؤمنوا به واتقوه بفعل أوامره واجتناب نواهيه، إذ بذلك تطهر أرواحهم وتزكو نفوسهم، والله يحب التوابين إليه والمتطهرين من أجله.

ولك أن تعلم أيها القارئ الكريم والمستمع المستفيد أن ما شرعه الله تعالى من عباداته؛ إنما شرعه لتزكية نفوس عباده وتطهيرها ليقبلها ويرضى عنها، وأن ما حرمه على عباده ونهاهم عنه سواء كان اعتقاداً أو قولاً أو عملاً إنما حرمه عليهم ونهاهم عنه من أجل أن لا تخبث أرواحهم وتتدسَّى نفوسهم فيكرهها ويبغضها، ولا يأذن لها بدخول الجنة حتى لا تنعم برضاه والنظر إلى وجهه الكريم فيها. واقرأ لهذه الحقيقة قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا (١٠)﴾ [الشمس: ٩، ١٠]. وقوله: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (١٣) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ (١٤)﴾ [الانفطار: ١٣، ١٤] فالأبرار وهم المطيعون لله تعالى ولرسوله ﷺ في نعيم الجنة، وذلك لبرورهم، إذ البرور هو الطاعة. والفجار في جحيم النار لفجورهم وهو معصية الله ورسوله المنتجة لخبث النفس، وتدسيتها وعفنها، الأمر الذي يُسخط الله تعالى عليها. ومن سخط الله عليه حرَّم عليه دخول الجنة دار الأبرار وأُدخل النار دار العذاب والبوار، أعاذنا الله تعالى منها.

إذا عرفت هذا سهل عليك أن تفهم قوله تعالى في هذا النداء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي غُزاة ماشين لطلب العدو الكافر المحارب ﴿فَتَبَيَّنُواْ﴾ أي تثبتوا ولا تتعجلوا ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ﴾ أي سلم عليكم أو أسلم بأن نطق بالشهادتين ﴿لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ وتقتلوه رغبة في المال الذي عنده من غنم يسوقها أو غيرها من أنواع المال، فلا تفعلوا مرة أخرى مثل هذا، وإن كانت لكم رغبة في الغنيمة ﴿فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾ لا غنيمة واحدة فاطلبوها برضاه لا بسخطه واذكروا حالكم قبل إسلامكم فإنكم كنتم مثل هذا الذي قتلتموه، لا تملكون إلا النطق بالشهادتين ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ أي بنعمة الهداية إلى الإسلام ومعرفة قواعده وشرائعه. إذاً ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ إن حصل لكم مثل هذا الموقف وراقبوا الله تعالى في أقوالكم وأعمالكم فلا تخرجوا عن طاعته عزّ وجلّ بحال من الأحوال ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾.

هذا واذكر أيها القارئ أن هذه الآية نزلت في حادثة معينة، وإليك قصتها كما هي فانظرها واعتبر بها كما اعتبر بها الأولون، فتثبت في كل خبر تسمعه، وفي كل عمل تشاهده فلا تسارع في الحكم على الأشياء بدون ترو ولا بصيرة، فإنك تسلم من الأخطاء الضارة والمهلكة. روى البخاري مختصراً، وروى البزار مطولاً عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بعث النبي ﷺ سرية فيها المقداد بن الأسود فلما أتوا القوم وجدوهم قد تفرقوا، وبقي رجل له مال كثير لم يبرح، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله. وأهوى إليه المقداد فقتله، فقال له رجل من أصحابه: أقتلت رجلاً شهد أن لا إله إلا الله؟ والله لأذكرن ذلك للنبي ﷺ: فلما قدموا إلى رسول الله ﷺ قالوا: يا رسول الله إن رجلاً شهد أن لا إله إلا الله فقتله المقداد. فقال: ادعوا لي المقداد. فدعوه فجاء فقال له: يا مقداد أقتلت رجلاً يقول: لا إله إلا الله فكيف لك بلا إله إلا الله غداً؟ فقال: فأنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ . . .﴾ إلى آخر الآية، وقال الرسول ﷺ للمقداد: كان رجل مؤمناً يخفي إيمانه مع قوم كفار فأظهر إيمانه فقتلته، وكذلك كنت تخفي إيمانك بمكة قبل.

وأخيراً إن هداية هذه الآية عظيمة؛ حيث أوجبت على كل مؤمن التثبت والتبيّن في كل قول يقوله أو يسمعه، وفي كل عمل يقوم به، أو يراه ويشاهده حتى لا يقول غير الحق، ولا يخبر بغير الحق ولا يعمل غير ما هو صالح، ولا يشهد بغير ما هو متأكد بصحة ما رآه وعلمه مخافة أن يرتكب خطأ يهوي به في النار، أو يقعد به عن مواكب الصالحين، ولا سيما فيما فيه هدر دم وإزهاق روح، أو إشاعة فاحشة. فالتثبت التثبيت أيها المؤمن، والله يحفظ من يحفظه، وينصر من ينصره.

وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين

النداء الخامس والعشرون

في وجوب العدل في الشهادة
وحرمة اتباع الهوى المانع من العدل فيها

الآية (١٣٥) من سورة النساء

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾﴾.

الشـــرح:

اعلم أيها القارئ الكريم أن هذا النداء الإلهي له شأن عظيم، إذ هو يوجب العدل في القضاء، والشهادة، والقول، والعمل، والاعتقاد. فعلى من قضى بين اثنين أن يعدل في حكمه، وأن من شهد أن يعدل في شهادته، وأن من قال مخبراً أو آمراً، أن يعدل في قوله أو أمره، إذ على العدل قامت السموات والأرض وها هو ذا الرب تبارك وتعالى يُنادي المؤمنين ويأمرهم قائلاً: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ﴾ أي بالعدل هذا في الحكم بين الناس: ﴿شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾ أي أدّوا الشهادة لله؛ لأن الشهادة على عبده كالشهادة له عزّ وجلّ. إذا أدّوها عادلة لا حيف فيها ولا جور، ولو كانت الشهادة على أنفسكم لأنكم عبيد الله فلا تظلموا أنفسكم؛ لأن ذلك لا يرضاه سيدكم لكم، وظلم النفس يكون باقتراف الذنب بالحيف في الشهادة وعدم العدل فيها، إذاً فاعدلوا ولو كانت الشهادة على أنفسكم؛ أو الوالدين والأقربين، فليشهد أحدكم على نفسه بأنه فعل أو ترك، وعلى أبيه وأمه وأقربائه، أنهم فعلوا أو قالوا أو أخذوا أو تركوا، فلا تحمله طاعة والديه، وواجب الإحسان إلى أقربائه أن يكتم الشهادة عليهم أو يبدلها حائفاً فيها جائراً، ولا تراعوا في أداء الشهادة فقراً ولا غنى كما لم تراعوا قرباً أو بعداً، فالله أولى بالفقير بالإحسان إليه، وأولى بالغني أن يأخذ منه غناه. فلا يميلن أحدكم مع الفقير رحمة به، ولا مع الغني طمعاً فيه، وليُوكل ذلك لله تعالى، فهو أولى به.

بعد هذا الإرشاد والتوجيه إلى إقامة العدل في القضاء والشهادة، نهى تعالى المؤمنين عن اتباع الهوى فقال: ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ﴾ والهوى هو ميل النفس إلى ما تحبه وما يُزينه الشيطان لها، فترغب فيه وتطلبه كحب السمعة والمال والجاه واللذات. فنهى تعالى عباده المؤمنين عن اتباع الهوى حتى لا يجوروا في قضائهم وشهادتهم، ثم حذرهم في ليّ اللسان بالشهادة حتى لا تأتي عادلة، ومن الإعراض عنها بأن يكتموها فلا يؤدوها، أو يعرضوا عن بعضها فلا تكون كافية في إحقاق الحق وإبطال الباطل. فقال تعالى: ﴿وَإِن تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ أي لا يخفى عليه أمركم، عدلتم أو جرتم، أتممتم أو نقصتم، فاحذروا رقابته تعالى لكم وجزاءه إن عدلتم بالخير، أو جرتم بالعذاب، فما أحسن هذا التذييل في الآية الكريمة: ﴿فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾. فاذكروا هذا ولا تنسوه فإنه يعينكم على تقوى الله عزّ وجلّ بامتثال أمره واجتناب نهيه فتكملوا وتسعدوا.

واعلم أيها القارئ الكريم أن الله تعالى أمر بالعدل في القضاء والحكم في غير هذه الآية، أيضاً فاسمع قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ وقوله: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [المائدة: ٤٩] كما نهى تعالى عن كتمان الشهادة في قوله: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٣] ومما يؤكد أمر حرمة الظلم والجور في الحكم والشهادة قول الرسول ﷺ وهو يخاطب أصحابه: «**ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: الشرك بالله وعقوق الوالدين وكان متكئاً فجلس فقال: ألا وقول الزور ألا وشهادة الزور وما زال يكررها حتى قال الحاضرون من أصحابه: ليته سكت**» أي تمنوا سكوته خشية أن ينزل أمر عظيم لا يطاق. ويقول ﷺ مخبراً أمته معلمها لتكمل وتسعد: «**خير الشهود الذي يأتي بشهادته قبل أن يُسألها**» وبناء على هذا فشرُّ الشهود من يكتم شهادته فيضيع حق أخيه المؤمن، والعياذ بالله تعالى.

وأخيراً إليك أيها القارئ الكريم والمستمع المستفيد هذه الصورة الجليلة في بيان العدل والشهادة بالقسط، يقول عبد الله بن رواحة شهيد مؤتة رضي الله عنه وأرضاه وقد بعثه رسول الله ﷺ يخرص على أهل خيبر ثمارهم وزروعهم فأرادوا أن يرشوه ليرفق بهم. فقال لهم: والله لقد جئتكم من عند أحب الخلق إليّ ولأنتم أبغض إليّ من أعدائكم من القردة والخنازير. وما يحملني حبي إياه وبغضي لكم على أن لا أعدل فيكم فقالوا بهذا قامت السموات والأرض. لنتأمل جميعاً هذا الموقف الذي

وقفه عبد الله بن رواحة صاحب الرسول ﷺ وهو موقف يجب أن يقفه كل مؤمن، فلا تغرنَّه الحياة الدنيا فيحيف أو يجور أو يأخذ رشوة مالية مهما كانت الظروف والأحوال. اللهم أحينا على ما أحييته عليه وأمتنا على ما أمته عليه. إنك رب العالمين وولي المتقين.

وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين

النداء السادس والعشرون

في وجوب الثبات على الإيمان وتقويته والتحذير من ضده وهو الكفر

الآية (١٣٦) من سورة النساء

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا (١٣٦)﴾.

الشــرح:

اعلم أيها القارئ الكريم أن هذا النداء الإلهي يشمل المؤمنين حق الإيمان وهم ممن آمنوا بالله رباً وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً ورسولاً، فناداهم ربهم بعنوان الإيمان الذي هو صفتهم، ناداهم ليأمرهم بالثبات على إيمانهم وبتقويته وزيادته؛ حتى يبلغوا أعلى مستوى فيه، وهو اليقين، ويشمل المنافقين وهم مؤمنون في الظاهر كافرون في الباطن؛ وما أكثرهم في المدينة أيام نزول هذه السورة القرآنية الكريمة: سورة النساء. أمرهم بأن يؤمنوا الإيمان الحق، وهو الإيمان بالله وبرسوله ولقائه، وبالملائكة والكتب، والرسل، واليوم الآخر، والقضاء والقدر. إذ الإيمان الظاهر دون الباطل كفر ونفاق، فمن رحمة الله بالعباد ناداهم بعنوان الإيمان، وأمرهم بالإيمان الحق لينجوا ويسعدوا.

كما يشمل هذا النداء مؤمني اليهود الذين يؤمنون ببعض الرسل ويكفرون بالبعض الآخر. فقد روي أن عبد الله بن سلام، وأسداً وأسيداً ابني كعب وثعلبة بن قيس، وسلام ابن أخت عبد الله بن سلام، وسلمة ابن أخيه، ويامين بن يامين أتوا رسول الله ﷺ وقالوا: يا رسول الله إنا نؤمن بك وبكتابك وبموسى والتوراة، ونكفر بما سواه من الكتب والرسل، فقال لهم النبي ﷺ: «**بل آمنوا بالله ورسوله محمد وكتابه القرآن، وبكل كتاب كان قبله**»، فقالوا: لا نفعل فنزلت هذه الآية فآمنوا كلهم، فهنيئاً لهم ولمن قبل دعوة الحق مثلهم.

والآن قد عرفت أيها القارئ أن هذا النداء الإلهي قد شمل ثلاث طوائف:

الأولى: المؤمنون بحق وهم أهل الإيمان والإسلام والإحسان من أمة محمد عليه الصلاة والسلام.

والثانية: المؤمنون في الظاهر، الكافرون في الباطن، وهم المنافقون، وقد انقرضوا فلم يمت رسول الله ﷺ وبالمدينة منافق، إذ جلهم آمنوا ودخلوا في رحمة الله، ومات منهم عدد على نفاقه فهو في نار جهنم. **والثالثة**: هم من اليهود الذين كانوا بالمدينة وقد آمن منهم من نزلت الآية فيهم وقد تقدم ذكرهم وأسماؤهم. فانظر إلى إعجاز القرآن وبلاغته إذ لفظ آمنوا تناول ثلاث طوائف، لذا قيل القرآن حمال الوجوه. أما قوله تعالى: ﴿وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ﴾ فالمراد به القرآن والرسول هو محمد ﷺ وسر تضعيف الزاي هو أن القرآن ما نزل جملة واحدة ولكنه نزل منجماً نجماً[1] بعد نجم في ظرف ثلاث وعشرين سنة تقريباً بحسب ما تدعو إليه حاجة الدعوة وأهلها. وسر عدم تضعيف الزاي في قوله تعالى: ﴿وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾ أن المراد بالكتاب الكتب التي نزلت قبل القرآن وهي التوراة والزبور والإنجيل إذ (ألْ) في الكتاب للجنس، أي دالة على متعدد كلفظ الإنسان فإنه دال على عدد لا يحصيه إلا الله سبحانه وتعالى. فسر عدم تضعيف الزاي والعدول عن نُزّل إلى أُنزل هو أن الكتب السابقة نزلت جملة واحدة بخلاف القرآن العظيم فإنه نزل منجماً في خلال نيف وعشرين سنة.

أما قوله تعالى في هذا النداء: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ فقد اشتمل على أركان الإيمان الستة الوارد بعضها في آية البقرة إلا ركن القضاء والقدر المذكور في سورة القمر فلم يُذكر في هذه الآية الكريمة. ولنعلم أن الكفر يلزم ولو بعدم الإيمان بركن واحد بل ولو بجزء من ركن، كمن آمن بالرسل، ولم يؤمن بواحد منهم أو آمن بالكتب ولم يؤمن بواحد منهم بل لو لم يؤمن بآية واحدة يكفر بها. وقوله تعالى: ﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ أي عن طريق الهدى الموصل بسالكه إلى سعادة الدنيا والآخرة.

وفي هذه الجملة من هذا النداء وعيد شديد، وتهديد عظيم، إذ من ضل ضلالاً بعيداً لا يعود إلى الهدى بخلاف الضلال القريب، فإن صاحبه يُرجى له أن يعود إلى الحق فينجو ويسعد، ينجو من النار ويدخل الجنة دار الأبرار، والضلال البعيد سببه الكفر بعد الإيمان وأما الكفر المتوارث الذي لم يسبقه إيمان فضلال صاحبه قريب، ولذا متى بلغته الدعوة ووجهت إليه آمن وأسلم ونجا من عذاب الله. فلنذكر ولنتأمل، والله ولي التوفيق.

وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين

---

(١) أي وقتاً بعد وقت؛ إذا النجم الوقت المضروب.

النداء السابع والعشرون

في حرمة اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين، والتحذير من ذلك

الآية (١٤٤) من سورة النساء

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَـٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾﴾.

الشـــرح:

اذكر أيها القارئ الكريم والمستمع المستفيد أن نداء الله تعالى الموجه إلى عباده المؤمنين سببه ولايته تعالى للمؤمنين، لأنهم آمنوا به وبلقائه وبكل ما أمرهم بالإيمان به من ملائكته وكتبه ورسله وقضائه وقدره، واتقوه فيما أمرهم به ففعلوه، وفيما نهاهم عنه فتركوه. فهو يناديهم بعنوان الإيمان المنبئ بحياتهم وكمالهم، ليأمرهم، أو ينهاهم، أو يرشدهم، أو يحذرهم، أو يبشرهم، بما يزيد في طاقة إيمانهم وصالح أعمالهم، ويحذرهم مما يقعد بهم عما خُلقوا له من تزكية أنفسهم بذكر الله تعالى وشكره. ليتأهلوا للنزول في منازل الأبرار بدار السلام بعد نهاية عملهم بموتهم ومفارقة أرواحهم أبدانهم.

ناداهم تعالى في هذا النداء الكريم لينهاهم عن اتخاذ الكافرين أولياء لهم دون إخوانهم المؤمنين، فقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ومعنى اتخاذهم أولياء: أن يحبوهم ويقربوهم، ويأخذوا بنصحهم وإرشادهم وتوجيههم مع نصرتهم ومَد يدِ العون لهم، دون إخوانهم المؤمنين. ومثل هذا التحريم لموالاة الكافرين دون المؤمنين ما جاءَ في قوله تعالى من سورة آل عمران وهو قوله عزّ وجلّ: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾﴾ [آل عمران: ٢٨] إلا أن هذا التحريم معه استثناء، وهو أن يكون المؤمن في دار الكفار قائماً بينهم أذن

له أن يداريهم بلسانه بالكلمة الملّينة للجانب، المُبعدة للبغضاء بشرط أن يكون قلبه مطمئناً بالإيمان، كما قال ابن عباس رضي الله عنه: التقاة هي أن يتكلم بلسانه وقلبه مطمئن بالإيمان، ولا يقتل، ولا يأتي مأثماً ولنعلم أن هذا الاستثناء لا يبيح أبداً موالاة الكافرين، إذ هو مؤقت بحال الضعف والخوف ولم يتجاوز مداراتهم بالكلمة اللينة المبعدة لغيظهم وبغضهم، أما حبهم ونصرتهم فلا استثناء فيهما أبداً إلا أن يؤمنوا بالله ويدخلوا في الإسلام.

ولنذكر الوعيد والتهديد في الآيتين. إذ في الأولى قال تعالى: ﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾. أي حجة واضحة على تعذيبكم بما شاء من أنواع العذاب ـ وأنتم أولياؤه ـ، فكيف لو كان النداء للمؤمنين في الظاهر وهم المنافقون، فإن الله تعالى إن لم يكفوا من موالاة الكافرين، فإنه سينزل فيهم قرآناً ويسلط رسوله والمؤمنين عليهم فيعذبونهم ويخزونهم ويقتلونهم. أما إذا كان النداء موجهاً لأولياء الله المؤمنين ظاهراً وباطناً، فإنه يحذرهم من موالاة الكافرين دائماً وأبداً، وفي كل الأزمنة والظروف فإن هم لم يحذروا تحذيره، ولم يرهبوا وعيده، عذبهم بما شاء، ولقد عذب المؤمنين في ديار الأندلس بتعذيبهم بأبشع أنواع العذاب؛ إذ قُتلوا وشُردوا وأبعدوا من ديارهم، وذلك بسبب موالاتهم للكافرين وطلب نصرتهم على إخوانهم. ولقد عذب المؤمنين في شتى ديارهم لعدم طاعته تعالى في معاداة الكافرين، إذ تشبهوا بهم وأحبوهم وناصروهم وأخذوا بإرشادهم ونصائحهم؛ حتى أذلوهم وأهانوهم، وإلى اليوم والمسلمون أذلاء مهانون للكافرين لعلة فسقهم عن طاعة الله تعالى وطاعة رسوله، إذ أخذوا بقوانين الكافرين وحكموا بها المؤمنين حباً في الكافرين وموالاة لهم.

أما الوعيد والتحذير في الآية الثانية «آية آل عمران» فقد قال تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ٢٨] ومعنى يحذركم نفسه أي يخوفكم عقابه وعذابه إن أنتم لم تمتثلوا أمره، ولم تجتنبوا نهيه؛ وذلك بموالاتكم الكافرين بعدم بغضهم، وبمناصرتكم لهم على إخوانكم المؤمنين في أي مجال من مجالات الحياة؛ إذ الذي يوالي أعداء الله قد عادى الله، وقطع حبل ولايته به، فكيف يكون حال هذا العبد الذي كان الله وليه فأصبح الله عدوه والعياذ بالله إن حاله لا تكون إلا الذل والهوان والضعف والصغار إذ مصيره كمصير غيره إلى الله عزّ وجلّ. ومن صار أمره إلى الله وقد عصاه، وفسق عن أمره، وخرج عن طاعته، فأحبّ ما كره وكره ما أحب ووالَى من عادى، وعادى من والى، فكيف يكون مصيره؟ إنه خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

ألا فلنتق الله أيها المؤمنون بامتثال أمره واجتناب نهيه. وقد نهانا عن اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين، وحذرنا بقوله: ﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَـٰنًا مُّبِينًا﴾؟ فهل بقي لنا من عذر؟ والجواب: لا، والأكبر من ذلك فقد أرانا نقمته وعذابه الذي حذرنا منه في شتى بلاد العالم الإسلامي شرقاً وغرباً، أما سلط علينا الكفار فاستعمرونا واستغلونا وأذاقونا مر العذاب..؟

ألا فلنتق الله قبل أن يعود الخزي والعذاب مرة أخرى بأشد من الأول، ولله الأمر من قبل ومن بعد...

وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين

النداء الثامن والعشرون

في وجوب الوفاء بالعهود
وفي المنة بحلية بهيمة الأنعام إلا ما استثنى منها

الآية (١) من سورة المائدة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ١﴾ .

الشـــرح:

ينادي الرب تبارك وتعالى عباده المؤمنين به وبلقائه، وبرسوله، وبوعده لأوليائه؛ وهم أهل طاعته، وبوعيده لأعدائه؛ وهم أهل الكفر به والفسق عن أمره، يناديهم بعنوان الإيمان، لأنه يريد أن يُكلفهم بما لا يقدر عليه إلا المؤمنون لكمال حياتهم بإيمانهم وولاية ربهم. فما الذي كلفهم به يا ترى؟ والجواب أيها القارئ الكريم والمستمع المستفيد أنه كلفهم بأمر عظيم ألا وهو الوفاء بالعقود والعهود وأولها الوفاء بالعهود، التي بينهم وبينه سبحانه وتعالى؛ إذ قال تعالى: ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ﴾ [النحل: ٩١] وقال: ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذۡ قُلۡتُمۡ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٧﴾ [المائدة: ٧] فنعمة الله تعالى هي الإيمان به، والإسلام، والإحسان، وميثاقه تعالى الذي أخذَهُ عليهم هو أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً. فكل من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فقد قطع لله تعالى على نفسه عهداً وميثاقاً، بأن يعبد الله تعالى وحده، وبما جاء به رسوله محمد ﷺ من الشرائع والأحكام، وهكذا كل من نذر لله نذراً فقد قطع على نفسه عهداً فليوف به إن كان صياماً صام، وإن كان قياماً قام، وإن كان رباطاً رابط، وإن كان صدقة تصدق، وإن عجز كفّر كفارة يمين، واستغفر الله وتاب إليه، ومثل عهود الله تعالى في وجوب الوفاء بها عهود الناس فيما بينهم، إذ الكل أمر تعالى بالوفاء به لا سيما العهود الموثقة بالإيمان، وما كان متعلقاً بحقوق الناس: كحقوق النكاح،

وحرم عليه إضاعتها أو خيانتها، لأمر الله تعالى بذلك كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [النساء: ٥٨] وفي قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنفال: ٢٧].

ولنذكر أيها القارئ في هذا الأمر الإلهي بالوفاء بالعقود ما قاله الحسن البصري أحد سادات التابعين فقد قال: «يعني عقود الدِّيْن»، وهي ما عقده المرء على نفسه من بيع وشراء وإجارة وكراء، ومناكحة وطلاق، ومزارعة، ومصالحة، وتمليك، وتخيير، وعتق، وتدبير، فقد شمل هذا القول سائر أنواع العقود والعهود. ألا فلنذكر هذا ولا ننسه وأما قوله تعالى في هذا النداء: ﴿أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ فإنه تذكير بالنعمة لتشكر ولا تكفر والمراد من بهيمة الأنعام هي الأزواج الثمانية: الإبل، والبقر، والغنم، وهي: ضأن وماعز، والكل ذكر وأنثى.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾ أي تحريمه منها وهو الميتة والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع، إذ جاء هذا في هذه السورة وبعد آيات محدودة. إذ قال تعالى: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ﴾ أي أدركتم فيه الروح فذبحتموه، ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ وهو ما ذبح لغير الله تعالى، كالذبح للأصنام والأضرحة والقبور أو الجان وما إلى ذلك.

وقوله تعالى في هذا النداء: ﴿غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌ﴾ هو إضافة إلى تحريم ما حرم على عباده المؤمنين من اللحوم الفاسدة المخبثة للنفس الملوثة لها؛ إذ حرم على المحرم بحج أو عمرة أن يصيد، لما في الصيد من اللهو والغفلة عن ذكر الله، وعليه فلا يحل للمحرم أن يصيد ولا أن يأكل ما صاده وهو محرم أو صاده له غيره بأمره له أو برضاه عنه. فما صاده المحرم وما صِيدَ لَهُ هو محرم كسائر المحرمات، الأكل مما أنزل الله تعالى في كتابه، أو على لسان رسوله، إذ نهى النبي ﷺ عن أكل كل ذي ناب من السباع وذي مخلب من الطيور. وقوله تعالى في هذا النداء العظيم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ أي يبيح ويمنع، ويحل ويحرم، يبيح ما يريد إباحته، ويمنع ما يريد منعه، ويحل ما يريد حله، ويحرم ما يريد تحريمه. وكل ذلك تابع لعلمه وحكمته ورحمته وقدرته. فلذا الحلال ما أحل الله ورسوله، والحرام ما حرم الله ورسوله ولا يحلُّ لمؤمن أن يحرم ما أحل الله ورسوله، ولا أن يحل ما حرم الله ورسوله.

فلنذكر هذا أيُّها القارئ والمستمع حتى نقدر على طاعة الله ورسوله بالوفاء

حرم عليهم ولنفوض ذلك لله الذي يحكم ما يريد لعلمه الذي أحاط بكل شيء وحكمته التي لا يخلو منها شيء، ورحمته التي وسعت كل شيء، وقدرته التي لا يعجزها شيء. ولنقل آمنا بالله. والحمد لله.

وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين

النداء التاسع والعشرون

في تحريم استحلال شعائر الله إلا ما نسخ منها وفي إباحة الصيد بعد التحلل ووجوب التعاون على البر والتقوى، وحرمة التعاون على الإثم والعدوان

الآية (٢) من سورة المائدة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَلَا ٱلْهَدْىَ وَلَا ٱلْقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَٰنًا ۚ وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُواْ ۚ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ ۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾.

الشــــرح:

اعلم أيها القارئ الكريم أن هذا النداء الإلهي قد تضمن أموراً ذات خطر وشأن عظيم، وإليك بيانها بالتفصيل:

١ ـ تحريم استحلال شعائر الله تعالى وهي أعلام دينه من سائر ما فرض وأوجب ونهى وحرم، فلا يستحل ترك صلاة، ولا صيام، ولا حج ولا اعتمار، ولا زكاة، ولا جهاد، ولا بر والدين، ولا صلة أرحام، ولا يستحل ما حرم الله من ربا وزنا، وكذب وغش وسرقة، وخيانة، وسب، وهتك عرض، إلى غير هذا مما هو واجب في الإسلام أو حرام، إذ كل ذلك من أعلام الدين وشرائعه.

٢ ـ إن ما نُسخ من شعائر الدين هو الشهر الحرام وهو رجب كان محظوراً القتال فيه، ثم نسخه الله تعالى بقوله: ﴿ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٩٤]، وكذا سائر الأشهر الحرم، قد نُسخ القتال فيها إذا قاتلنا العدو فيها. ومن المنسوخ هدي المشركين وقلائدهم، والمشركون أنفسهم حُرِّم عليهم دخول المسجد الحرام، فكيف يبقى لهم قلائدهم التي كانوا يقلدون بها الإبل ليهدوها إلى الحرم،

إيذاناً بأنه مُهدى إلى الحرم فلا يُتعرض له، وقد يعلق أحدهم لحاء من شجر الحرم فيحترم لذلك ولا يتعرض له. كان هذا قبل الإسلام، ثم نُسخ في الإسلام.

٣ ـ حرمة التعرض لقاصد البيت الحرام للعبادة والتقرب، للحصول على رضوانه إلا أن يكون هذا القاصد كافراً أو مشركاً فإنه لا يؤذن له بدخول الحرم.

٤ ـ إباحة الصيد لمن تحلل من إحرامه من المؤمنين؛ لأن المحرم لا يحل له الصيد حال إحرامه، كما لا يحل له أن يأكل ما صِيدَ له وهو مُحرِم، وهذا الحكم باقٍ لم يطرأ عليه نسخ.

٥ ـ حرمة الاعتداء على العدو. فمن كان له عدو لا يجوز له أن تحمله عداوته على ظلمه والاعتداء عليه. إلا أن يظلم العدو فحينئذ يُرد ظلمه واعتداؤه ولا حرج، وهذا معنى قوله تعالى في النداء: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟﴾. وهذا تمَّ في الحديبية إذ صدَّ المشركون الرسول ﷺ والمؤمنين عن العمرة، وتم صلح بينهم، المعروف بصلح الحديبية، فحذر الله تعالى المؤمنين من أن يحملهم بغضهم وعداؤهم للمشركين الذين منعوهم من المسجد الحرام أن يعتدوا عليهم بعد أن تم الصلح بينهم.

٦ ـ وجوب التعاون بين المؤمنين على البر والتقوى، أي على فعل الخيرات كالصدقات والمعونات المختلفة كالقرض والسلفة، والإحسان والمعروف، إذ كل هذا من البر، وأما التعاون على التقوى وهي طاعة الله ورسوله في الأمر والنهي فهو تعاون على إقامة الدين بكامله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن ترك واجب أو حق من الحقوق وجب على المؤمنين أن يتعاونوا على إقامة الواجب الذي تُرك، وعلى إحقاق الحق الذي هدر بينهم، لأنهم أمة واحدة.

٧ ـ حرمة التعاون على الإثم والعدوان، أما الإثم فهو كل كبيرة من كبائر الذنوب كالزنا، والربا والسرقة والغيبة والنميمة، وترك الواجبات، وارتكاب المحرمات في المناكح والمطاعم والمشارب والملابس وغيرها، تلك هي الإثم الذي يحرم التعاون على إيجاده أو بقائه بين المؤمنين، أما العدوان فهو الظلم وهو الاعتداء على أرواح الناس، أو أعراضهم، أو أموالهم، فلا يحل إعانة ظالم بحال من الأحوال، بل ولا الرُّكُونُ إليه، لقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ [هود: ١١٣] والركون يكون بالميل إليه، والرضا بظلمه، وعدم نهيه عنه.

٨ ـ الأمر بتقوى الله عزّ وجلّ؛ إذ قال تعالى في آخر النداء: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ

المؤمنين. وتتحقق التقوى بفعل ما يأمر الله به ويأمر به رسوله من الواجبات والمندوبات، وبترك ما نهى الله عنه، ونهى عنه رسوله من الاعتقادات الباطلة، والأقوال السيئة، والأفعال الضارة الفاسدة. وختم تعالى مضمون هذا النداء العظيم بقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾؛ ليحذر المؤمنين من عدم النهوض بما تضمنه هذا النداء من الأوامر والنواهي فإنهم إن أهملوا ما كُلفوا به ستنزل بهم عقوبة الله فيندمون ولا ينفعهم ندم. ألا فلنحذر عذاب الله يا عباد الله، والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب!!!

وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين

النداء الثلاثون

في وجوب الوضوء وبيان كيفيته ووجوب الغسل من الجنابة وبيان نواقض الوضوء وكيفية التيمم

الآية (٦) من سورة المائدة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٦﴾.

الشـــرح:

اعلم أيها القارئ الكريم والمستمع المستفيد أن هذا النداء الإلهي العظيم قد اشتمل على علوم ومعارف ضرورية للمؤمنين، فاحفظه وافهمه واعمل بما فيه، فإنه ما وجهه الله تبارك وتعالى لعباده المؤمنين إلا ليطهرهم به، فإذا طهروا رضي عنهم وأرضاهم، وجعل الجنة مأواهم، وإليك بيان ما تضمنه هذا النداء من علوم معرفتها ضرورية لكل مؤمن ومؤمنة:

١ ـ وجوب الوضوء، على من أراد مناجاة الرب تبارك وتعالى بالوقوف بين يديه وذكره وتلاوة كتابه، والركوع والسجود له سبحانه وتعالى.

٢ ـ بيان كيفية الوضوء وهي: غسل الكفين ثلاثاً، ثم المضمضة ثلاثاً، ثم الاستنشاق والاستنثار ثلاثاً، ثم غسل الوجه ثلاثاً وحَدُّه طولاً من منبت الشعر المعتاد في الجبهة إلى منتهى الذقن، وعرضاً من وتد الأذن اليمنى إلى وتد الأذن اليسرى، ثم غسل اليدين إلى المرفقين ثلاثاً، يبدأ باليمنى، ثم يمسح الرأس مع الأذنين مرة

واحدة، ثم يغسل الرجلين إلى الكعبين يبدأ باليمنى، لأن الرسول ﷺ كان يحب التيامن في كل شيء إلا في الدخول إلى المرحاض فإنه يقدم رجله اليسرى.

هذا مضمون قوله تعالى: ﴿فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾ أما غسل الكفين ثلاثاً، والمضمضة والاستنشاق والاستنثار فقد بينها رسول الله ﷺ.

٣ ـ الأمر بالغُسل من الجنابة لقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ﴾ أي اغتسلوا، والجنب هو من جامع امرأته فأدخل ذكره في فرجها ولو لم ينزل منه ماء. ومثله من احتلم في منامه فخرج منه المني فهذا هو الجنب رجلاً كان أو امرأة، والاغتسال هو أن يغسل كفيه ثلاثاً ناوياً الغسل الواجب عليه، ثم يغسل قبله ودبره وما حولهما، ثم يتوضأ وضوءه للصلاة كما تقدم بيانه آنفاً، ثم يخلل أصول شعر رأسه بالماء حتى لا يضره الماء البارد فيزكم، ثم يغسل رأسه مع أذنيه ثلاثاً، ثم يغسل شقه الأيمن من رأسه إلى قدمه، ثم الأيسر كذلك، وعليه أن يتتبع الأماكن التي ينبو عنها الماء كتحت الإبطين وتحت الركبتين، وكذا السرة. كما يخلل أصابع يديه ورجليه حال الوضوء.

٤ ـ نواقض الوضوء أو موجباته الدال عليها قوله تعالى: ﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾، إذ المجيء من الغائط معناه أنه تبول وتغوط، فمن بال أو أخرج فضلة الطعام وهي الخرء، أو فساء أو ضراط أو مس امرأته بشهوة، فإن كان متوضئاً فقد انتقض وضوؤه، وإن كان غير متوضئ وجب عليه الوضوء للصلاة أو الطواف أو مس المصحف. ومن نواقض الوضوء: النوم الثقيل الذي لا يشعر صاحبه بخروج فساء منه، أو ضراط، وأكل لحم الجَزُور(١)، ومس الذكر بباطن الكف.

٥ ـ وجوب التيمم لمن لم يجد الماء للغسل أو للوضوء، أو وجده ولكن حاجته إليه ماسة كالشرب أو الطبخ لا سيما في حال السفر، أو وجده ولكن يمنع من استعماله خوف المرض أو زيادته أو عدم البرء منه.

٦ ـ كيفية التيمم: وهي أن يضرب كفيه قائلاً بسم الله على التراب، فإن لم يجد فعلى الأرض أو الحجارة، ثم يمسح وجهه مرة واحدة، ثم يضرب كفيه أيضاً مرة أخرى ويمسح يديه إلى المرفقين وإن اكتفى بكفيه أجزأه ذلك لحديث عمار بن ياسر إذ قال له الرسول ﷺ: «**إنما يكفيك أن تفعل هكذا ثم ضرب**

---

(١) بعض الفقهاء لا يرى الوضوء من أكل لحم الجزور (الإبل) بحجة أن الحديث الوارد فيه منسوخ، والوضوء منه أحوط للدِّين.

بيديه الأرض ضربة واحدة ثم مسح الشمال على اليمين، وظاهر كفيه ووجهه».

٧ ـ من لطفه تعالى ورحمته وإحسانه إلى عباده المؤمنين أنه لما أمرهم بالوضوء والغسل والتيمم عند انعدام الماء أو عدم القدرة على استعماله؛ لاطفهم بقوله سبحانه وتعالى: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾ أي عنت ومشقة، وإنما يريد طهارتكم ظاهراً وباطناً، وليتم نعمته عليكم بهدايتكم إلى الإسلام وبيان شرائعه ودعوتكم إلى القيام بها، إذ هي مصدر سعادتكم وكمالكم في الدارين وليُعِدَّكم بذلك إلى شكره، إذ سر الحياة بكاملها هو ذكر الله تعالى وشكره، وذكره يكون بالقلب واللسان، وشكره يكون بالجوارح والأبدان، فالوضوء والغسل والتيمم من مظاهر الشكر لله تعالى على نعمة الإيجاد والإمداد. فاللهم اجعلنا لك من الذاكرين الشاكرين، وأعنَّا عليهما، وعلى حسن عبادتك يا رب العالمين.

وأخيراً أيها القارئ إليك هذه الجائزة العظيمة وهي أن النبي ﷺ قال: **«من توضأ فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه إلى السماء وقال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين، فتحت له أبواب الجنة الثمانية»**[1] فاذكر هذا واعمله ولا تتركه فإنه كنز ثمين وخير كثير، والسلام عليك ما واظبت وواصلت.

وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين

(١) في رواية زيادة كلمة: «يدخل من أيِّها شاء».

النداء الحادي والثلاثون

في وجوب العدل في الحكم والشهادة وحرمة ترك العدل من أجل البغض والعداء والأمر بتقوى الله عزّ وجلّ

الآية (٨) من سورة المائدة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾.

الشـــرح:

اذكر أيها القارئ الكريم ما تقدم من أمر الله تعالى لعباده المؤمنين به، وبلقائه بالعدل، وهذا أمر آخر، وذلك لعظم شأن العدل وأهميته وضرورته في كل شيء، حتى أن أمر السماء والأرض قام على العدل، فاذكر هذا واصغ تسمع ما في هذا النداء من الأمر بالقيام لله تعالى بكل ما أوجب على عباده القيام به من العبادات والآداب والأخلاق والأحكام، وأن يكونوا قوامين لا قائمين فحسب؛ إذ القوام كثير القيام بالحقوق والواجبات، بخلاف القائم فإنه أقل قياماً من القوام. وقوله: ﴿لِلَّهِ﴾ نفي للشرك في كل ما يقوم به عبد الله المؤمن من عبادات وحقوق وواجبات أمر الله بها وأوجبها على عباده المؤمنين. وكما أوجب تعالى العدل في الأحكام وفي كل ما يقوم به المؤمنون من طاعات لله تعالى، أوجب العدل في أداء الشهادة، لأنه بالشهادة تؤدى الحقوق لأصحابها المشهود لهم، فإن جار الشاهد ولم يُقم شهادته على العدل ضاع حق المشهود له مؤمناً كان أو كافراً، غنياً كان أو فقيراً. وبما أن الكل عباد الله فلا يأذن الله تعالى بظلم عبد من عباده بإضاعة حقه، وهذا هو سرّ وجوب الشهادة بالقسط، أي العدل في قوله عزّ وجلّ: ﴿كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ﴾ اذكر هذا أيها القارئ والمستمع، وتأمل قوله تعالى في هذا النداء: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ﴾ أي ولا يحملنكم بغض الكافرين وعداوتهم، أو بغض كل من تبغضونه، وعداوة كل من تعادونه لأمر اقتضى بغضه أو

عداوته من المؤمنين والكافرين أو الموحدين والمشركين، لا يحملنكم ذلك البغض على أن تجوروا في الحكم إذا حكمتم، أو في الشهادة إذا شهدتم.

ولأهمية العدل في الأحكام والشهادات لها إذ القاضي يصدر حكمه باعتراف الجاني، أو شهادة اثنين من المؤمنين، أمر تعالى بالعدل مكرراً الأمر الأول، مؤكداً له بأمر آخر؛ إذ قال عزّ من قائل: ﴿كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ﴾ أي العدل في الحكم والشهادة، وفي كل ما يقوم به العبد لله من طاعات هو أقرب لتقوى الله عزّ وجلّ التي هي شطر ولاية الله للعبد، لما علمنا من أن أولياء الله هم المؤمنون المتقون، وأعداءه هم الكافرون الفاجرون. وبناء على هذا فكل ما يُقرِب من تقوى الله عزّ وجلّ أو يحققها فالقيام به واجب أكيد، لا يصح التفريط فيه بحال من الأحوال. ويؤكد صحة هذا ويقرره أن ختم الله تعالى هذا النداء العظيم بالأمر بتقواه؛ إذ قال: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾ أي خافوه خوفاً يحملكم على القيام التام بما أوجب عليكم القيام به من سائر التكاليف التي أنزل الكتاب بها وبعث الرسول من أجلها، وبخاصة القيام بالعدل في الأحكام والشهادات، ولنعلم أن الخوف من الله الحامل للعبد على النهوض بالواجبات وأداء الحقوق والأمانات، هذا الخوف يُكتَسَبُ ويُطلبُ. وطريق طلبه واكتسابه للحصول عليه هو:

١ ـ ذكر قدرة الله التي لا يعجزها شيء.

٢ ـ ذكر ضعف الإنسان وحاجته إلى ربه حتى في أنفاسه التي يرددها.

٣ ـ ذكر ما توعد الله تعالى به الفاسقين عن أمره، الكافرين بطاعته.

٤ ـ ذكر ما أحل الله بأعدائه من خراب ودمار وهلاك وخسران.

٥ ـ ذكر ما فاز به أولياء الله تعالى من كمال وعزّ وسيادة في الدنيا، وما هو مأمول لهم في الآخرة من نعيم مقيم في دار السلام.

بهذا الذكر بالقلب واللسان يوجد الخوف من الله تعالى في القلب، وإذا وجد الخوف كانت التقوى التي هي طاعة الله، وطاعة رسوله ﷺ باعتقاد وقول، وفعل ما أمر الله به وأمر به رسوله ﷺ، وبترك ما نهى الله عنه ورسوله من اعتقاد باطل وقول سيئ وعمل فاسد؛ وهو كل ما حرمه الله، ورسوله من الاعتقادات الباطلة، والأقوال الفاسدة الضارة والأعمال كذلك، وحسب العبد أن لا يغفل عن قوله تعالى في ختام هذا النداء وهو: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ فإنه يوجد ملكة مراقبة الله تعالى، ومن أصبح يراقب الله تعالى في كل ما يأتي، وما يذر فقد حقق التقوى والولاية الإلهية وأصبح من أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون في الدنيا والآخرة. اللهم اجعلنا منهم وتولَّنا كما توليتهم آمين.

وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

النداء الثاني والثلاثون

في الأمر بذكر النعم لشكرها وتقوى الله عزّ وجلّ، والتوكل عليه سبحانه وتعالى

الآية (١١) من سورة المائدة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾.

الشـــرح:

اعلم أيها القارئ الكريم أن الله تعالى لا ينادي عباده المؤمنين به وبلقائه إلا ليأمرهم بفعل ما يكملهم آداباً وأخلاقاً، ودولة وسلطاناً، ويسعدهم في دنياهم وأخراهم؛ لأنه ربهم ووليهم، والرب لا يريد لعبده ومملوكه إلا كماله وسعادته، والولي لا يريد لوليه إلا ما فيه خيره، وكماله وسعادته، وها هو ذا الله تبارك وتعالى ينادي عباده المؤمنين بهذا النداء: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ ليأمرهم بذكر نعمة عظيمة أنعم بها عليهم، هي أنه ما من مؤمن ولا مؤمنة من يوم تلك النعمة إلى يوم القيامة إلا وهو مأمور بشكر الله تعالى على تلك النعمة، والشكر متوقف على ذكر النعمة بعد معرفتها فلذا قال لهم: ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾. وبين موقعها، وجلا لهم حقيقتها، فقال عزّ من قائل: ﴿إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾ وقد تكررت محاولة قتل نبيهم ﷺ عدة مرات وفي كل مرة يكف الرب تبارك وتعالى أيدي الخادعين الماكرين، فلم يصلوا بالأذى لرسول الله ﷺ بالضرب أو القتل. ومن تلك المرات محاولة غورث بن الحارث الواردة في الصحيح، وهي أن (**غورث الأعرابي رأى النبي ﷺ قد نزل منزلاً وتفرق أصحابه عنه يستظلون بالأشجار للاستراحة من عناء الغزو والتعب والسير في سبيل الله، وقد علق النبي ﷺ سيفه بشجرة واستراح كما استراح أصحابه. وإذا غورث الأعرابي يأتي إلى النبي ﷺ وأخذ سيفه من الشجرة وسله من غمده وأقبل على الرسول ﷺ وقال له: من يمنعك مني؟ فقال الرسول ﷺ:**

الله عزّ وجلّ. قال الأعرابي مقالته ثلاث مرات والرسول ﷺ يرد عليه بقوله: الله عزّ وجلّ. فسقط السيف من يد غورث وجلس إلى النبي ﷺ ساكتاً لا يتكلم والرسول ﷺ معرض عنه. ودعا النبي ﷺ أصحابه فأخبرهم خبر الأعرابي وهو جالس إلى جنبه ولم يعاقبه) ولعل الأعرابي كان مبعوثاً من قوم مشركين ليقتلوا النبي ﷺ، فهذه نعمة وهي نعمة نجاة نبيهم من القتل على أيدي أعدائه وأعدائهم، وهي أكبر نعمة شملت المؤمنين عامة من عهده ﷺ إلى يوم القيامة.

ومرة أخرى وهي أن يهود بني النضير تآمروا على رسول الله ﷺ أن يطلقوا عليه رحى من سطح المنزل الجالس تحته إذ ذهب إليهم مع بعض أصحابه لمهمة تطلبت الذهاب إليهم بمقتضى المعاهدة السلمية التي كانت بينه ﷺ وبينهم، لكن الله تعالى خيبهم حيث أوحى إليه ﷺ بالمؤامرة فقام سريعاً مع أصحابه، وندم اليهود لما فُضحوا وأمر الله رسوله بإجلائهم بحكم المعاهدة التي نقضوها، فحاصرهم ﷺ برجاله وأجلاهم عن المدينة فالتحقوا بالشام.

وثالثة: تآمر يهود عليهم لعائن الله تعالى على قتله ﷺ بإطعامه سُماً فنجاه الله تعالى فهذه النعمة نعمة نجاة رسول الله ﷺ من القتل حتى يتم الله شرعه ويكمل دينه ولما نزلت آية ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] توفاه الله في حجرته المشرفة التي دفن فيها، ودفن معه صاحباه الشيخان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وأرضاهما، لهذا نادى الله تعالى عباده المؤمنين بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ أي بإنجاء نبيكم من القتل المدبر له ﷺ من قبل أعداء التوحيد وأعداء الإسلام، اليهود، وبين ذلك بقوله: ﴿إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ أي بقتل نبيكم فكف أيديهم عنكم.

تأمل هذا أيها القارئ كيف نسب الله تعالى القتل إلى المؤمنين والمُتآمَر على قتله هو نبيهم ﷺ، فتفهم أن على كل مؤمن ومؤمنة أن يُفدي رسول الله ﷺ بنفسه وولده ووالديه والناس أجمعين، وهو كذلك. وتأمل قول الله تعالى: ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٦]. يتبين لك سر أمر الله تعالى عباده المؤمنين بذكر نعمة الله عليهم بنجاة نبيهم من مكر أعدائه به ليقتلوه، فكف أيديهم وصرفهم خائبين خاسرين.

وأخيراً أمره تعالى للمؤمنين بتقواه بقوله: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾، وذلك لما في تقواه عزّ وجلّ من رضاه وولايته الموجبة للسعادة والكمال في الحياتين.

ألا فلنتق الله تعالى، وأمرنا بالتوكل عليه لا على غيره؛ إذ التوكل عليه يحقق

المطلوب بدفع الأذى وتحقيق الخير الكثير، وأما التوكل على غيره فإنه يجلب الخيبة والمذلة والضياع.

ألا أيها المؤمن القارئ والمستمع اذكر هذا ولا تغفل عنه فإنه سلم سعادتكم ومفتاح كل نعيم يحصل لكم. وفقنا الله تعالى لذلك وزادنا رضاه آمين.

وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين

النداء الثالث والثلاثون

في الأمر بتقوى الله عزّ وجلّ وطلب الوسيلة إلى الله تعالى، والجهاد في سبيله عزّ وجلّ

الآية (٣٥) من سورة المائدة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَـٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

الشـــرح:

هل تذكر أيها القارئ الكريم سر نداء الله للمؤمنين بعنوان الإيمان وهو أن المؤمن حيي بإيمانه يسمع ويعقل ويقدر على الفعل والترك بخلاف الكافر، فإنه في حكم الميت إذ هو لا يسمع نداء الله عزّ وجلّ، ولا يجيب ولا يعقل ولا يفهم.

وهل تذكر أن الله تعالى لا ينادي المؤمنين إلا ليأمرهم أو ينهاهم أو يبشرهم، أو ينذرهم. إذ في الأمر فعل ما يزكي نفوسهم، وفي النهي ما يبعدهم عما يدسيها ويخبثها. وفي البشارة ما يرغبهم في الصالحات. وفي النذارة ما يبعدهم عن مقارفة الذنوب المدسية للنفس. وها هو ذا تعالى في هذا النداء يأمرهم بتقواه إذ قال عزّ من قائل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾. أي خافوه خوفاً يحملكم على طاعته إذ بطاعته تكون الوقاية من غضبه تعالى وعقابه في الدنيا والآخرة. وكما أمرهم بتقواه لينجوا من عذابه، أمرهم بما يرفع درجاتهم ويُعلي منازلهم ومقاماتهم في الدنيا والآخرة، ألا وهو التقرب إليه بنوافل العبادات كنوافل الصلاة والصيام والصدقات والحج والعمرة، والذكر والدعاء وما إلى ذلك من نوافل العبادات، فقال تعالى: ﴿وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ أي اطلبوا العمل الصالح متوسلين به إليه تعالى، وهو سائر القُرب التي يتقرب بها العبد إلى ربه ليظفر بحبه، ورضاه والقرب منه، واذكر أيها القارئ الكريم والمستمع المستفيد أنه شاع بين المسلمين أنواع من الشرك سموها وسيلة؛ ذلك لغلبة الجهل في الأمة الإسلامية؛ إذ العدو الكافر أبعدهم عن مصدر العلم والمعرفة وهو الكتاب والسنة، فأصبح القرآن يُقرأ على الموتى فقط، والسنة تُقرأ للبركة لا غير

لاستنباط الأحكام الشرعية والآداب والأخلاق الإسلامية، ومن الأمور الشركية التي أطلقوا عليها اسم الوسيلة ووقع فيها الجهال وغيرهم:

١ ـ دعاء الأموات والاستغاثة بهم كأن يقول: يا سيدي فلان أنا بك وبالله ادع الله لي سل الله لي قضاء حاجتي... إلخ.

٢ ـ الذبح للأولياء كأن يذبح الشاة على الضريح «القبر» ويقول هذه على روح سيدي فلان.

٣ ـ النذر للأولياء كأن يقول يا سيدي فلان إذا قضى الله حاجتي ذبحت لك شاة أو أنرت ضريحك بشمع ونحوه، أو وضعت ستائر حريرية على تابوتك.

٤ ـ الحلف بالأولياء نحو وحق سيدي فلان، أو رأس سيدي فلان.

٥ ـ نقل المرضى إلى أضرحتهم للتبرك بهم والتمرغ على تربتهم ودعائهم وطلب الشفاء منهم. كل هذا الشرك يسمونه توسلاً إلى الله تعالى بعباده الصالحين، فاذكر هذا واحذره، واعلم أن التوسل إلى الله عزّ وجلّ يكون بفعل الخيرات، والإكثار من الطاعات من أجل رفع الدرجات، والظفر بالرغائب المحبوبات.

هذا واعلم أن النبي ﷺ قد أخبر أن له درجة في الجنة تسمى الوسيلة وهي أقرب منزل إلى عرش الرحمن، وأن من سألها من الله تعالى له نالته شفاعته، إذ قال ﷺ: **«إذا أذّن المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا عليَّ، ثم قولوا اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته فإن من قال ذلك وجبت له شفاعتي»**.

وقوله تعالى في آخر النداء: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ هذا الأمر الثالث في هذا النداء، وهو الأمر بجهاد الكفار لإدخالهم في الإسلام رحمة بهم حتى ينجوا من الخلود في عذاب النار، وهناك جهاد آخر يدخل تحت هذا الأمر ألا وهو جهاد الفساق بأمرهم ونهيهم، وجهاد الشيطان بلعنه وعدم الاستجابة له فيما يزين من القبائح، ويحسّن من المنكرات، وجهاده بعدم الاستجابة له، والتعوذ بالله منه وجهاد النفس وهو أشدها وحقيقته: أن يحمل العبد نفسه على أن تتعلم محاب الله، وتعمل بها وتتعلم مكاره الله وتتجنبها، وتُعَلِّمُ غَيْرَها ذلك من المؤمنين والمؤمنات، والجزاء على هذا الجهاد هو ما واعد الرحمن به يقول: ﴿لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ والفلاح هو النجاة من النار ودخول الجنة دار الأبرار، جعلنا الله تعالى من أهلها آمين.

وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين

النداء الرابع والثلاثون

في حرمة اتخاذ اليهود والنصارى أولياء وعلة ذلك والتحذير من موالاتهم

الآية (٥١) من سورة المائدة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥١)﴾.

الشـــرح:

اذكر أيها القارئ الكريم أن ولاية الله تعالى تتم للعبد بالإيمان الصادق والتقوى الكاملة، وأن من والى الله عزّ وجلّ يحرم عليه موالاة أعدائه، وأن من أعداء الله سبحانه وتعالى اليهود والنصارى، فاليهود قتلوا أنبياءه وفسقوا عن أمره، والنصارى ألّهوا غيره وعبدوا سواه؛ فلذا نادى الرب تبارك وتعالى عباده المؤمنين به وبرسوله وبلقائه قائلاً: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي يا من آمنتم بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً ورسولاً لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء لكم تحبونهم وتنصرونهم، فإنهم أعداء ربكم وأعداؤكم، فكيف توالونهم؟ أتوالون من يعاديكم وتحبون من يبغضكم، وتنصرون من يود هزيمتكم؟

هذا من جهة، ومن جهة أخرى أن اليهودي وليُّ أخيه اليهودي، والنصراني وليُّ أخيه النصراني، فكيف تصح ولاية نصراني على نصراني، وولاية يهودي على يهودي؟ إن هذا غير ممكن ولا سائغ بحال من الأحوال، ألا فاحذروا هذا أيها المؤمنون، ولا تتخذوا أعداءكم وأعداء ربكم ودينكم ونبيكم أولياء لكم تحبونهم وتنصرونهم فإن ذلك يفضي بكم إلى الكفر ـ والعياذ بالله ـ ويقرر هذه الحقيقة قوله تعالى في هذا النداء: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ﴾، ومن كان منهم فهو مثلهم في كفر ومعاداة الله ورسوله والمؤمنين وبذلك يُحرم هداية الله، إذ الله تعالى لا يهدي القوم الظالمين. وكيف وقد ختم نداءه هذا للمؤمنين ليرشدهم إلى ما يكملهم ويسعدهم ختمه بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ومن والى أعداء الله عزّ وجل فقد عاداه. ومن عادى الله

فقد ظلم نفسه إذ الظلم وضع الشيء في غير موضعه، ومن ظلم وكفر فكيف تصح موالاته أيها المؤمنون؟

ألا فلنتق الله عزّ وجلّ أيها المؤمنون ولنُوال من والى الله، ولنعاد من عادى الله. فإن هذا الأمر هو الذي نادانا الله من أجله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾.

فكيف لا نحذر أن نكون يهوداً أو نصارى إذا نحن واليناهم ـ والعياذ بالله ـ من الكفر بعد الإيمان، ومن الضلال بعد الهداية والولاية. ولْتَعلم أيها القارئ والمستمع أن الموالاة التي حرمها الله تعالى علينا هي أن نحب اليهودي بقلوبنا ونعرب له عن ذلك بألسنتنا وأن نقف إلى جنبه ننصره على أعدائه وهم إخواننا، هذا الحب والولاء هما للمؤمنين لا للكافرين فالمؤمن يحب المؤمن ويعرب له عن حبه بلسانه وعمله، ويقف إلى جنبه ينصره ويموت معه أو قبله لأنه أخوه في الإيمان والإسلام والإحسان، وولاية الرحمن، أما الكافر من يهودي أو نصراني أو مجوسي أو بوذي أو مشرك فإنهم كفروا بربنا ونبينا وديننا، وحاربونا، وحملوا الحقد والبغض والعداء لنا ولربنا عزّ وجلّ، فكيف تَسُوغُ موالاتهم مع هذه الفواصل المختلفة والصوارف المتعددة اللهم لا، لا.

وأخيراً لنجتنب أي مظهر من مظاهر اليهود والنصارى وأهل الكفر قاطبة حتى في الزي واللباس، والشعار ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً. والله وليُّ من والاه وعدو من عاداه ولا إله إلا الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين

النداء الخامس والثلاثون

في التحذير من الردة عن الإسلام وبيان صفات المؤمنين الصادقين

الآية (٥٤) من سورة المائدة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٥٤)﴾.

الشــــرح:

اذكر أيها القارئ الكريم أن نداءات الرحمن لعباده وأوليائه المؤمنين تدور حول زيادة هدايتهم، وطلب كمالهم وسعادتهم في الدارين، وها هو ذا تعالى يحذرهم من الردة عن الإسلام، والعودة إلى الشرك، وهذا نادر، وإنما المتوقع هو التهود والتنصر ـ والعياذ بالله ـ، ويدل لذلك تحذيره في النداء الرابع والثلاثين قبل هذا إذ حرّم موالاة اليهود والنصارى فقال: ﴿لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ﴾ [المائدة: ٥١]، إذ هذا سبيل التهود والتنصر ثم أعلم أن من تولاهم أصبح منهم وبذلك يكون قد ارتد عن الإسلام ودخل في اليهودية أو النصرانية ـ والعياذ بالله تعالى ـ من السلب بعد العطاء ومن الضلال بعد الهدى. وها هو ذا سبحانه وتعالى يناديهم فيقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ﴾ أي يرجع ﴿مِنْكُمْ﴾ أيها المسلمون ﴿عَنْ دِينِهِ﴾ الذي هو الإسلام، وقل لي: بِمَ تكون الردة؟ إنها تكون باعتقاد اليهودية أو النصرانية وحبهم وموالاتهم وشهود معابدهم وعباداتهم، والتزي بزيهم، والسير في ركابهم، بفعل ما يفعلون وترك ما يتركون تعبداً وتديناً، فلنذكر هذا ولا ننسه. ونُحَذِّرُ كلَّ مسلم ومسلمة من الوقوع فيه فإنه الردة الموجبة لغضب الله وعقابه، كان هذا في التحذير من الردة. أما صفات المؤمنين الصادقين فقد بينها الله تعالى بقوله: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾.

فأولى هذه الصفات: حبّ الرحمن لهم ولنعم هذه الصفة.

وثانيها: حبهم لله تعالى وأعظم بها نعمة.

وثالثها: كونهم أذلة على المؤمنين أي هينين لينين.

ورابعها: أعزة على الكافرين أي أقوياء أشداء.

وهاتان الصفتان: الرابعة والثالثة جاءتا في نعت الرسول ﷺ وأصحابه إذ قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

وخامسة الصفات: يجاهدون في سبيل الله؛ أي كلما دعا داعي الجهاد حملوا سلاحهم وخرجوا لا هدف لهم ولا غاية سوى رضى الله ونصرة دينه وأوليائه.

وسادسة الصفات: أنهم لا يخافون في اعتقاد الحق وقوله والعمل به وإظهاره والدعوة إليه لومة لائم، بل ولا عداء معاد ولا حرب محارب. وذلك لكمال علمهم وصحة إيمانهم وعظيم يقينهم. وقل لي أيها القارئ الكريم بِمَ ختم الله توجيهه لأوليائه في هذا النداء العظيم؟ إنه ختمه بقوله: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤].

إن هذه الصفات الست التي لا يقدر على إعطائها إلا الله، ولا يستحقها إلا أولياء الله هي من فضل الله تعالى، وفضل الله لا يُعطى إلا لمن طلبه ورغب فيه وصدق في طلبه وسلك السبيل المحقق له والموصل إليه، وقل لي بم يطلب هذا الفضل العظيم؟ فإني أعلمك بأنه يطلب بالإيمان بالله، والكفر بالطاغوت إذ قال تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾﴾ [البقرة: ٢٥٦، ٢٥٧] وإن قلت ما كيفية الإيمان بالله، والكفر بالطاغوت؟ قلت إنها تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وتحقيق شهادة لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله: هو أن يؤمن بالله رباً لا رب سواه، وإلهاً لا إله غيره، ويعلن ذلك بقوله أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويعبد الله بما شرعه من عبادة بيّن كيفيتها رسول الله ﷺ، ولا يعبد مع الله غيره بأية عبادة ويسخط ولا يرضى بعبادة غير الله أبداً.

وأخيراً أيها القارئ وأحسبك قد فهمت نداء الله وما تضمنه من هداية وهدى، فإليك وصية رسول الله ﷺ لصاحبه أبي ذر فافهمها واعمل بها تكمل وتسعد. أخرج ابن كثير في تفسيره رواية أحمد في مسنده رحمه الله إذ قال عن أبي ذر قال: أمرني خليلي ﷺ بسبع: «**أمرني بحب المساكين والدّنو منهم، وأمرني أن أنظر إلى من هو دوني، ولا أنظر إلى من هو فوقي** (هذا في أمور الدنيا لا أمور الدين) **وأمرني أن أصل رحمي وإن**

أدبرت (قطعت)، وأمرني أن لا أسأل أحداً شيئاً، وأمرني أن أقول الحق وإن كان مراً، وأمرني أن لا أخاف في الله لومة لائم، وأمرني أن أكثر من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله فإنهن من كنز تحت العرش».

فاعلم أيها القارئ الكريم أنك إذا حققت الصفات الست التي تضمنتها آية هذا النداء وأضفت إليها هذه الصفات السبع فقد بلغت ذروة الكمال، وحزت أفضل الخصال، ونلت ما لا ينال إلا بتوفيق وإفضال وإنعام ذي الجلال والإكرام، وسلام عليك في الفائزين.

وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين

النداء السادس والثلاثون

في حرمة ولاية من يتخذ دين الله هزواً ولعباً من أهل الكتاب وغيرهم

الآيتان (٥٧، ٥٨) من سورة المائدة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٥٧ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوٗا وَلَعِبٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٞ لَّا يَعْقِلُونَ ۝٥٨﴾.

الشــــرح:

اعلم أيها القارئ الكريم أن هذا النداء الإلهي العظيم يحرم على المؤمنين ولاية الكافرين، سواء كانوا أهل كتاب كاليهود والنصارى، أو كانوا لا كتاب لهم كالمجوس، أو كانوا مشركين أميين. وعلة هذا التحريم هي اتخاذهم دين الإسلام الحق الذي لا دين يقبله الله تعالى سواه. كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْأٓخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٨٥﴾ [آل عمران: ٨٥] ولا شك أن نزول هذه الآية كان لسبب سخرية واستهزاء بعض الكفار من يهود ونصارى ومشركين بالدين الإسلامي، إذ ورد أن المنافقين واليهود كانوا إذا سمعوا الأذان يضحكون ويلعبون بصوت المؤذن. فمنهم من يقول: هذا نهيق حمار، ومنهم من يرفع صوته بالأذان ساخراً لاعباً مستهزئاً، فأنزل الله تعالى هذا النداء ينهى المؤمنين عن موالاتهم هؤلاء المستهزئين بشعائر الدين الإسلامي، الضاحكين اللاعبين، كلما أتيحت لهم الفرصة حيث لم يكن معهم من يخافونه من المسلمين، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي يا من آمنتم بالله رباً وإلهاً، وبالإسلام ديناً وشرعاً، وبمحمد نبياً ورسولاً ﴿لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ﴾ أي الإسلام وشرائعه وأحكامه ﴿هُزُوٗا﴾ يستهزئون به ﴿وَلَعِبٗا﴾ يلعبون به، وبيّن تعالى المستهزئين اللاعبين فقال: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ وهم اليهود والنصارى ﴿وَٱلْكُفَّارَ﴾ يعني المشركين ﴿أَوْلِيَآءَۚ﴾ أي توالونهم بالحب والنصرة. ثم أمر تعالى عباده المؤمنين بتقواه وهي طاعته فيما أمر ونهى فيفعلون المأمور بحزم وجد، وينتهون عن المنهي، كذلك ومن جملة ما نهاهم عنه موالاة أهل الكتاب والمشركين وبخاصة الذين

يستهزئون بالإسلام ويسخرون منه، ويضحكون ويلعبون، إذ موالاة هؤلاء الساخرين المستهزئين لا يسيغها عقل ولا دين. فكيف تصح إذاً موالاتهم من أهل الإيمان، لذا قال تعالى في ختام الآية ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾. وفعلاً هم مؤمنون؛ لذا فلا يصح منهم أبداً موالاة أعداء الإسلام المحاربين له الساخرين منه. وفي هذه الجملة المُذيّل بها الكلام ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ ما يجعل حرمة موالاة هؤلاء الكافرين أعظم حرمة وأشدها، إذ موالاة الكافرين محرمة بآية قبل هذه كآية آل عمران: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٢٨] وآية المائدة قبل ذي ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ وفي الآية بعد ذي وهي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾﴾ ففي هذه الآية بيان استهزائهم ولعبهم بالدين، إذ الأذان دين وشرع بل هو أظهر الشرائع، وأعلى مقامات الدين، إذ به ترتفع كلمة التوحيد، والنبوة، ويدعى إلى أشرف عبادة وأزكاها وأكثرها تعبداً لله تعالى وهي الصلاة وإقامتها وفي قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة: ٥٨] تقرير أن المستهزئ بالأذان، الضاحك منه، اللاعب به، يعتبر لا عقل له كالبهائم أو أشر وأضل.

إذ النداء إلى الصلاة بتلك الكلمات السامية الرفيعة الداعية إلى الفلاح بإقامة الصلاة لا يجهل معناها ولا يكرهها إلا من لا عقل له. وصدق الله العظيم إذ قال ذلك، أي كان ذلك الاستهزاء والسخرية واللعب بالأذان بسبب أنهم قوم لا يعقلون، وحقاً إنهم لا يعقلون وصدق الله العظيم.

وأخيراً أيها القارئ الكريم إليك بيان حكم الأذان في الإسلام.

إن الأذان فرض كفاية في المدن والقرى، وسنة لجماعة تطلب غيرها، ومستحب لمن لا يطلب غيره في السفر أو الحضر، إلَّا أنَّه في السفر أعظم أجراً لحديث الموطأ وهو قوله ﷺ: «**لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا إنس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة**»، أما الإقامة فإنها سنة مؤكدة لكل صلاة، ومن أذن أقام ولو أقام غيره لا بأس. وإليك صيغة الأذان والإقامة:

الأذان:

الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر. أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلا الله. أشهد أن محمداً رسول الله، أشهد أن محمداً رسول الله. حي على الصلاة، حي على الصلاة. حي على الفلاح، حي على الفلاح[1]، الله أكبر الله أكبر. لا إله إلا الله.

---

(١) في أذان الصبح تزاد جملة: الصلاة خيرٌ من النوم مرتين، وذلك بعد قوله: حيّ على الفلاح.

الإقــامــة:

الله أكبر الله أكبر. أشهد أن لا إله إلا الله. أشهد أن محمداً رسول الله. حي على الصلاة. حي على الفلاح. قد قامت الصلاة، قد قامت الصلاة. الله أكبر الله أكبر. لا إله إلا الله.

هذا واذكر أن معنى قوله تعالى في الآية: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ﴾ إنه الأذان للصلوات الخمس. فتح الله عليك في العلم والعمل، وعلى كل مؤمن ومؤمنة فقل آمين آمين.

وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين

النداء السابع والثلاثون

في حرمة تحريم ما أحل الله من الطيبات وحرمة الاعتداء في الدين

الآيتان (٨٧، ٨٨) من سورة المائدة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾.

الشــــرح:

اعلم أيها القارئ الكريم أن لهاتين الآيتين سبباً في نزولهما، فقد أخرج البخاري في صحيحه عن أنس رضي الله عنه قال: «**جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادته فلما أخبروا كأنما تقالوها فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ قد غفر الله له من ذنبه ما تقدم وما تأخر. فقال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً. وقال آخر: أما أنا فأصوم الدهر ولا أفطر. وقال آخر: أما أنا فأعتزل النساء ولا أتزوج أبداً. فجاء رسول الله ﷺ فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني**»ونزلت هاتان الآيتان ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي يا من آمنتم بالله رباً، وبالإسلام ديناً وشرعاً لا يقبل ديناً غيره ولا يطبق شرعاً سواه، وبمحمد نبياً ورسولاً لا يُقتدى بغيره ولا يتبع سواه ﴿لَا تُحَرِّمُواْ﴾ أي بامتناعكم عن طيبات ما أحل الله لكم من الطعام والشراب والنوم والنكاح، والمراد بالطيبات ما كان غير مستقذر ولا مستخبث مما أحل الله عزّ وجلّ لعباده المؤمنين لمصالح عامة وخاصة، وفوائد ظاهرة وباطنة؛ إذ الله تعالى عليم حكيم فلا يبيح ولا يمنع إلا لحكمة عالية تدور على مصالح عباده المؤمنين، وبعد هذا النهي عما أحل الله تعالى لعباده المؤمنين، وهم منهم وبينهم فقد ورد أنهم عبد الله بن مسعود وعثمان بن مظعون وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين؛ خاطبهم الحق تبارك وتعالى ناهياً لهم عن الاعتداء وهو مجاوزة الحدّ المحدود كتحريم الحلال، أو تحليل

الحرام، ومن الاعتداء الإسراف في الأكل والشرب والجماع وفي اللباس وفي غيرها لقوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١] والإسراف هو مجاوزة النافع إلى الضار، والحق إلى الباطل، والمسعد إلى المشقي، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ فكيف ترضون لأنفسكم بغض الله لكم وعدم محبته إياكم وأنتم ما حرمتم على أنفسكم ما حرمتم إلا طلباً لحب الله تعالى ورضاه، وهروباً من بغضه وعدائه. واعلم أيها القارئ الكريم والمستمع المستفيد أن الرسول ﷺ أبان وأفاد في هذا الباب فلتستمع إلى ما قال في هذا الشأن:

١ ـ كلوا وتصدقوا والبسوا في غير إسراف ولا مخيلة؛ المخيلة من الخيلاء وهو الكبر والعجب.

٢ ـ وقال ابن عباس في رواية البخاري: كل ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك خصلتان سرف ومخيلة.

٣ ـ كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا من غير مخيلة ولا إسراف، فإن الله يحب أن يرى نعمته على عبده.

٤ ـ عليكم بثياب البياض فالبسوها فإنها أطهر وأطيب وكفنوا فيها موتاكم.

٥ ـ (قال بعض السلف): جمع الله الطبّ كله في نصف آية ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾.

وقوله تعالى في الآية: ﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ (٨٨)﴾ إنه بعد أن نهاهم عما حرموا على أنفسهم من النساء والطعام والمنام واللباس، أيضاً أمرهم أمر إباحة ورحمة وإرشاد فقال: ﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ أي من الحلال لا من الحرام، فالحرام لا يكون رزقاً إلا في ضرورة الخوف من الموت كأكل الميتة والدم ولحم الخنزير. وقوله: ﴿حَلَالًا﴾ يفيد أن الحرام لا يكون رزقاً، والطيب هو ما لم يكن مستقذراً ولا مستخبثاً ولا محرماً.

وأخيراً أمرهم تعالى وهو أمر لكل مؤمن ومؤمنة ممن نزلت فيهم الآية ومن غيرهم إلى يوم القيامة أمرهم بتقوى الله عزّ وجلّ وذلك بطاعته فيما حرم وأحل، وفيما أمر ونهى من سائر ما حواه شرعه وبيَّنه رسوله محمد ﷺ وقوله: ﴿الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ تذكير لهم بإيمانهم به سبحانه وتعالى. فإن من آمن بالله وعرف صفات جلاله وكماله من قدرة وعلم وحكمة ورحمة لا يخطر بباله معصيته فضلاً عن أن يعصيه، فكيف تجرؤون على تحريم ما أحل، ولم يوبخهم سبحانه وتعالى في هذا التوجيه؛ لأنهم ما حرموا على أنفسهم لا على غيرهم إلا طلباً لمرضاته وسعياً وراء حبه سبحانه وتعالى.

هذا واعلم أيها القارئ الكريم أن هذه الآية ترد على غلاة المترهبين وأهل البطالة من بعض المتصوفين الذين يلبسون الصوف لا غير ويمتنعون عن لذيذ الطعام والشراب.

واعلم أيضاً أن من حرم ما أحل الله لا يحرم عليه ما حرمه إلا الزوجة، فإنها إذا حرمها تحرّم. فمن قال لزوجته أنت عليّ حرام وأراد طلاقها تطلقت، وإن لم يرد طلاقها كفّر كفارة يمين وعادت إليه ولا تحرم عليه، فاذكر هذا والله ولي المتقين.

وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين

النداء الثامن والثلاثون

في تحريم الخمر والميسر والأنصاب والأزلام

الآيتان (٩٠، ٩١) من سورة المائدة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾.

الشــــرح:

لا تنس أيها القارئ الكريم أن الإيمان بمثابة الروح للإنسان، فمن آمن وصح إيمانه فقد حَيِي وأصبح أهلاً لأن يُؤمر فيمتثل ويفعل، ويُنهى فيمتثل وينتهي، وذلك لكمال حياته. وإن الكافر كالميت لا يسمع ولا يبصر، ولا يفهم ولا يعقل، ولذا لا يُكلف إلا بعد حياته بالإيمان بالله ولقائه، وكتاب الله، ورسوله ﷺ، فاذكر هذا ولا تنسه، واعلم أن هذا النداء الإلهي الثامن والثلاثين من نداءات الرحمن لأوليائه المؤمنين المتقين يحمل لهم تحريمه تعالى عنهم أربعة أشياء وهي: الخمر، والميسر، والأنصاب، والأزلام، إذ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾.

فالخمر هي كل ما خامر العقل؛ أي ستره فأصبح صاحبه يهذر في كلامه، ولا يعي ما يقول حتى إنه قد ينطق بالسوء، أو يأتي منكراً من الفعل.

والميسر أصله اللعب بالقداح للقمار، وأصبح يطلق الميسر على القمار، فكل لعب يقامر به هو ميسر.

والأنصاب جمع نصب، وهو ما ينصب من الأحجار والتماثيل والصور للعبادة بأي صورة من صور العبادة كالتعظيم، والتمسح، والعكوف حولها، والحلف بها، والنذر لها.

والأزلام جمع زلم، وهي سهام يستقسمون بها في الجاهلية، وهي عبارة عن ثلاثة سهام كُتب على أحدها أمرني ربي، وعلى الثاني نهاني ربي، والثالث مهمل لم يكتب عليه شيء، فإذا أراد الرجل أن يسافر أو يتزوج أو. . . يأتي صاحب الأزلام فيطلب منه بيان قسمته وحظه فيدخل العيدان في خريطة (كيس) ويميلها فيها ثم يخرج واحداً من الثلاثة. فإذا خرج أمرني مضى في عمله الذي عزم عليه، وإن خرج نهاني ترك العمل، وإن خرج المهمل أعاد الاستقسام حتى يخرج أمرني أو نهاني. . .

فجاء الإسلام فحرم هذا الاستقسام، كما حرم ما يُعرف بخط الرمل، وقرعة الأنبياء والاستقسام بالمسبحة، والشوافات من النساء إلى غير ذلك من أنواع الضلالات التي جاء الإسلام بتحريمها. وقال الله تبارك وتعالى فيها: ﴿رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ والرجس النجس المستقذر حساً أو معنى، والمحرمات كلها خبيثة وإن لم تكن مستقذرة، وكونها من عمل الشيطان هي أشد رجساً وقذارة، لأن الشيطان لا يزين إلا ما كان خبيثاً نجساً حساً أو معنًى لذا أمر تعالى باجتنابه بقوله: ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾ ورجّانا بالفلاح إذا نحن اجتنبنا هذه القاذورات من الخمر، والميسر، والأنصاب، والأزلام فقال: ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ والفلاح الفوز بالنجاة من النار ودخول الجنة. كانت تلك هداية الآية الأولى، أما الآية الثانية وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ فقد أخبرنا تعالى عن علة تزيين الشيطان للرجس الذي هو مجموع المحرمات الأربع وأنّها إيقاع العداوة والبغضاء بيننا، وصَدُّنا عن ذكر الله وعن الصلاة، فهذه العظائم الأربع هي علة تزيين الشيطان لتلك الخبائث الأربع التي هي الخمر، والميسر، والأنصاب، والأزلام.

ألا فلنعرف هذا أيها القارئ الكريم، ولنلعن الشيطان ونخيبه في دعوته باجتنابنا التام للخمر فلا نشربها، ولا ننتجها، ولا نبيعها، وللميسر فلا نلعبه وأياً كانت آلاته نرداً أو شطرنجاً، أو كعاباً، أو غيرها كالكيرم، والدومينو وغيرها إذ الكل مما حرم الله جلّ جلاله وعظم سلطانه، وبذلك ننجو من فتنة الشيطان فتدوم محبتنا لبعضنا وولاؤنا ولا نفتر ذاكرين لله، مقيمين للصلاة، التي هي عمود ديننا، ومركز قوتنا ومنارة هدايتنا وسلم رقينا ونجاتنا من الوقوع في الفحشاء والمنكر ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

ولنذكر ما ختم الله تعالى به هذا التوجيه الإلهي لنا وهو قوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ لنقول: انتهينا ربنا كما قالها عمر رضي الله عنه، لما كان يقول: اللهم بيّن لنا في الخمر شافياً. حتى نزلت هذه الآية فقال: انتهينا ربنا. ونحن نقول لا نقارف هذه الخبائث، ولا نرضى بها فثبتنا ربنا، فإنك ولينا ولا وليّ لنا سواك ولك الحمد على ما أوليت، ولك الشكر على ما أعطيت. وسلام على عبادك الصالحين. والحمد لله رب العالمين.

النداء التاسع والثلاثون

في ابتلاء الله تعالى عباده المُحرمين بالحج والعمرة بظهور الصيد وسهولة صيده

الآية (٩٤) من سورة المائدة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٩٤) ﴾.

الشـــرح:

اعلم أيها القارئ الكريم أن الله تعالى إذْ يبتلي عباده المؤمنين اختباراً لهم وامتحاناً ليعلم الذين يخافونه بالغيب، كما قال عزّ وجلّ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (١٢) ﴾ [الملك: ١٢] فيرفع درجاتهم، ويُعلي مقاماتهم ويظهر في الدنيا كراماتهم، وها هو ذا سبحانه وتعالى ينادي عباده المؤمنين ليخبرهم بأنه سيبتليهم بشيء من الصيد، والصيد هو ما يُصاد من حمار الوحش إلى الغزال وما دون ذلك كالطير والأرانب، أطلق المصدر وأريد به اسم المفعول وهو المصيد؛ إذ الفعل صاد يصيد صيداً، كباع يبيع بيعاً، فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ يا من آمنتم بالله ولقائه، وكتابه، ورسوله. ﴿ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ ﴾ أي ليختبرنكم الله ربكم ووليكم ﴿ بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ ﴾ أي مما يُصاد كالظباء والأرانب وغيرهما، وقد فعل ذلك بالمؤمنين أيام عمرة الحديبية فكانت الوحوش والطيور تغشاهم في رحالهم بصورة لم يُرَ مثلها قط، فنهاهم الله تبارك وتعالى عن صيده وقتله وهم محرمون بالعمرة قبل التحلل منها.

وقوله تعالى: ﴿ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ ﴾ أي لكثرته وكثرة ما يغشاهم في رحالهم، فصغاره كبيضه، وفراخه تناله أيديهم لو أرادوا أن يأخذوه، وكباره تناله رماحهم لو أرادوا صيده. ثم ذكر تعالى الحكمة من هذا الابتلاء العجيب فقال عزّ وجلّ: ﴿ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِ ﴾ وفعلاً قد خافوا ربهم، وما صادوا لا بأيديهم ولا برماحهم فأصبحوا بذلك أهلاً للقيام بمهام الأمور وعظائمها لأنهم عما قريب سيصبحون هداة البشرية

وقادتها وقضاتها فسيسوسون بالعقل والرشد ويحكمون بالشرع، ويعاملون بالمعروف، ولم يكونوا كبني إسرائيل ابتلاهم ربهم بتحريم الصيد أي صيد السمك يوم السبت. فكان الصيد يأتيهم أي يظهر لهم شرعاً ظاهراً بارزاً إغراء لهم وفتنة يوم سبتهم، ويوم لا يسبتون لا يأتيهم فاحتالوا على الصيد ووضعوا الشباك ليلة السبت أو يوم الجمعة فتمتلئ بالحيتان يوم السبت فيأخذونها ملأى يوم الأحد فيأكلونها فمسخهم الله عزّ وجلّ قردة وخنازير كما جاء ذلك في سورة الأعراف في قوله تعالى: ﴿وَسْئَلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ﴾ [الأعراف: ١٦٣].

أما المؤمنون الصادقون من تلك الزمرة المباركة الذين صحبوا رسول الله ﷺ فقد امتحنوا ونجحوا وفازوا، وجاء أناس غلب عليهم الجهل فأحلوا محارم الله بالحيل كالربا بأنواع من الحيل، وقوله تعالى في ختام النداء: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. أي من اعتدى بعد هذا النهي عن قتل الصيد حال الإحرام فله عذاب أليم أي موجع، وقد يكون في الدنيا، وقد يكون في الآخرة، أو فيهما معاً بحسب حال المعتدي في اعتدائه، وقد يعفو الرحمن ويغفر وهو العفوّ الرحيم.

هذا ولنعلم أن الصيد في الحرم مُحرّم على المُحرِم وغيره وهو المحل، والحرم حرمان: حرم مكة المكرمة، وحرم المدينة النبوية. أما حرم مكة فقد قال فيه رسول الله ﷺ: «**إن إبراهيم قد حرم مكة فهي حرام إلى يوم القيامة لا يختلى خلاها ولا ينفر صيدها ولا يُصاد**» وحدود الحرم المكي قد حددها إبراهيم عليه السلام مع جبريل عليه السلام. وأما حدود حرم المدينة فقد حددها رسول الله ﷺ بقوله: «**المدينة حرام من عائر إلى ثور**» فلا يصاد صيده ولا يختلى خلاه كالحرم المكي سواء بسواء.

كما ينبغي أن نعلم أن خمساً من الحيوانات أُذن في قتلهن في الحل والحرم، وللمحرم والمحل وهي التي جاءت في قول النبي ﷺ في الصحيح: «**خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم: الحية، والغراب الأبقع، والفأرة، والكلب العقور، والحدأة**» وما قيس عليها من كل ما يؤذي كالأسد والنمر والذئب والفهد، إذ على هذا أجمع فقهاء الإسلام رحمهم الله تعالى.

وأخيراً أيها القارئ الكريم والمستمع المستفيد اذكرا ما علمتما من أن الله تعالى يبتلي عباده المؤمنين بالفعل والترك، وبالخير والغير تربية لهم وإعداداً لتحمل أعباء الشريعة وتكاليف الدين ليفوزوا بولايته ومحبته ورضاه ورضوانه، فاذكروا هذا واصبروا على الابتلاء، وقد يكون جوعاً وقد يكون خوفاً، وقد يكون صحة وقد يكون مرضاً، وقد يكون ولاية وقد يكون إهانة، فلنصبر على كل ابتلاء بالرضا به والتسليم لله فيه، ولا نفارق ذكر الله بعبادته، وبحمده وشكره. فهذا سبيل الفائزين، جعلنا الله منهم وحشرنا في زمرتهم آمين.

وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين

النداء الأربعون

في حرمة الصيد حال الإحرام
وبيان جزاء من قتل الصيد عامداً وهو محرم والعياذ بالله

الآية (٩٥) من سورة المائدة
أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُۚ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ (٩٥)﴾ .

الشـــرح:

اذكر أيها القارئ والمستمع ما جاء في النداء التاسع والثلاثين قبل هذا، فإن فيه اختبار الله تعالى للمؤمنين بشيء من الصيد، واختبار أهل عمرة الحديبية ونجحوا أجمعين فلم يصيدوا مع ما كان يغشاهم في رحالهم من أنواع الصيد فرضي الله عنهم وأرضاهم، وبما أن الإسلام هو الدين الباقي ببقاء هذه الحياة، فلا ينسخ ولا يزاد فيه ولا ينقص، وعَلِمَ الله أنه يأتي يوم يجهل فيه المؤمنون كرامتهم ومقامهم فيصيد منهم من يصيد وهو محرِم فسقاً عن أمر الله تعالى لغلبة الغفلة والجهل ولرقة الإسلام وخفّة الإيمان في نفسه فنادى الله تبارك وتعالى المؤمنين في هذا النداء الأربعين من نداءاته لعباده المؤمنين فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌۚ﴾ فحرّم تعالى بهذا الصيد على المحرم بحج أو عمرة في الحرم وفي الحل على حد سواء. ومعنى ﴿حُرُمٌۚ﴾: محرمون، وعلة التحريم هنا ليست الامتحان والاختبار، وإنما هي أن الصيد فيه لهو ولعب، والمُحرِم متلبس بعبادة الحج أو العمرة فلا يصح منه لهو ولا لعب بحال من الأحوال، إذ هو كالمصلي في صلاته فلا يتكلم ولا يضحك ولا يأكل ولا يشرب إلى غير ذلك مما هو مبطل للصلاة، فالمحرم شبيه بالمصلي فبمجرد ما يقول: لبيك اللهم بعمرة أو حج فقد دخل في أعظم نسك وأكمل شعيرة من شعائر الله، فلا ينبغي له أن يغفل عنها أو ينساها، فحرم لذلك تعالى الصيد. وخص الصيد وإلا فكل لهو ولعب باطل مُحرّم على المُحرِم، وإنما خص الصيد بالذكر؛

لأن المحرم قد يكون في حاجة إلى طعام فيمر به الصيد من ظبي أو أرنب أو غيرهما فتدفعه نفسه لصيده فيصيده.

وعلى كل حال فقد حرم الصيد على المحرم في الحل أو الحرم، فلا يحل لمؤمن محرم أو مؤمنة أن يصيد بأي أداة من أدوات الصيد سواء كانت رمحاً، أو شركاً أو غير ذلك لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌۚ﴾ ثم بيّن تعالى جزاء من قتل الصيد فمات بقتله فقال: ﴿وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا﴾ أي قتله بصيده ﴿فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ﴾ أي فَجزاؤه يتصدق بحيوان يماثل ما قتله إن كان له مثل من الحيوان الإنسي. فمن صاد نعامة كفر ببدنة من الإبل، ومن صاد بقرة من الوحش كفر ببقرة، ومن صاد غزالاً تصدق بعنز، وهكذا، وما كان لا مثل له من الحيوان الإنسي فليتصدق بقيمته. غير أن هذا الحكم يجب أن يحكم به ذوا عدل من المؤمنين، فلا يترك للقاتل وحده إذ قد تحمله نفسه على عدم المماثلة وعلى نقص القيمة إذ قال تعالى: ﴿يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾، والعدل هو المؤمن المجتنب للكبائر والمتقي في الغالب الصغائر... ولنذكر أن المخطئ كالناسي كلاهما تجب عليه الكفارة في قتل الصيد، وعلى هذا الصحابة والأئمة الثلاثة وخالفهم أبو حنيفة، ولا التفاتة إلى ما رآه بعد أن قال بخلاف ما قال جل الصحابة والتابعين والأئمة الثلاثة مالك والشافعي وأحمد ورحمة الله عليهم أجمعين.

وقوله تعالى: ﴿هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾ أي ما حكم به العدلان من مثل ما قتل المحرم ينبغي أن يرسل إلى الحرم ليذبح هناك ويُفَرّقُ لحمه على الفقراء والمساكين في الحرم لا خارجه، إذ المراد من قوله تعالى: ﴿بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾ أنه الحرم المحيط بالكعبة من جهاته الأربع المعروفة لدى المؤمنين، ولا يجوز مع القدرة أن يذبح خارج الحرم لقوله عزّ وجلّ: ﴿هَدْيًۢا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ﴾ وقوله تعالى: ﴿أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ﴾ فهذا تخفيف ورحمة من الله بعباده المؤمنين وذلك بأن يشتري بثمن ما وجب عليه من بدنة أو بقرة أو تيس يشتري به طعاماً ويتصدق به حيث أمكنه ذلك. وقوله تعالى: ﴿أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا﴾. وهذا تخفيف آخر ورحمة بالمؤمنين، فإن من قتل الصيد مأذون له أيضاً أن يصوم عن كل نصف صاع أي حفنتين براً وتمراً أو شعيراً يوماً حتى يكمل الصيام بعدد ما وجب عليه من إطعام، وقوله تعالى: ﴿لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦۗ﴾ أي عقوبة مخالفته لشرعنا وما أمرنا به ونهينا عنه وقوله تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ﴾ فهو تفضل من الله تعالى بعفوه على من سبق أن صاد وقتل قبل نزول هذا الحكم وقوله: ﴿وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُۚ﴾ ففيه تهديد ووعيد شديد حتى رأى بعض أهل العلم من السلف أنه لا يُجزئه الفداء، والذي عليه الجمهور أنه كلما صاد وجبت عليه الفدية، ويترك أمره إلى الله تعالى. وقوله

تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ أي يعاقب على معصيته ولا يحول دون مراده حائل. ألا فلنتق الله تعالى ولْنَحْذَر معصيته سواء كانت صيد محرم أو غير ذلك من سائر المعاصي والذنوب.

اللّهم احفظنا وقنا شر نفوسنا حتى لا نعصيك.

وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين

النداء الحادي والأربعون

في النهي عن السؤال عمّا لا فائدة فيه ولا حاجة تدعو إليه والتحذير من عواقبه

الآيتان (١٠١، ١٠٢) من سورة المائدة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ (١٠١) قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ (١٠٢)﴾.

الشـــرح:

اعلم أيها القارئ الكريم أن لهذا النداء سبباً من أجله نادى الله تعالى عباده المؤمنين ليؤدبهم ويكملهم رحمة بهم وإحساناً إليهم فله الحمد وله المنة. وإليك بيان سبب هذا النداء: قال البخاري: حدّثنا منذر بن الوليد بن عبد الرحمن الجارودي، حدّثنا أبي حدثنا شعبة عن موسى بن أنس عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: خطب رسول الله ﷺ خطبة ما سمعت مثلها قط وقال فيها: «**لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً، قال: فغطى أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم ولهم خنين فقال رجل مَنْ أبي؟ قال فلان. فنزلت هذه الآية**» وفي رواية لابن جرير قال فيها: حدّثنا بشر حدّثنا يزيد عن قتادة في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ... الآية﴾ قال فحدّثنا أن أنس بن مالك حدثه أن رسول الله ﷺ سألوه حتى أحفوه بالمسألة، فخرج عليهم ذات يوم فصعد المنبر فقال: «**لا تسألوني اليوم عن شيء إلا بينته لكم فأشفق أصحاب رسول الله ﷺ أن يكون بين يدي أمر قد حضر، فجعلت لا ألتفت يميناً ولا شمالاً إلا وجدت كُلّا لَافًّا رأسه في ثوبه يبكي، فقام رجل كان يُلاقي فيدعى إلى غير أبيه، فقال: يا رسول الله من أبي؟ قال: أبوك حذاقة ثم قام عمر فقال: رضينا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً، أعوذ بالله من شر الفتن**». والروايات في هذه المسألة كثيرة وقوله تعالى: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ﴾ أي تظهر لكم ﴿تَسُؤْكُمْ﴾ أي يحصل لكم بها ما يسوؤكم ويؤلمكم. منها على سبيل المثال أن من سأل عن أبيه فأجابه به الرسول ﷺ بأن أباه فلان. أرأيت لو سمي له أباً غير أبيه فإنه عار ومذلة له ولأمه

وأسرته لا ينمحي حتى لم يبق منهم أحد. ومثل هذا سؤال الذين لما قال رسول الله ﷺ: «**أيها الناس إن الله قد كتب عليكم الحج فحجوا فقالوا أعاماً واحداً أم كل عام يا رسول الله؟ فقال: لا، بل عاماً واحداً، ولو قلت كل عام لوجبت ولو وجبت لكفرتم**» فهذا معنى قوله تعالى: ﴿إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ وقوله: ﴿وَإِن تَسْـَٔلُوا۟ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ﴾ أي يبينها رسولنا لكم. أما إن تسألوا عنها قبل نزول القرآن بها فذلك لا ينبغي لكم فعله لأنه من باب إحفاء رسول الله وأذيته، وهما محرمان تحريماً شديداً. وقوله تعالى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا﴾ أي لم يؤاخذكم بما سألتم ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾، فتوبوا إليه يتب عليكم، واستغفروه يغفر لكم فإنه غفور حليم. وقوله تعالى في الآية الثانية: ﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا۟ بِهَا كَٰفِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ أي قد سأل مثل أسئلتكم التنطعية المحرجة لرسول الله ﷺ قوم من قبلكم كاليهود وغيرهم فأصبحوا بها كافرين لأنهم كُلفوا ما لم يطيقوه فشق عليهم جزاء تعنتهم في أسئلتهم المحرجة لأنبيائهم، فتركوا العمل بها فكفروا وهلكوا والعياذ بالله. ومن أمثلة الأسئلة المحرجة التي هلك فيها من هلك سؤال اليهود إذ قالوا: ﴿**أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون**﴾ وسؤال قوم صالح الناقة فأعطوها ثم عقروها فهلكوا، وسؤال الحواريين عيسى المائدة وقال الله تعالى: ﴿إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾﴾ [المائدة: ١١٥].

ولذا فلنعلم أن الغلو والتنطع وكثرة السؤال مما لا ينبغي للمسلم أن يأتيه ويقوله أو يفعله وهذا رسول الله ﷺ يقول فيه: «**إن أعظم المسلمين في المسلمين جرماً من سأل عن شيء لم يحرم عن المسلمين فحرم من أجل مسألته**».

ويقول ﷺ فداه أبي وأمي والعالم أجمع: «**إن الله حرّم عليكم عقوق الأمهات ووأد البنات ومنعاً وهات. وكره لكم ثلاثاً: قيل وقال وكثرة السؤال، وإضاعة المال**».

ويقول ﷺ لأصحابه رضوان الله عليهم تعليماً وتربية وتأديباً: «**إن الله تعالى قد فرض فرائض فلا تضيعوها، وحد حدوداً فلا تعتدّوها، وحرم أشياء فلا تنتهكوها وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تسألوا عنها**» ويقول: «**من حُسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**».

وأخيراً أيها القارئ والمستمع علينا بالأدب مع الله فلا نسأله ما لم تجر سنة الله تعالى به، وعلينا بالأدب مع رسول الله ﷺ فلا نرد عليه ما دعا إليه ونصح به. وعلينا بالأدب مع أهل العلم فلا نسأل سؤال تنطع، ولا نسأل عما نحن به عالمون ولا عما نحن غير عازمين على العمل به. ولا نسأل الناس أموالهم، ولا نكلفهم ما لا يحسنون ولا ما لا يطيقون، ولنلزم الصبر والصمت والذكر، فهذا هو طريق الهداية والكمال فلنسلكه والله مع الصابرين والمحسنين.

وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين

النداء الثاني والأربعون

في الأمر بإصلاح المؤمن نفسه وتطهيرها بالإيمان والعمل الصالح وإعلامه بأنه لا يضره من ضل من الناس

الآية (١٠٥) من سورة المائدة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٠٥﴾.

الشــــرح:

اعلم أيها القارئ الكريم أن هذا النداء الإلهي الرحيم الموجه إلى عباد الله المؤمنين أي المصدقين بالله رباً، لا رب غيره، وإلهاً لا إله سواه، وبالإسلام ديناً لا دين يقبله الله تعالى غيره، وبمحمد نبياً ورسولاً من عند الله، هؤلاء المؤمنون حقاً وصدقاً، يناديهم الجبار جل جلاله، وعظم سلطانه رحمة بهم، وإحساناً إليهم فيقول لهم: ﴿عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ﴾ أي الزموا أنفسكم هدايتها وإصلاحها، فاحفظوها من الوقوع في الذنوب والآثام لتبقى طاهرة زكية محلاً لرضى الرحمن سبحانه وتعالى، واعلموا أنه لا يضركم ضلال من ضل ولا غواية من غوى، إذ كل نفس بما كسبت رهينة ولا تزر يوم القيامة وازرة وزر أخرى. إذ من يعمل سوءاً يُجزى به ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً.

ولنعلم يقيناً أنه لا يضرنا ضلال من ضل إذا نحن اهتدينا، لقول ربنا في إرشاده لنا ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾. إذا نحن أمرنا بالمعروف من تركه بيننا، ونهينا عن المنكر من ارتكبه فينا، ونحن نراه ونشاهده إذ ليس من الهداية الكاملة المنجية من العذاب والمسعدة للعباد أن لا نأمر بالمعروف ولا ننهى عن المنكر، إذ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صفة لازمة من صفات المؤمنين الصادقين في إيمانهم، والمؤمنات الصادقات.

ولنقرأ قوله تعالى من سورة التوبة في وصف المؤمنين بحق والمؤمنات بصدق؛ إذ قال: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة: ٧١] فلنذكر قوله: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ﴾ فهل من الولاية الواجبة التي هي الحب والنصرة أن يرى المؤمن أخاه تاركاً معروفاً يعاقب على تركه، ولا يأمره به أو يرى أخاه ووليه منغمساً في منكر يخبّث نفسه، ويسخط الله تعالى عليه ويتركه؟ والجواب، لا، لا، ليس هذا من الولاية بل هو من العداوة هذا أولاً.

وثانياً: أليس من صفات المؤمنين والمؤمنات أنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر؟ والجواب بلى، وكيف والله يقول في صفاتهم: ﴿يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ﴾ والرسول يقول: «**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**» وأمر آخر وهو عظيم وخطير وذلك أننا إذا تركنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا نتمكن من الهداية ولا نظفر بها أبداً، إذ الدار، أو المجتمع، إذا ظهر بينهم ترك المعروف وارتكاب المنكر لا يلبثون إلا قليلاً، وقد عمّهم الفساد فتركوا طاعة الله وطاعة رسوله وخبثوا وساءت أخلاقهم وفسدت أحوالهم، وعمّهم العذاب والعياذ بالله تعالى. وها هو رسول الله ﷺ يقرر هذه الحقيقة فيقول: «**إن الناس إذا رأوا المنكر ولم يغيروه يوشك الله عزّ وجلّ أن يعمّهم بعقابه**» ولنصغ للترمذي يحدثنا بما يلي: . . . عن أبي أمية الشعباني قال: أتيت أبا ثعلبة الخشني فقلت له كيف تصنع بهذه الآية؟ قال: أيةُ آية؟ قلت: قول الله عزّ وجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ﴾ قال: أما والله لقد سألت عنها رسول الله ﷺ فقال: «**بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً، وهوى متبعاً، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخاصة نفسك، ودع العوام فإن من ورائكم أياماً الصابر فيهن مثل القابض على الجمر، للعامل فيهنّ مثل أجر خمسين رجلاً يعملون عملكم**».

وأخيراً نصغي إلى أبي بكر الصديق خليفة رسول الله ﷺ وهو يقرر ما سبق في شرح هذا النداء وهو أنه لا هداية تتم للعبد ما لم يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، اللهم إلا أن يوجد في بلد أو دار لا يرى فيها معروفاً متروكاً ولا منكراً مُرْتكباً، لقد قام أبو بكر الصديق رضي الله عنه خطيباً يوماً فقال: يا أيها الناس تقرأون هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ﴾ وإنكم تتأولونها على غير تأويلها وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الناس إذا رأوا المنكر ولم يغيروه يوشك أن يعمهم الله بعقاب**» فلنذكر هذا فإنه هاد وكاف بإذنه.

أما قوله تعالى في ختام النداء: ﴿إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ إنه يحمل الوعد والوعيد، وعد لمن أطاع الله ورسوله فطهر نفسه وزكاها بالطاعة، ووعيد لمن عصى الله ورسوله فخبثت نفسه ودساها. وحكم الله في ذلك واضح وهو قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [الشمس: ٩، ١٠].

اللهم زَكِّ أنفسنا، أنت خير من زكاها وأنت وليها ومولاها.

وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين

النداء الثالث والأربعون

في وجوب الإشهاد على الوصيّة وجواز شهادة غير المسلم على الوصية إذا تعذر وجود المسلم

الآيات (١٠٦ ـ ١٠٨) من سورة المائدة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ شَهَـٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَأَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ ۚ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۙ وَلَا نَكْتُمُ شَهَـٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْـَٔاثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَـٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَـٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَـٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَـٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَـٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ .

الشـــرح:

اعلم أيها القارئ الكريم أن هذا النداء الإلهي يحمل هداية وإرشاداً للمؤمنين بحل مشكلة عويصة قد تحدث لبعضهم في يوم من الأيام. وهذا بيان ما تضمنه النداء الجامع لثلاث آيات من كتاب الله.

الأولى: قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي يا من آمنتم بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً ورسولاً ﴿شَهَـٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ أي ليشهدا ﴿ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ أي من المسلمين على وصية أحدكم إذا حضره الموت، وعنده ما يوصي به من مال وحقوق. هذا في الحضر أما إذا كان أحدكم مسافراً وحضره الموت، ولم يكن معه في سَفَرِه مُسْلمٌ، وإنما معه كفار فقط فليشهد الكافر للضرورة. وإن حصل ريب وشك في صحة ما شهد به المؤمنان أو الكافران فاحبسوهما أي أوقفوهما بعد صلاة العصر فيقسمان لكم بالله، فيقولان في قسمهما: والله لا نشتري بأيماننا ثمناً قليلاً ولا نكتم شهادة الله لأنا نكون حينئذٍ من الآثمين ونحن لا نرضى الإثم لأنفسنا، هذا إن حصل لكم ريب وشك في شهادتهما،

سواء كانت الشهادة في الحضر أو السفر إلا أنها في السفر أقرب لحصول الريب والشك في صحة شهادة الشهود. وإن وجد عند الشاهدين اللذين شهدا وحلفا على شهادتهما إن وجد عندهما خيانة وكذب بما ظهر من آثار ذلك فليحلف منكم آخران يردان شهادة وحلف الأولين كما قال تعالى: ﴿فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَـٰنِ﴾ أي الأحقان بالشهادة فيحلفان قائلين لشهادتنا أحق من شهادتهما أي لأيماننا أصدق وأصح من أيمانهما، وما اعتدينا أي عليهما باتهام باطل وكذب مفترى، لأنا لو فعلنا ذلك لكنا من الظالمين، إذ قال تعالى عنهما: ﴿وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ﴾ أي في أيماننا إنا إذاً من الظالمين.

والثانية: قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَـٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَـٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ﴾ أي ما شرعه تعالى لكم من الإشهاد والأيمان على الشهادة، وقيام شاهدين لرد شهادة المرتاب فيهما لا سيما إذا ظهرت علامة عدم صدقهما أقرب أن يصدق الشهود في شهادتهما وفي أيمانهم.

والثالثة: قوله تعالى: ﴿أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَـٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ﴾ أي وأقرب أيضاً إلى أن يخاف الشهود أن ترد أيمانهم إذا هم حلفوا، فهم لذلك لا يكذبون خوف الفضيحة أن تلحقهم.

والرابعة: قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أي خافوه أيها المؤمنون، فلا تخرجوا عن طاعته بترك أوامره أو بغشيان معاصيه ﴿وَٱسْمَعُوا۟﴾ أي ما تؤمرون به واستجيبوا لله فيه. ومن ذلك قبول هذا التوجيه الإلهي في وجوب الإشهاد على الوصية عند الوفاة وجواز إشهاد غير المسلم في حالة انعدام وجود المسلم كما في السفر. ثم إن حصل ريب وشك في الشهادة فليقم اثنان ذوا عدل منكم ويردان الشهادة بأيمان... وإن حصل أيضاً بعد الإشهاد والحلف ظهور علامة خيانة وكذب في الشهادة فليقم آخران يردان الشهادة ويعطيان الحق المطلوب.

والخامسة: قوله: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾ أي إلى ما فيه خيرهم وسلامهم وسعادتهم وكمالهم، لأنهم خبثوا أنفسهم ودنسوها بالذنوب والآثام. ألا فلنحذر الغش وهو خروج عن طاعة الله وطاعة رسوله. ومن الفسق ما هو كفر، ومنه ما هو من كبائر الإثم والفواحش فلنحذره. إذ كله مانع من هداية الله تعالى؛ إذ العبد إذا توغل في الشر والفساد يصبح غير أهل لطلب الهداية بالتوبة والاستقامة، ومن ثم يحرم هداية الله تعالى.

وأخيراً إليك أيها القارئ والمستمع حادثة حدثت على عهد رسول الله ﷺ وفيها نزلت هذه الآيات الثلاث فتأملها فإنها تزيدكم فهماً وفقهاً ومعرفة لما تضمنته الآيات

الكريمات: عن تميم الداري قال برئ الناس منها غيري وغير عدي بن بداء، وكانا نصرانيين يختلفان إلى الشام قبل الإسلام فأتيا الشام لتجارتهما، وقدم عليهما مولى لبني سهم يقال له بديل بن أبي مريم بتجارة معه جام[١] من فضة يريد به الملك وهو أغلى تجارته، فمرض فأوصى إليهما وأمرهما أن يبلغا ما ترك أهله. قال تميم: فلما مات أخذنا ذلك الجام فبعناه بألف درهم، واقتسمناه أنا وعدي، فلما قَدمنا إلى أهله فدفعنا إليهم ما كان معنا، وفقدوا الجام فسألونا عنه فقلنا ما ترك غير هذا، وما دفع إلينا غيره قال تميم: فلما أسلمت بعد قدوم رسول الله ﷺ المدينة تأثمت من ذلك فأتيت أهله فأخبرتهم الخبر ودفعت إليهم خمسمائة درهم، وأخبرتهم أن عند صاحبي مثلها فوثبوا عليه فأمرهم النبي ﷺ أن يستحلفوه بما يعظم به على أهل دينه فحلف فنزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا﴾ فقام عمرو بن العاص ورجل آخر منهم فحلفا فنزعت الخمسمائة من عدي بن بداء. رواه الترمذي وابن جرير وضعفه الترمذي وله شواهد وهو موافق لما تضمنته الآية.

والحمد لله رب العالمين الهادي إلى الصراط المستقيم.

وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين

(١) الجام: كأس من ذهب أو فضة.

النداء الرابع والأربعون

في حرمة الفرار من صفوف القتال في سبيل الله وأنه من الكبائر الموجبة لغضب الله وعذابه

الآيتان (١٥، ١٦) من سورة الأنفال

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾.

الشـــرح:

اعلم أيها القارئ الكريم أن المؤمن كما عرفت حي بإيمانه قوي بولاية ربه له، لذا نادى الله تبارك وتعالى عباده المؤمنين قائلاً لهم: ﴿إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا﴾ أي زاحفين إليهم لتقاتلوهم في سبيل الله ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾ أي لا تنهزموا أمامهم فتتولوا هاربين مولينهم أدباركم وهذا عيب كبير، ومعرة لا ينبغي للمؤمن ولي الله عزّ وجلّ أن يتصف بها. والنهي هنا للتحريم ليُربّي الله أولياءه على الإقدام والشجاعة حتى لا يضعفوا عن قتال المشركين الكافرين. ولما كان الفرار من العدو له آثار سيئة لا سيما عند المواجهة والزحف، ومن تلك الآثار السيئة انتصار العدو الكافر على المؤمنين ومنها إصابة المؤمنين المقاتلين بالجروح والقتل، ومنها استيلاء العدو على معدات المسلمين من سلاح وغيره ومنها وقف الدعوة الإسلامية وعدم انتشارها وانتصارها. لهذه ولغيرها كان التولي يوم الزحف كبيرة من كبائر الذنوب ويكفي في كونها كبيرة قوله تعالى في الآية الكريمة: ﴿فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ وفي الحديث الصحيح أن التولي يوم الزحف من الموبقات أي المهلكات. ففي الصحيح يقول الرسول ﷺ: «**اجتنبوا السبع الموبقات. قيل يا رسول الله وما هي؟ قال: الشرك بالله والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات**» فيكفي في كون التولي يوم الزحف كبيرة ذكره مع أعظم الكبائر وهي الشرك والسحر وقتل النفس التي

حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات. وقوله تعالى في الآية الثانية: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥ﴾ أي ومن يعطي دبره العدو فاراً هارباً يوم الزحف أي ساعة المواجهة وزحف الطائفتين على بعضهما: طائفة العدو الكافر وطائفة المجاهدين المؤمنين. وقبل ذكر الجزاء أي جزاء الشرط وهو قوله تعالى: ﴿وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥ﴾ قال تعالى: مستثنياً حالتين إذا فر منهما المؤمن المجاهد لا إثم عليه فيهما ولا حرج، لأنه تحرف لنصرة الإسلام وأهله لا فراراً من الموت، وهل الموت يدفعه الفرار..!!؟؟

فالحالة الأولى: أن يفر المؤمن بين يدي مقاتله الكافر مكيدة له حتى إذا جرى وراءه عدوه وبعد عن صفوف إخوانه كرّ عليه المؤمن وقتله، هذه صورة من صورتين يفرّ فيهما المجاهد، ولا إثم عليه فيهما، والصورة الثانية أن يميل جانباً عن صف المجاهدين ليرى غرة من العدو فيصيبها، هذا ما دل عليه قوله تعالى: ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ﴾.

والحالة الثانية: أن يرى ضغطاً شديداً من العدو؛ فيرى أنه من المصلحة الجهادية أن يَنحاز إلى جماعة من المؤمنين تقاتل فيقاتل معها ليقويّها ويقوى هو بها، هذه صورة من صورتين جاز فيهما للمجاهد أن ينحاز من وجه العدو لينضم إلى إخوانه ليقويهم ويقوى بهم. والصورة الثانية أن يكون الانحياز إلى قائد المعركة وإمام المسلمين ليتقوى به ويقويه. فهاتان الصورتان دل عليهما قوله تعالى: ﴿أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ﴾ أما إذا لم يكن فراره للحالتين الأولى وهي التحرف للقتال، والثانية: الانحياز إلى فئة مؤمنة أو إلى القيادة، فإن صاحب الفرار قد ارتكب كبيرة إذا لم يتب منها دخل النار والعياذ بالله تعالى، ذلك لقوله تعالى في جواب الشرط ﴿فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي رجع من المعركة مغضوباً عليه من الله عزّ وجلّ ومأواه الأخير جهنم وبئس المصير جهنم يُصار إليها. إن بعض السلف قالوا هذا الفرار المتوعد عليه كان خاصاً بغزوة بدر، وخالف الجمهور وقالوا الآية عامة وإن نزلت في غزوة بدر، والدليل على عمومها حديث البخاري الذي تقدم وهو الحق والصواب، والله يتوب على من تاب. فمن فرّ يوماً استوجب العذاب لو مات، أما من تاب فإنه يتوب الله عليه ويغفر له كبيرته بتوبته.

والحمد لله التواب الرحيم، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

النداء الخامس والأربعون

في وجوب طاعة الله والرسول ﷺ وحرمة معصيتهما، وحرمة التشبه بالمنافقين

الآيات (٢٠ ـ ٢٣) من سورة الأنفال

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

الشـــرح:

اعلم أيها القارئ الكريم والمستمع المستفيد، زادكما الله علماً وحلماً وحكمة، اعلما أن الله تعالى في هذا النداء ينادي عباده المؤمنين الذين آمنوا به وبرسوله وصدقوا بوعده لأوليائه وهو النعيم المقيم، وبوعيده لأعدائه وهو النار وبئس المصير وذلك يوم لقائه سبحانه وتعالى. فيأمرهم بطاعته وطاعة رسوله، وينهاهم عن الإعراض عنه وهم يسمعون الآيات تتلى، والعظات والمواعظ تتوالى في كتاب الله عزّ وجلّ وعلى لسان رسول الله ﷺ. لأن نصرهم وتأييدهم كان ثمرة إيمانهم وطاعتهم، فإن هم أعرضوا وعصوا فقد تركوا وقد خسروا ولاية الله تعالى لهم، وأصبحوا كغيرهم من أهل الكفر والفسق والعصيان.

هذا معنى قوله تعالى في أول النداء: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾﴾. أما قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾﴾. فإنه ينهاهم عزّ وجلّ أن يسلكوا مسلك المشركين واليهود والمنافقين، إذ الكل كان موقفهم مما يدعوهم إليه الرسول ﷺ واحداً وذلك في التصامم عن سماع الآيات الحاملة للحق والداعية إليه والمبيّنة للهدى والفوز به، وفي التعامي عن رؤية آيات الله الدالة على توحيده كأنهم يقولون بل يقولون إنا عما يقول محمد في صمم، وفيما يذكر ويدعو إليه في عمى. إذ هم يقولون: سمعنا بآذاننا وهم بقلوبهم لا يسمعون،

وذلك لأنهم لا يفكرون ولا يتدبرون فلذا هم في سماعهم كمن لا يسمع؛ لأن العبرة في السماع الانتفاع به لا مجرد سماع الصوت. كان هذا معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾﴾. أما قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾. فهو إخبار منه تعالى، يخبر عباده المؤمنين بحال الكافرين ليكونوا على بصيرة في أمر دعوتهم وجهادهم ومعاملتهم، يخبرهم بأنهم شر الدواب، وعلة ذلك كفرهم بربهم وشركهم به أوثاناً فعبدوا غيره وضلوا عن سبيله ففسقوا وظلموا وأجرموا، الأمر الذي جعلهم حقاً شر الدواب في الأرض. كان هذا تنديداً بالمشركين واليهود الكافرين والمنافقين وفي الوقت نفسه هو تحذير للمؤمنين وفي كل زمان ومكان ودائماً وأبداً من معصية الله ورسوله، والإعراض عن كتابه وهَدْي نبيه ﷺ لأن الشر الذي أصبح فيه المندد بحالهم من المشركين والكافرين من اليهود والمنافقين إنما كان بسبب معصيتهم لله ورسوله والإعراض عن كتابه وهدي نبيه ﷺ. كان هذا معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

أما قوله تعالى في الآية الثالثة من آيات هذا النداء الخامس والأربعين: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾. إن هذا من باب الفرض والتقدير، إذ سبق علم الله تعالى بهم في أنهم لا يسمعون إيثاراً منهم للكفر على الإيمان والفسق على الطاعة، والضلال على الهدى. لذا لو أسمعهم أي لو جعلهم يسمعون آيات الله كما يسمعها المؤمنون الموحدون، ويعرفون ما تدعو إليه من الهدى وما تحمله من بشارة للمؤمنين ونذارة للكافرين والمنافقين والمشركين، لتولوا وهم معرضون والعياذ بالله تعالى. وسر هذا الإعراض بعد السماع هو أن سنة الله تعالى في الإنسان أنه إذا توغل في الشر والفساد والظلم والخبث يصبح غير قابل للخير والإصلاح والعدل والطهر. فقد تدعوه ويسمع منك ما تدعوه إليه، وقد تبشره ويسمع منك البشارة وسببها، وقد تنذره فيفهم عنك النذارة وما أنذرته منه، ولكن لتوغله في ظلمة الشر والفساد والخبث والشر يجد نفسه مصروفاً تمام الصرف عما تدعوه إليه. فلذا حذر الكتاب والسنة من تأخير التوبة وأمر باستعجالها مخافة أن العبد إذا استمر في المعصية زمناً تصبح طبعاً من طباعه وخلقاً ثابتاً له، فلا يقدر على تركها فيهلك بها والعياذ بالله تعالى.

هذا وأخيراً لنعلم أن الله تعالى في هذا النداء أعلمنا بما يلي:

١ ـ وجوب طاعة الله ورسوله.

٢ ـ حرمة التشبه بالمشركين والكافرين.

٣ ـ أن من الناس من هم شر من الكلاب والقردة والخنازير، وذلك لتوغلهم في الشر والفساد والخبث والظلم. ويؤيد هذا قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾﴾ [البينة: ٦] أي الخليقة.

ألا فلنذكر هذا ولنعمل على طاعة الله ورسوله، ولا نُصِرَّ على معصيتهما ساعة فضلاً عن يوم أو أسبوع أو شهر أو عام حتى لا نصبح من شر الدواب. والعياذ بالله العزيز الحكيم.

وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين

النداء السادس والأربعون

في وجوب الاستجابة لنداء الله والرسول إذا أمرا أو نهيا أو بشرا وأنذرا، ووجوب اتقاء الفتن بما تُتقى به

الآيتان (٢٤، ٢٥) من سورة الأنفال

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٥﴾﴾.

الشـــرح:

لنعلم أيها القارئ الكريم أن الله تعالى ما نادى عباده المؤمنين به وبلقائه ليأمرهم إلا من أجل كمالهم وسعادتهم في الدارين، وذلك لأنهم عبيده وأولياؤه. والسيد لا يحب لعبده إلا ما يعزه ويكرمه، والولي لا يحب لوليه إلا ما يسعده ويرفعه. وها هو تعالى ينادي عباده وأولياءه قائلاً: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ والمراد بالرسول هنا محمد ﷺ خاتم الأنبياء وإمام المرسلين، والاستجابة بمعنى الإجابة أي أجيبوا الله تعالى إذا دعاكم ورسوله كذلك. أي إذا دعاكم لاعتقاد أحبه ورضيه فاعتقدوه، وإذا دعاكم لقول طيب، والله لا يدعو إلا إلى طيب فقولوه، وإذا دعاكم لعمل صالح، والله لا يأمر إلا بالصالح فاعملوه ولا تقصروا فيه، وكذلك الحال مع رسوله ﷺ إذا دعا إلى معتقد أو قول أو عمل تجب الإجابة الفورية إلا في حال العجز فلا يُكلف الله نفساً إلا وسعها. وكذا إذا دعاكم الله لترك معتقد فاسد، أو قول سيئ أو عمل غير صالح فأجيبوه واتركوا ما أمركم بتركه. وكذا الشأن مع رسوله ﷺ، وعلة هذا الأمر والاستجابة هي من أجل أن تكملوا في آدابكم وأخلاقكم وتسعدوا في حياتكم بالعز والطهر والصفاء والأمن والخير الكثير. وهذا معنى قوله تعالى: ﴿إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾، إذ لا يدعو الله ورسوله عباد الله المؤمنين المتقين إلا لما فيه خيرهم وسعادتهم وحياتهم، الحياة الطيبة الطاهرة السعيدة في الدنيا والآخرة. وقوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ يحمل إشعاراً خطيراً وتنبيهاً عظيماً

للمؤمنين وهو أنه إذا سنحت الفرصة للمؤمن لفعل خير من الخيرات، أو عمل صالح من الصالحات عليه أن يقتنصها بسرعة قبل فواتها، لا سيما إذا كانت دعوة من الله ورسوله إلى فعل كذا أو ترك كذا، وذلك لأن الله تعالى قادر على أن يحول بين المرء وما يشتهي، وبين المرء وقلبه، إذ هو قادر على أن يقلب القلب ويصرفه من حيث شاء من خير إلى غير، أو من غير إلى خير، ولنستمع إلى رسول الله ﷺ وهو يدعو ويقرر هذه الحقيقة: «**اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك**» ويقول داعياً أيضاً: «**اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا إلى طاعتك**».

أما قوله تعالى في ختام الآية: ﴿وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ يُعلم تعالى عباده المؤمنين بحقيقة ينبغي أن لا ينسوها وهي أنهم سيحشرون إليه تعالى يوم القيامة وسيجزيهم بطاعتهم وعصيانهم؛ لذا ينبغي أن لا يترددوا في الاستجابة لله تعالى ورسوله إذا دعاهم لما يحييهم، وهل يدعوهم ربهم وهو وليهم إلى غير ما يحييهم؟ لا والله، وهل يدعوهم رسولهم إلى غير ما يحييهم ويكملهم ويسعدهم؟ لا والله.

أما قوله تعالى في الآية الثانية من هذا النداء السادس والأربعين: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢٥﴾. فهو تحذير خطير للمؤمنين وفي كل زمان ومكان من أن يتركوا طاعة الله ورسوله بعدم الاستجابة لندائهما ودعوتهما إلى فعل الواجبات وترك المحرمات، لما يترتب على ذلك من انتشار الشر والفساد بصورة يحق بها العذاب. وكأن هذا الأمر والنهي المأمور بهما في هذا النداء هما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو كذلك؛ لأن الفتنة لا تعم المجتمع كله، صالحهُ وفاسدهُ، إلا إذا تُرك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ويقرر هذا قول ابن عباس رضي الله عنه في هذه الآية: أمر الله تعالى المؤمنين أن لا يُقرّوا المنكر بين أظهرهم فيعمهم العذاب. وفي صحيح مسلم ما يقرر هذه الحقيقة ويؤكدها. فعن زينب أم المؤمنين رضي الله عنها أنها سألت رسول الله ﷺ قائلة: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «**نعم إذا كثر الخبث**». وهذا أحمد يروي في مسنده رحمه الله تعالى فيقول: عن أم سلمة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا ظهرت المعاصي في أمتي عمهم الله بعذاب من عنده، قالت: قلت يا رسول الله أما فيهم أناس صالحون؟ قال: بلى، قالت: كيف يصنع أولئك؟ قال: يصيبهم ما أصاب الناس ثم يصيرون إلى مغفرة من الله ورضوان**». وكيف لا ينزل البلاء ولا يصيب الأمة العذاب، وقد تركت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. والأمثلة على ذلك كثيرة لا تُحصى: فأين الأندلس وأهلها، أين ممالك الهند الإسلامية وملوكها، أين مسلمو أوروبا الشرقية، وديارهم تحولت إلى دور لهو وباطل... وما ذلك إلا

لظهور المنكر من خبث وشر وفساد وتركه حتى عم فنزل العذاب وعم. وأخيراً أيها القارئ والمستمع إليك ما يلي فاعلمه:

١ ـ وجوب الاستجابة لأمر الله ورسوله فعلاً وتركاً معاً.

٢ ـ تعيين اغتنام فرصة الخير إذا سنحت وإياك والتفريط فيها.

٣ ـ وجوب الأمر بالمعروف إذا تُرك، والنهي عن المنكر إذا ارتُكب وإلا فسيعم الخبث وتهلك الأمة، فلنذكر هذا ولنأمر بالمعروف ولننه عن المنكر ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً.

واعلموا أنّ العاقبة للمتقين، وسلامٌ على المرسلين والحمد لله رب العالمين

النداء السابع والأربعون

في حرمة خيانة الله والرسول ﷺ وخيانة الأمانات، والتحذير من فتنة المال والولد

الآيتان (٢٧، ٢٨) من سورة الأنفال

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴾.

الشـــرح:

اذكر أيها القارئ الكريم ما قد سبق أن عرفته، وهو أن الله تعالى ينادي عباده المؤمنين به وبلقائه، وكتابه ورسوله لكمال حياتهم، يناديهم ليأمرهم أو ينهاهم أو يبشرهم أو ينذرهم لأنهم أهل لأن يسمعوا ويطيعوا. وها هو ذا سبحانه وتعالى ناداهم لينهاهم عن أمر خطير وهو خيانتهم له سبحانه وتعالى بأن يظهر أحدهم الطاعة ويخفي المعصية، إذ هذا الوصف لا يليق بالمؤمن أبداً، وإنما هو وصف المنافقين، لذا نهاهم عنه وحذرهم أن يكون فيهم. كما نهاهم عن خيانة الأمانات التي يؤتمنون عليها وهي خاصة وعامة. فالخاصة هي ما يؤمن عليه المرء من أخيه كمالٍ، أو سر من الأسرار. والعامة هي كل التكاليف الشرعية التي كلفنا الله تعالى بها حتى الغسل من الجنابة أمانة. وقوله: ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ عظم جريمة الخيانة وآثارها السيئة على النفس والمجتمع معاً.

وقوله تعالى في الآية الثانية: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ أعلمهم بما من شأنه أن يكون السبب الحامل للعبد على خيانة أمانته ألا وهو حب المال والولد، وهو حبّ فطري إذا لم يقاومه العبد بالخوف من الله، وبمراقبته تعالى لا يسلم من أذاه وفتنته كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥]، ومن شأن الفتنة أنها تصرف عن طاعة الله ورسوله، ومن لم يطع الله ورسوله خسر دنياه وآخرته.

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ تنبيه لهم على أن تركهم ما تدعوهم

إليه أنفسهم من خيانة الأمانات لأجل الحفاظ على أموالهم، وإسعاد أولادهم عند الله ما هو خير منه وهو الجنة دار السلام. فإن تركوا ما تدعو إليه نفوسهم إلى ما يدعو إليه ربهم سبحانه وتعالى، فإن الله يجزيهم بأعظم أجر وأحسن جزاء لأنه تعالى عنده الأجر العظيم يعطيه من جاهد نفسه وصبر على طاعة ربه عزّ وجلّ وطاعة رسوله ﷺ فلم يخن الله ورسوله، ولا أمانته. وقد يكون الأجر في الدنيا بالرزق الحسن، والعيش الرغد زيادة على الجنة ونعيمها في الدار الآخرة، إذ ورد أن العبد إذا ترك شيئاً من أمور دنياه لله عوضه الله خيراً منه في دنياه وأخراه.

ويحسن هنا أيها القارئ الكريم والمستمع المستفيد أن تذكرا ما روى عبد الرزاق عن الزهري في سبب نزول هذا النداء الكريم؛ إذ قال: «إنها نزلت في أبي لبابة بن عبد المنذر لمّا بعثه رسول الله ﷺ إلى بني قريظة لينزلوا على حكم رسول الله ﷺ وهم محاصرون من قِبل المسلمين لنقضهم عهدهم وخيانتهم له. فلما وصل إليهم استشاروه في أمرهم فأشار إليهم بذلك أي بقبول حكم رسول الله ﷺ إلا أنه أشار بيده إلى حلقه أي إنه الذبح أي النزول على حكم رسول الله معناه أنه يأمر بذبحكم، ثم فطن فعلم أنه بإشارته بيده إلى حلقه قد خان الله ورسوله. فعاد من ديارهم وحلف أن لا يذوق ذواقاً حتى يموت، أو يتوب الله عليه. وانطلق إلى مسجد رسول الله ﷺ فربط نفسه في سارية من سواريه وتعرف الآن بسارية أبي لبابة. فمكث تسعة أيام، حتى كاد يخر مغشياً عليه من الجهد. فأنزل الله تعالى توبته على رسوله فجاءه الناس يبشرونه بتوبة الله تعالى عليه، وأرادوا أن يحلوه من رباطه بالسارية فحلف لا يحله منها أحد إلا رسول الله ﷺ بيده الشريفة، فجاء رسول الله الرؤوف بالمؤمنين الرحيم بهم فحلّه. فقال: يا رسول الله، إني كنت نذرت أن أنخلع من مالي صدقة. فقال: «**يُجزئك الثلث أن تصدق به**». ففعل رضي الله عنه». فهذه الحادثة التي نزلت فيها الآية تعتبر سبباً في نزولها وهو كذلك، إلا أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب. فالله عزّ وجلّ نادى المؤمنين ونهاهم عن خيانة الله وخيانة رسوله فيما يتعلق به تعالى وبرسوله من طاعتهما في الأمر والنهي في الظاهر والباطن، وفيما يتعلق بسائر الأمانات، إذ قال عزّ من قائل: ﴿لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ﴾ أي ولا تخونوا أماناتكم.

وأخيراً فلا ننس العبرة العظيمة في حادثة أبي لبابة، وهي أن المؤمن إذا غفل فاستزله الشيطان فخان أمانة من أماناته فإنه على الفور يتوب إلى الله تعالى فيكرب ويحزن ويكثر من الاستغفار والصالحات ويتصدق بمال كثير، بعد أن يعترف بزلته ويرد الحق إلى أهله. ومن تاب تاب الله عليه، والله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر، إلا

أن التوبة تجب على الفور ولا يحل تأخيرها أبداً، ولا عذر لأحد في تأخير التوبة لقول الله تعالى: ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾ [النساء: ١٧] والقرب هو ساعة ارتكاب المعصية والشعور بذلك.. ولنتأمل توبة أبي لبابة فإنه لم يؤخرها دقيقة واحدة.

وفعل في توبته ما لا يقدر عليه غيره، فرضي الله عنه وأرضاه، وغفر لنا ذنوبنا وتاب علينا. إنه ولينا وليس لنا ولي سواه.

وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين

النداء الثامن والأربعون

في الترغيب في تقوى الله عزّ وجلّ وبيان ثمارها العاجلة والآجلة

الآية (٢٩) من سورة الأنفال

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢٩﴾.

الشــرح:

اعلم أيها القارئ والمستمع أن هذا النداء الإلهي الكريم يحمل عطاءً إلهياً ما فوقه عطاء وأن المحروم من حرمه. إنه وعد رباني والله لا يخلف الميعاد. وعد لمن اتقاه تقوى حقيقية صادقة وهي امتثال أوامره تعالى وأوامر رسوله ﷺ واجتناب نواهيهما، وترك الشبهات مخافة الوقوع في المحرمات، وشحن القلب بالنية الصادقة الخالصة، وشغل الجوارح بالأعمال الصالحة والتحفظ من شوائب الشرك الخفيّ والجلي معاً. صاحب هذه التقوى هو الذي يجني ثمارها وهي كما يلي:

١ ـ **الحصول على الفرقان:** والفرقان هو نور يملأ قلبه أثمرته له تقواه لله. فصاحب هذا النور ينجو إذا هلك الناس، وينتصر إن انهزم الناس. ويميز بين الحق والباطل، والمعروف والمنكر، والخير والشر، والنافع والضار، والصالح والفاسد، إذا التبس هذا على غيره من فاقدي نور الفرقان الذي أثمرته تقوى الله عزّ وجلّ، ولك أن تعرف أيها القارئ أن لفظ الفرقان مشتق من الفرق بين الأشياء، فالمتقي تصفو نفسه بفعله للطاعات المزكية للنفس وبُعده عن المعاصي المخبثة للنفس. تصفو نفسه صفاء تصبح كأنها تعيش في النور يغشاها من كل جوانبها. فهذا النور يحصل لصاحبه قوة الفرقان التي يميز بها بين الملتبسات والمشتبهات حتى يصبح قل ما يخطئ في نظرية يراها أو يقولها. وهذا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يقول: «ما قال أبي في شيء أظنه كذا إلا كان كما ظن» وسر ذلك قوة تَقْوى عمر رضي الله عنه وشِدَّتُها حتى استحالت روحه

إلى طاقة من نور. يشهد لهذا ويقرره قول الرسول ﷺ فيه: «**ما سلك عمر فجاً إلا سلك الشيطان فجاً غير فجه**»، وما ذلك إلا لقوة نوره الذي أثمرته له قوة تقواه لله سبحانه وتعالى. وقوله ﷺ فيه: «**لو كان من أمتي محدثون ـ أي تحدثهم الملائكة ـ لكان منهم عمر**» رضي الله عنه وأرضاه، وذلك لقوة تقواه، فلنذكر هذا أيها القارئ والمستمع ولا ننسه.

٢ ـ **تكفير السيئات**: وهي الخطايا، وهو سترها وعدم المؤاخذة بها، وإبطال مفعولها في تلويث النفس وتخبيثها. والسيّئات جمع سيئة وهي كل معصية لله ورسوله ﷺ من شأنها أن تسيء إلى النفس البشرية بالتخبيث والتلويث بأوضار السيئة وآثارها. وهل المراد بالسيئات التي فعلها العبد قبل التقوى هذا هو الظاهر، ولكن لا مانع من أن المتقي تزل قدمه ويفعل سيئة ثم يتوب منها فتزيل التقوى التي يعيش عليها أثرها من نفسه ويصبح كأنه لم يقاربها أبداً.

٣ ـ **مغفرة الذنوب**: وهي الآثام، هذه ثمرة قبل الأخيرة من ثمار تقوى الله عزّ وجلّ التي واعد أصحابها بها. وهي مغفرة ذنوبهم وعدم مؤاخذتهم بها، وهذا في الدنيا والآخرة معاً؛ إذ بعض الذنوب، يُعجل لأصحابها عقوبتها في الدنيا قبل الآخرة. وقد يُعذب بها في الدنيا والآخرة، معاً، والعياذ بالله.

٤ ـ والأخيرة وهي أعظم تلك الثمار وأشهاها: إنها **الجنة ونعيمها**. وعبر عنها بالأجر العظيم؛ لأنها بمثابة الجزاء على التقوى. والجزاء والأجر بمعنى واحد. يقال: أثابه وأجره وجزاه بكذا على كذا، الكل بمعنى واحد، ولعل السر في عدم ذكر الجنة الاكتفاء بذكر الأجر العظيم؛ لأن الله تعالى لا يُعطي العاملين أجراً يوم القيامة غير الجنة ورضاه؛ إذ لا مال يومئذٍ ولا دينار ولا درهم.

وأخيراً أيها القارئ والمستمع لا يفوتكما ولا إياي هذه الصفقة التجارية العظيمة التي ربحُها الفرقان العظيم، وتكفير السيئات، ومغفرة الذنوب، والجنة والرضوان في دار السلام، ألا فلنتق الله عز وجل ولنثبت على ذلك حتى نلقى الله تعالى.

وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين

النداء التاسع والأربعون

في بيان عوامل النصر في الجهاد وهي طاعة الله والرسول، وعدم النزاع ولزوم الصبر، والإخلاص لله

الآيات (٤٥ ـ ٤٧) من سورة الأنفال

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾﴾.

الشـــرح:

اعلم أيها القارئ الكريم والمستمع المستفيد، ولنعلم كلنا وكل مؤمن ومؤمنة أن هذا النداء الإلهي الكريم موجه إلى المؤمنين بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ورسولاً، وقد أذن لهم في قتال أعدائه الكافرين به وبلقائه وكتابه ورسوله، فكانت أول سرية غزت سرية عبد الله بن جحش رضي الله عنه وتأتي غزوة بدر الكبرى، وانفتح باب الجهاد اليومي على مصراعيه، وهم في حاجة إلى تعليم رباني وهداية إلهية يعرفون بموجبهما كيف يخوضون المعارك وينتصرون فيها. وفي هذه الآيات الثلاث التي تضمنها هذا النداء الكريم تعليم عالٍ جداً لخوض المعارك والانتصار فيها وهذا بيانها:

١ ـ **الثبات في وجه العدو**، والصمود في القتال حتى لكأن المجاهدين جبل شامخ لا يتحرك، دل على هذا قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً﴾ طائفة مقاتلة ﴿فَٱثْبُتُواْ﴾ أي في وجه تلك الطائفة الكافرة المقاتلة ولا تفروا أبداً.

٢ ـ **ذكر الله تعالى** تهليلاً وتكبيراً وتسبيحاً ودعاء وضراعة وذكرُ وَعْدِه تعالى لأوليائه بالنصر ووعيده لأعدائه بالهزيمة. دل عليه قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ

تُفْلِحُونَ﴾. أي تفوزوا بالنصر في الدنيا والجنة في الآخرة بعد النجاة من الهزيمة والمذلة في الدنيا والنار وعذابها في الآخرة.

٣ ـ **طاعة الله ورسوله** في أمرهما ونهيهما، وطاعة قائد المعركة ومديرها إذ طاعته ثابتة بآية: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]. وهذه الطاعة كما ذكرنا من أكبر عوامل النصر حسب سنة الله تعالى في هذه الحياة.

٤ ـ **عدم التنازع والخلاف**؛ إذ هما من موجبات الفشل الذريع، وذهاب القوة وحصول الهزيمة المدمرة والعياذ بالله. دل على هذا قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾. والريح: القوة وهي الغلبة والنصر. كما يُقال الريح لفلان إذا كان غالباً وشاهده من شعر العرب:

إذا هبت رياحك فاغتنمها فإن لكل خافقة سكون

ومن أراد فهم معنى الريح المفسرة بالقوة والنصر فليقف في طريق السيارات أي إلى جانب الطريق، ولينتظر حتى تمر به شاحنة مسرعة في جريها فإنها تدفعه بريحها كعاصفة شديدة من الرياح، ومن ثم يعرف معنى الريح في هذا النداء وأنه القوة الدافعة للعدو؛ لأن المجاهدين إذا اتحدوا وصاروا صفاً واحداً وهجموا يوجد لهم قوة أعظم من ريح الشاحنة القوية، وهم في طريقهم إلى دفع العدو وكسره وتحطيم قوته.

٥ ـ **بيان نتائج التنازع والخلاف**، وأنها الفشل الذريع وذهاب القوة المعبر عنها بالريح لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾.

٦ ـ **الصبر** أي على مواصلة القتال بعد الإعداد له وتوطين النفوس وإعدادها للجهاد في سبيل الله تعالى لقوله تعالى: ﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ أي بالنصر والفوز بعد التثبيت أثناء القتال.

٧ ـ **الإخلاص لله تعالى** في الجهاد كما هو في سائر العبادات؛ إذ الإخلاص روح العبادة فإن فُقد فُقدت، إذ قال تعالى بعد الآية الثانية: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فحذر المؤمنين من أن يكونوا كأولئك الذين خرجوا من ديارهم لقتال المؤمنين بطرين متكبرين مرائين بخروجهم وقتالهم غيرهم من المؤمنين لصد الناس عن الإسلام.

فلنذكر أيها القارئ الكريم أن هذه العوامل عوامل النصر وهي أفعال وتروك قد تضمنتها الآيات الثلاث التي نادى الله عزّ وجلّ عباده المؤمنين من أجلها. فلنحفظ الآيات ولنكرر قراءتها وقراءة معانيها فنصبح بذلك أهلاً لقيادة الجيوش وخوض المعارك. ولن يصل إلى مستوانا الرفيع قائد معارك ولو درس في كل كليات الحرب في العالم الكافر الفاجر...

وهناك معلومات إضافية إليك بيانها:

١ ـ الذكر أثناء الجهاد يكون سراً إلا ما كان عند الهجمة الأولى فإنه يكون برفع الصوت الله أكبر الله أكبر وذلك لقول رسول الله ﷺ: «**إن الله يحب الصمت عند ثلاث: عند تلاوة القرآن، وعند الزحف، وعند الجنازة**»، والذكر المأمور به في القتال يكون بالسر بالقلب واللسان، إذ صح قول الرسول ﷺ يقول الله تعالى: «**إن عبدي كلَّ عبدي الذي يذكرني وهو يناجز قرنه**». أي لا يشغله ذلك الحال عن ذكري ودعائي واستعانتي.

٢ ـ قال أحد العلماء الربانيين: لو رخص لأحد في ترك الذكر لرخص لزكريا، إذ قال تعالى له: ﴿أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا﴾ [آل عمران: ٤١]. ولو رضي لأحد في ترك الذكر لرخص للمجاهد في المعركة. ومن هنا لا يترك الذكر إلا في حال واحدة وهي حال جلوس العبد لقضاء الحاجة «التغوط».

٣ ـ اعلم أنه لا جهاد للكفار بدون إمامة شرعية. فلا يحل لرجل أو فئة أن تقاتل بدون إذن إمام المسلمين وتعيينه قائداً يقودهم في ساحات الجهاد.

والله أسأل أن لا يحرمنا أجر الجهاد ولو متنا على فرشنا، إنه قدير وبالإجابة جدير.

وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين

النداء الخمسون

في حرمة اتخاذ الأقارب أولياء إن هم استحبوا الكفر على الإيمان

الآية (٢٣) من سورة التوبة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَـٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

الشــرح:

اعلم أيها القارئ الكريم والمستمع المستفيد، ولنعلم جميعاً أن هذا النداء الإلهي يحمل إنذاراً شديداً للمؤمنين به تعالى رباً وإلهاً وبدينه الإسلام ديناً لا يقبل الله ديناً سواه، وبنبيه محمد ﷺ نبياً ورسولاً. ينهاهم في هذا النداء الإنذاري عن اتخاذ من كفر من آبائهم وأمهاتهم أيضاً، وإخوانهم وأخواتهم أيضاً. ومن باب أولى من كان دون ذلك من عامة الأقارب ذكوراً وإناثاً ينهاهم عن أن يتخذوهم أولياء يحبونهم ويناصرونهم ويدفعون عنهم ويطلعونهم على أسرار المؤمنين وبواطن أمورهم، وفي الحرب والسلم سواء إذ قال لهم: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بالله ورسوله ولقائه ووعده ووعيده ﴿لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَـٰنِ﴾ أي آثروا الكفر والإصرار عليه على الإيمان بالله ورسوله. ثم يهددهم عزّ وجلّ إن لم يمتثلوا أمرهم فلم يفاصلوا آباءهم وإخوانهم المستحبين للكفر على الإيمان، والشرك على التوحيد، والخبث على الطهر، والفوضى على النظام، والظلم على العدل، إذ الكفر يكمن فيه كل ما ذكر ويزيد. ولذا قيل ما بعد الكفر ذنب يهددهم فيقول: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ﴾ أي أيها المؤمنون ﴿فَأُو۟لَـٰٓئِكَ﴾ أي المتولونهم ﴿هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾، أي المتوغلون في الظلم، الضاربون فيه كأن لم يكن هناك ظالم إلا هم. والعياذ بالله تعالى. ووجه ظلمهم ظاهر غير خفيّ، وهو أنهم وضعوا المحبة موضع البغضاء، والنصرة موضع الخذلان، إذ حقيقة الظلم هي وضع الشيء في غير موضعه، فالذي تجب محبته وموالاته هو الله المنعم بالخلق والرزق والتدبير للإنسان ولسائر الخلق، والذي بيده

كل شيء وهو قادر على كل شيء. هذا الذي يجب أن يُحب ويوالى، أما الذي لا يملك شيئاً وهو مملوك ولا يعطي شيئاً، وكيف وهو معطي فكيف يحب ويوالى؟

والذي تجب محبته وموالاته من الناس هو من آمن بالله وكفر بالطاغوت وهو ما عبد دون الله جلّ جلاله وعظم سلطانه من إنسان أو جان، من كوكب أو شجر وحجر، وأحب الله تعالى ووالاه، وأحب ما يحب الله، ووالى من أحب الله ووالاه من صالحي عباده المؤمنين به وبلقائه المطيعين له ولرسوله. أما من استحب الكفر على الإيمان والشرك على التوحيد، والكافرين على المؤمنين فكيف تجوز موالاته ومناصرته، اللهم إن هذا ظلم فاضح وصاحبه ظالم لا أظلم منه. وختم تعالى إنذاره بهذا التهديد العظيم الذي لا يطاق فقال لرسوله ﷺ قل لهم: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤]. أي إلى التوبة والإنابة إليه، والرجوع إلى محبته وموالاته، إذ هم توغلوا في الفسق بالكفر والظلم والشر والفساد، إذ سنة الله سبحانه وتعالى أن من أدمَنَ على شيء قلّما يتركه ويتخلى عنه، وكلمة الفاسقين دالة على التوغل في الفسق بالكفر والظلم والفجور.

هذا وإليك أيها القارئ والمستمع بعض ما يهدي إليه هذا النداء الكريم زيادة على ما علمت من شرحه وبيانه:

١ ـ اعلم أن هذه الآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ﴾ إلخ متضمنة حكم حرمة موالاة الكافرين ولو كانوا من أقرب الأقارب. وهذا الحكم عام في أمة الإسلام إلى يوم القيامة ولا التفات إلى سبب نزولها؛ لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

٢ ـ أن من تولى المشركين صار مشركاً كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: من تولاهم فهو مشرك مثلهم؛ لأن الرضا بالشرك شرك. ويستثنى من هذه المقاطعة الإحسان والعطية للأقارب الكفرة لحديث أسماء، إذ قالت: يا رسول الله، إن أمي قد قدمت عليّ راغبة وهي مشركة أفأصلها؟ قال: **«صِلي أمك»**.

٣ ـ أن حُب الله ورسوله ﷺ من أوجب الواجبات، ومن لم يحب الله ورسوله فليس بمؤمن وإن ادعى الإيمان. ولنصغ إلى رسول الله ﷺ وهو يقر هذه الحقيقة **«ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود إلى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يُقذف في النار»**.

وصدق رسول الله ﷺ.

وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين

النداء الحادي والخمسون

في حرمة دخول المشركين الحرمين الشريفين ووجوب منعهم من ذلك ووجوب قتال أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية

الآيتان (٢٨، ٢٩) من سورة التوبة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾.

الشـــرح:

اعلم أيها القارئ الكريم أن هذا النداء الإلهي الموجه إلى المؤمنين من عباده، وهم أولياؤه لإيمانهم وتقواهم له سبحانه وتعالى، يتضمن أمرين عظيمين:

الأول: حرمة دخول المشركين المسجد الحرام، والحرم المكي تابع للمسجد، فلا يحل لمشرك أو كافر من أهل الكتاب أو من غيرهم أن يدخل المسجد الحرام، ومكة كلها حرم، كما لا يحل للمشرك والكافر أن يدخل المسجد النبوي والمدينة كذلك؛ لأن الرسول ﷺ قال: «**إن إبراهيم حرّم مكة وإني أُحرّم المدينة**». وكما يُحرَّم دخول المشركين والكافرين الحرمين الشريفين، يجب على المؤمنين منعهم من ذلك وصدهم بأية حال.

وهذا ما دل عليه قوله تعالى في الآية الأولى في هذا النداء إذ قال عزّ وجلّ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ﴾ وهـــو

عام تسعة من الهجرة حيث حج أبو بكر رضي الله عنه أميراً على الحج، ونزلت هذه

الآية، فبعث رسول الله ﷺ من ينادي في عرفات ومنى ومكة بهذا الأمر «**أيها الناس ألا لا يطوفن بالبيت عريان، ولا يحجنّ بعد هذا العام مشرك**»؛ إذ كان المشركون يطوفون بالبيت عراةً إذا لم يجدوا ثوباً حلالاً. وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً﴾ أي فقراً، لانقطاع المشركين عن الحج إذ كانوا يحملون البضائع التجارية ويبيعون ويشترون. ﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ فوعدهم بغناهم وسد حاجتهم التي خافوا أنها إذا امتنع المشركون من الحج حصلت لهم أي العيلة. وقوله: ﴿إِن شَآءَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾. هذا استثناء منه سبحانه وتعالى حتى تبقى قلوب المؤمنين متعلقة به سبحانه وتعالى راجية خائفة غير مطمئنة، وكونه تعالى عليماً حكيماً يرشح المعنى المذكور ويرجحه، لأن ذا العلم والحكمة لا يضع شيئاً إلا في موضعه، فلا بدّ إذاً لمن أراد رحمة الله وفضله تعالى أن يجتهد في أن يكون أهلاً لذلك بالإيمان والطاعة الكاملة لله ورسوله ﷺ.

والثاني: أي الأمر الثاني الذي تضمنه النداء هو ما تحمله الآية الثانية وهو قوله تعالى: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ إنه لما أمر تعالى المؤمنين بمنع المشركين من دخول المسجد الحرام، وهذا يقتضي قتالهم حتى يسلموا، أمر المؤمنين أيضاً أن يقاتلوا أهل الكتاب حتى يسلموا، أو يدخلوا في ذمة المسلمين ويعطوا الجزية. فقال تعالى لهم: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ... إلخ﴾ وهم اليهود والنصارى، ولم يرض الله تعالى إيمانهم الفاسد، إذ اليهود مشبهة مجسمة يصفون الله تعالى بصفات يُنزه عنها الله تبارك وتعالى. والنصارى يقولون ويعتقدون أن الله ثالث ثلاثة، فهو كفر وليس والله بإيمان. فلذا أبطل الله إيمانهم فقال: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾، إذ لو آمنوا بالله واليوم الآخر، لعملوا على دخول الجنة والنجاة من النار بالإيمان الصحيح والعمل الصالح الذي شرعه الله في دينه الحق الإسلام. فلذا هم كافرون بالله واليوم الآخر وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ﴾؛ إذ اليهود يدينون ببدعة اليهودية، والنصارى ببدعة النصرانية، والدين الحق الذي لا يقبل دين غيره الذي هو الإسلام، كفروا به وحاربوه، فهم إذاً يدينون بدين باطل لا ينجي من النار ولا يدخل الجنة دار الأبرار. وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾. هذه غاية قتالهم، فهم يقاتلون حتى يخضعوا للمسلمين ويعطوا الجزية وبذلك يدخلون في ذمة المسلمين، ويؤمنون في أبدانهم وأموالهم وأعراضهم وأديانهم مع شروط تُكتب عليهم، جاء تفصيلها في كتاب عمر رضي الله عنه ذكره ابن كثير عند تفسير هذه الآية.

وأخيراً إليك أيها القارئ بيان بعض ما دلت عليه الآيتان فتأمله وعه وافهمه:

١ ـ نجاسة المشركين إنها معنوية وهي شركهم بالله عزّ وجلّ، وإن كانوا لا يغتسلون من الجنابة ولا يبتعدون عن النجاسات بدليل قول الرسول ﷺ: «**المؤمن لا ينجس**». فمفهومه أن الكافر نجس أي بكفره وشركه. لذا لو صافحت كتابياً لا تغسل يدك كما يرى بعض الظاهرية، ولا ينقض وضوءك مصافحتُه.

٢ ـ يجوز أن يدخل الكافر مساجد المسلمين ما عدا المسجد الحرام والمسجد النبوي، ولكن بإذن المؤمنين.

٣ ـ وجوب قتال أهل الكتاب حتى يدخلوا في الإسلام ليكملوا ويسعدوا أو يدخلوا في ذمة المسلمين فيحكمهم المسلمون بالعدل والحق.

٤ ـ وجوب أخذ الجزية وهي قدر معلوم من المال سنوياً على الرجال القادرين على الكسب والعمل، ولا تؤخذ من العجزة من الشيوخ والأطفال والنساء.

٥ ـ قوله تعالى: ﴿عَن يَدٍ﴾ له معنيان، الأول: أن يؤديها القادر دون العاجز، فمعنى ﴿عَن يَدٍ﴾ عن قدرة. والمعنى الثاني: أن يؤديها صاحبها بنفسه ولا يصح أن ينيب عنه غيره ويؤيد هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ أي ذليلون منقادون لحكم الإسلام.

٦ ـ لا يمنع المؤمن خوف الفقر أن يمتثل أمر ربه. إذ وعد تعالى من أطاعه فيما حرم عليه أو أوجب عليه أن يغنيه إذ هو امتثل أمره. وقد أطاعه المؤمنون في منع المشركين من الحج فأغناهم بما فتح عليهم من الفتوحات وما أفاض عليهم من أموال الجزية التي لا تعد... ألا فلنمتثل أمر الله ولنترك الربا وبيع المحرمات، والله يُغنينا من فضله وهو الغني الحميد.

والحمد لله رب العالمين

النداء الثاني والخمسون

في حرمة أكل أموال الناس بالباطل والوعيد الشديد لمن يكنز الذهب والفضة ولا يخرج زكاتهما

الآيتان (٣٤، ٣٥) من سورة التوبة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ (٣٤) يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ (٣٥)﴾.

الشـــرح:

اذكر أيها القارئ الكريم أن الله تعالى لا ينادي عباده المؤمنين إلا ليأمرهم بفعل ما يكملهم ويسعدهم، أو لينهاهم عما يشقيهم ويُخَسِّرهم. وها هو ذا تعالى في هذا النداء العظيم يخبرهم بحال أعدائهم من اليهود والنصارى الذين يريدون دوماً أن يطفئوا نور الله بأفواههم، والله متم نوره ولو كره الكافرون والمشركون معاً، يخبرهم بحال رجال الدين فيهم وهم الأحبار، والرهبان، وأنهم ماديون صرفاً، وما شعار الدين الذي يحملونه إلا خدعة لعوامهم وجهالهم، إذ قال تعالى: ﴿إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ﴾ وهم علماء اليهود، ﴿وَٱلرُّهۡبَانِ﴾ وهم عباد النصارى. وأما علماؤهم فهم القُسس، والواحد منهم يقال له قس. ﴿لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ أي بدون حق يبيح لهم أكل أموال الناس، إذ هم يأكلونها تحت ستار الكذب والحيل كالرشوة، وكتابة صكوك الغفران لغُلاة الذنوب والآثام إلى غير ذلك من أنواع الحيل والكذب.

وقوله تعالى: ﴿وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ﴾ الذي هو الإسلام. وعلة صدهم عن الإسلام أن يبقى أتباعهم من اليهود والنصارى سخرة لهم يعيشون سعداء على حسابهم، إذ لو دخل أتباعهم في الإسلام لحرموا سيادتهم عليهم وأموالهم منهم،

وتبع ذلك السلطة والحياة ولم يبق لهم بين الناس ذكر. وهذه حالهم إلى اليوم فإنهم يحاربون الإسلام بكل وسيلة.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ . . . إلخ﴾ هذا إعلام آخر من الله تعالى لعباده المؤمنين معلماً محذراً حتى لا يقعوا في مثل ما وقع فيه الأحبار والرهبان. إذ أخبرهم أن الذين يكنزون الذهب والفضة وسواء كانوا من الكافرين والمشركين أو من المسلمين وذلك لحرمة كنز الأموال وهي قوام الأعمال، وأداة العيش الرغد في الحياة. فتوعد تعالى الذين يكنزونها ولا ينفقونها في سبيل الله بالعذاب الأليم، إذ قال تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ وقد سلك مسلك الأحبار والرهبان علماء الروافض، إذ إن أئمتهم يأخذون منهم ضرائب هي خمس دخل كل فرد من أي جهة كان هذا الدخل، أخبرني بهذا أحد رجالهم بمدينة الكويت، ويبين تعالى كيفية تعذيب كانزي الذهب والفضة بها يوم القيامة وهو أنها تحول إلى صفائح ويحمى عليها في نار جهنم حتى تلتهب ناراً، ثم تُكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم. فلم يبق موضع من أجسامهم إلا يكوى بتلك الصفائح. ومع هذا العذاب الحسي عذاب معنوي وهو القول لهم: ﴿هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾. كما يُقال لأبي جهل في جهنم ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ استهزاء وسخرية به هذا العذاب المعنوي أعظم ألماً من العذاب الجسدي وأشد. هذا معنى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

ولنعلم أيها القارئ والمستمع أن هذه الآية لما نزلت اضطرب لها المسلمون، وكبر عليهم أمرها، فقال عمر رضي الله عنه: أنا أفرج عنكم فانطلق إلى رسول الله ﷺ وقال: يا نبي الله إنه قد كبر على أصحابك هذه الآية فقال النبي ﷺ: «**إن الله لم يفرض الزكاة إلا ليطيب ما بقي من أموالكم وإنما فرض المواريث في أموالكم لتكون لمن بعدكم**» فكبر عمر. فقال له رسول الله ﷺ: «**ألا أخبرك بخير ما يكنز المرء: المرأة الصالحة التي إذا نظر إليها سرته، وإذا أمرها أطاعته، وإذا غاب عنها حفظته**»، أي في ماله وعِرضه. وهذا الحديث العمري حقاً نفّس عن النفوس المؤمنة ما تجده من ألم في إدخار بعض المال. وحقاً لو حُرِّم الإدخار ومُنع كيف تنزل آيات الميراث.

وتقسيم التركة على الوارثين: للذكر مثل حظ الأنثيين، ولكل من الأب والأم السدس إذا هلك الابن وترك ولداً، وللأم الثلث والباقي للأب إذا لم يترك ولدهما ولداً. وللزوجة الربع إذا لم يترك الزوج ولداً، ولها الثمن إن ترك ولداً، وللزوج الربع إن تركت زوجته ولداً، وله النصف إن لم تترك ولداً. ومن مات من رجل أو امرأة،

ولم يترك أباً ولا أماً ولا ولداً وإنما ترك أخاً أو أختاً لأمٍّ وعصبة فإن لكل واحد منهما السدس والباقي للعصبة، وإن ترك أكثر من أخ أو أخت لأمٍّ فهم شركاء في الثلث، والباقي للعصبة. ومن ترك أختاً ولم يكن له ولد فلها النصف، وإن ماتت هي ولم تترك ولداً فهو يرث مالها كله. وإن مات هو وترك أختين فلهما الثلثان والباقي للعصبة كالأعمام مثلاً، ومن ترك منهما إخوة رجالاً ونساءً فإن الإخوة يقتسمون التركة للذكر مثل حظ الأنثيين كالوالد يموت ويترك بنين وبنات، فإنهم يقتسمون التركة للذكر مثل حظ الأنثيين. ولا تقسم التركة إلا بعد إنفاذ الوصية وسداد الدين. هذه قسمة الله تعالى في مال الهالك. فلو كان كنز المال حراماً فكيف ينزل القرآن بقسيمته على النحو الذي فصلت؟

لذا الإجماع على أن المال المدخر إذا أخرجت زكاته لا يُعد كنزاً محرماً يُعذب به صاحبه، أما الذي لم يخرج زكاته سنوياً فالعذاب لازم، وهذا مسلم يخرج حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**ما من رجل لا يؤدي زكاة ماله إلا جعل له يوم القيامة صفائح من نار فيكوى بها جنبه وجبهته وظهره في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد، ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار**» ومثله أيضاً: «من كان عنده إبل أو غنم أو بقر فلم يُؤتِ زكاتها فإنه يعذب في عرصات القيامة إلى نهاية الحساب، ثم إلى الجنة أو إلى النار».

ألا فلنذكر هذا أيها القارئ والمستمع، ولنُعلم الناس ما يجب أن يعلموه من دين الله، ولنحثهم على العمل به طلباً للنجاة، إذ الله شديد العقاب وسريع الحساب.

وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين

النداء الثالث والخمسون

في وجوب الخروج إلى الجهاد
إذا دعا الإمام إلى ذلك وهو ما يُعرف بالتعبئة العامة
وحـرمـة الـقـعـود عنـه

الآيتان (٣٨، ٣٩) من سورة التوبة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيۡـٔٗاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾

الشــــرح:

اعلم أيها القارئ والمستمع أن هذا النداء وجه يوم نزل إلى المؤمنين بالمدينة النبوية وذلك يوم بلغ الرسول ﷺ أن هرقل ملك الروم قد جمع جموعه لحرب الرسول ﷺ فدعا الرسول ﷺ إلى التعبئة العامة، وكان الزمن صيفاً حاراً، وبالبلاد جدب وقحط ومجاعة، وكان ذلك في شوال من سنة تسع من الهجرة، لذا سُميت هذه الغزوة بغزوة العسرة، فاستحث الرب تبارك وتعالى المؤمنين ليخرجوا مع نبيهم ﷺ لقتال أعدائه الذين عزموا على غزوه في عقر داره فأنزل الله تعالى قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي اخرجوا للجهاد في سبيل الله، والقائل هو رسول الله ﷺ: ﴿ٱثَّاقَلۡتُمۡ﴾ أي تباطأتم كأنكم تحملون أثقالاً. لا تريدون الخروج راضين ببقائكم في دوركم وبين أزواجكم وأولادكم. ﴿أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾. وهذا إنكار منه تعالى على من كانت هذه حالته منهم، وهو عدد قليل وليس بكثير. إذ أكثر المؤمنين نفروا مع رسول الله ﷺ وأَنَّ مَنْ تباطأ أولاً خرج ثانياً، إلا من تخلف بإذن من الرسول ﷺ ثم قال لهم عز من قائل: ﴿فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا

فِي ٱلْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾. فكيف تؤثرون الحياة الدنيا القليلة التمتع بالطعام والشراب والكساء والراحة على الآخرة ذات النعيم العظيم والخالد الباقي، فكيف تؤثرون القليل الفاني على الكثير الباقي؟ إن أمركم عجب، ثم وجه إليهم الأمر الموجب للخروج للجهاد لقتال بني الأصفر ـ الروم ـ، إذ عزموا على قتال الرسول وأتباعه فقال تعالى مهدداً موعداً آمراً بالخروج، حاثاً حاظاً عليه: ﴿إِلَّا تَنفِرُوا﴾ أي تخليتم عن نصرة نبيكم وتركتموه يخرج إلى قتال الروم وحده مع قلة من أصحابه. فالجزاء سيكون عظيماً: ﴿يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ أي موجعاً لا يُطاق لشدة ألمه ومرارة مذاقه. وأمر آخر هو أنه إذا أهلككم يستبدل بكم غيركم بمن ينصرون رسوله ويقاتلون معه إذ قال عزّ وجلّ: ﴿وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا﴾ أي من الضرر لأنه وليه وناصره، ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فلا يعجزه إهلاككم واستبدالكم بغيركم، ونصرة نبيه إن كنتم تركتم نصرته.

هذا ولنعلم أيها القارئ الكريم والمستمع أن هذا النداء حمل حكماً عاماً للمسلمين في أي زمان ومكان، إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، لذا فلنتأمل ما يلي:

١ ـ الجهاد في سبيل الله تعالى من أفضل الأعمال وهو باق ما بقي من لا يعبد الله تعالى لقوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٣]؛ أولاً في جزيرة العرب ثم في كل أنحاء المعمورة؛ إذ أمة الإسلام نائبة عن نبيها في إبلاغ دعوته إلى العالم التي تحمل الهداية والطهر والسعادة والكمال للبشر أجمع.

٢ ـ إن النفير والتعبئة العامة يقوم بها إمام المسلمين عندما تدعو الحاجة إلى ذلك لهذه الآية الكريمة في هذا النداء العظيم.

٣ ـ الجهاد وهو من أفضل الأعمال، يكون فرض عين ويكون فرض كفاية، وفرض العين يكون في ثلاثة أحوال.

أ ـ أن يعلن الإمام التعبئة العامة والنفير العام كما في هذه الآية التي تضمنها النداء.

ب ـ أن يعين الإمام من شاء من المؤمنين، فيجب على من عينه أن يخرج للجهاد.

جـ ـ أن يُداهم العدو أهل ثغر أو بلد على الحدود، فعلى كل ذكر بالغ عاقل أن يدافع ويقاتل حتى يقهر العدو أو يصل المدد من إمام المسلمين وحكومته. . .

٤ ـ أن يكون الجهاد وهو بذل الجهد والطاقة البدنية والفعلية والمالية في سبيل الله أي من أجل رضا الله تعالى، وطاعة رسوله وأميره، فلا يكون من أجل سلطة أو مال، أو جاه وسمعة.

٥ ـ بيان حقارة الدنيا وتفاهتها وضآلتها أمام الآخرة دار النعيم المقيم والسعادة الأبدية الخالدة لقوله تعالى: ﴿فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾. وقول الرسول ﷺ في رواية مسلم: «**ما الدنيا في الآخرة إلا كما يجعل أحدكم أصبعه هذه في اليم فلينظر بما ترجع؟**» والأصبع التي أشار بها هي السبابة.

٦ ـ وجوب نصرة رسول الله ﷺ في دينه وفي أمته وسنته.

ألا فلنتدبر ونتأمل ما حواه هذا النداء الإلهي الكريم، ولنعمل في صدق على إبلاغه بعد العمل به. والحسنة بألف حسنة لقول الرسول ﷺ: «**إن الله يجزي الحسنة بألفي حسنة**» أما حسنة الجهاد فهي بألف ألف أي بمليون حسنة، والله يُضاعف لمن يشاء.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

النداء الرابع والخمسون

في الأمر بتقوى الله عزّ وجلّ والصدق في النية والقول والعمل

الآية (١١٩) من سورة التوبة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ (١١٩)﴾.

الشــــرح:

اذكر أيها القارئ ما قد سبق أن عرفته وهو أن المؤمنين أحياء، لذا يناديهم ربهم ليكلفهم لقدرتهم على السماع والقول والعمل والترك بخلاف الكافرين، فهم بكفرهم أموات غير أحياء وما يشعرون، والدليل أنهم إذا دُعوا إلى العمل أو الترك لا يجيبون، وإذا ذُكروا لا يذكرون وإذا نُودوا لا يسمعون بخلاف المؤمنين لكمال حياتهم. فإنهم إذا ناداهم أجابوا، وإذا أمرهم فعلوا، وإن نهاهم تركوا وانتهوا. واعلم أيها القارئ والمستمع أن هذا النداء الإلهي يحمل أمرين عظيمين.

الأول: الأمر بتقوى الله عزّ وجل، وهي كما عرفت إن كنت تذكر طاعة الله تعالى وطاعة رسوله في كل ما أمرا به أو نهيا عنه، إذ الله تعالى لا يُتقى عذابه ولا غضبه ولا عقابه بأية وقاية إلا بالطاعة له والتسليم لحكمه والرضا بقضائه وقدره.

والمؤمن العارف يَسُرُّه أَمْرُ ربه تعالى له ولغيره بالتقوى لعلمه أن ولاية الله تعالى، وهي أشرف هدف وأسمى غاية وأعز مطلب، لا تتحقق للمؤمن إلا بالتقوى؛ لأن التقوى تزكي النفس وذلك بفعل الأوامر وترك النواهي، فإذا زكت نفس العبد رضيه الله ولياً وأحبه وتولاه. واعلم أيها القارئ أن التقوى لا تتحقق لطالبها إلا بالعلم بمحاب الله تعالى ومكارهه، وبكيفية أداء المحبوبات لتنتج له زكاة نفسه وطهارتها، لذا كان طلب العلم فريضة الله على كل مؤمن ومؤمنة في هذه الحياة.

والأمر الثاني: هو الكون مع الصادقين إذ قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ (١١٩)﴾ أي لا تفارقوهم في أي حال من أحوالهم فلتكن نياتكم

كنياتهم وأقوالكم كأقوالهم، وأعمالكم كأعمالهم، وآمالكم كآمالهم لتكونوا في الآخرة معهم. واسمعوا قول الرسول ﷺ في هذا، إذ قال: «**عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يُكتب عند الله صديقاً**». فإذا كُتب صديقاً أصبح من أمثال أبي بكر الصديق رضي الله عنه إذ لقبه الرسول ﷺ بالصديق، والقرآن أشار إليه في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الزمر: ٣٣]. فالذي جاء بالصدق هو الرسول ﷺ، والذي صدق به هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه. وهناك سبيل آخر للكون مع الصديقين وهو طاعة الله ورسوله في الظاهر والباطن، في السر والعلن، في العسر واليسر؛ إذ قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [النساء: ٦٩، ٧٠].

وإليك ما سبق هذا النداء الكريم لتعرف قيمة الصدق وحقيقته وتعمل على أن يكون وصفاً لك بين الناس. إنه لما دعا رسول الله ﷺ إلى التعبئة لقتال الروم الذين عزموا على غزو المؤمنين في المدينة النبوية، جاء المنافقون يعتذرون بأعذار واهية وكاذبة وكذلك ضعاف الإيمان؛ لأن الغزوة كانت في عام قحط وجوع وحر شديد. وتخلف من تخلف بدون استئذان من القائد الأعظم ﷺ. ولما رجع رسول الله ﷺ والمؤمنون من تبوك إذ العدو لما بلغه خروج الرسول ﷺ لقتاله جبن وخاف وعدل عن الغزو الذي عزم عليه وصدق رسول الله ﷺ إذ قال: «**نصرت بالرعب مسيرة شهر**». فلما عاد الرسول ﷺ والمؤمنون جاء بعض الناس يعتذرون عن تخلفهم فاعتذروا وقبل عذرهم، وتخلف ثلاثة وهم كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع أن يعتذروا كما اعتذر غيرهم بأعذار واهية، فأعلن الرسول ﷺ عن هجرانهم ومقاطعتهم، واستمرت مقاطعتهم من الرسول ﷺ وكافة أهل المدينة حتى أزواجهم وأولادهم. وبعد مرور خمسين يوماً، ولما صبروا صادقين أنزل الله توبتهم في قوله: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾. فدلت الآيات على أن الله نجّى الثلاثة الذين خلفوا وتاب عليهم بصدقهم، فلذا دعا عباده المؤمنين إلى الصدق لما فيه الخير والبركة والفوز بالنجاة من النار ودخول الجنة دار الأبرار. اللهم اجعلنا من عبادك الصادقين.

وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين

النداء الخامس والخمسون

في وجوب قتال الكفار لإدخالهم في الإسلام ليكملوا ويسعدوا

الآية (١٢٣) من سورة التوبة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾﴾.

الشـــرح:

اعلم أيها القارئ الكريم أن هذا النداء الإلهي فيه إشارة إلى قرب وفاة الرسول الحبيب ﷺ، إذ كان الله تعالى يأمره بالجهاد وأتباعه معه نحو: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ﴾ [التوبة: ٧٣]. وقطعاً إن أصحابه معه في الجهاد. إلا في هذا النداء فإنه وجهه تعالى للمؤمنين فقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾﴾. إنه لما طهرت الجزيرة من الشرك وأصبحت دار إسلام، وتم هذا في أخريات حياة النبي ﷺ أمر تعالى المؤمنين بأن يواصلوا الجهاد في سبيله بعد وفاة نبيهم ﷺ وأرشدهم إلى الطريقة التي يجب أن يتبعوها في ذلك، وهي أن يبدأوا بدعوة وقتال أقرب الكفار منهم. والمراد بالكفار المتاخمين لحدودهم كالأردن والشام والعراق مثلاً.

فيعسكرون على مقربة منهم ويدعونهم إلى خصلة من ثلاث: **الأولى**: الدخول في الإسلام دين الرحمة والعدل والطهر والصفاء والعزة والكرامة فإن أبوا.

فالثانية: وهي قبول حماية المسلمين لهم بأن يدخل المسلمون بلادهم يطبقون فيها شرع الله ويحمونهم مقابل ضريبة جزئية وهي الجِزْيَةُ التي تضرب على الرجال فقط وتسقط عن العجزة من كبار السن والأطفال والنساء، وبذلك يرى أهل البلاد رحمة الإسلام ونوره وعدله وطهره فيدخلون فيه بطواعية واختيار بلا إلزام ولا إكراه، فإن أبوا.

فالثالثة: وهي قتالهم حتى يهزموا وتدخل خيل الإسلام بلادهم عنوة وتصبح من مال الإسلام والمسلمين إذ يصبح مال تلك البلاد خراجاً، وتصبح تلك البلاد ضمن بلاد المسلمين ثم يعسكرون على حدود البلاد المجاورة، ويعملون ما عملوا مع الحدود الأولى وهكذا حتى يكون الدين كله لله، ولا يبقى من لا دين لله بالإسلام امتثالاً لقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ . . . الآية﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ أي قوة بأس وشدة مراس ليرهبوكم ولينهزموا أمامكم. وقوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ أي بنصره وتأييده، والمتقون هم الذين اتقوا الشرك والمعاصي، والخروج عن السنن الإلهية في النصر والهزيمة.

وفعلاً امتثل أمر الله تعالى المؤمنون من أصحاب رسول الله ﷺ بعد وفاة نبيهم ﷺ ما إن انتهت حرب الردة في أطراف الجزيرة حتى قام أبو بكر رضي الله عنه خليفة رسول الله ﷺ بتجهيز الجيوش الإسلامية إلى الروم عبدة الصليب وإلى الفرس عبدة النار، ففتح الله تعالى عليه ببركة خلافته لرسوله ﷺ، وتوفي أبو بكر رضي الله عنه، وتولى أمر المسلمين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وواصل الجهاد، فاستولى على ممالك في الشرق والغرب، واستشهد عمر رضي الله عنه في محراب رسول الله إذ قتله أبو لؤلؤة المجوسي انتقاماً منه لكسره عرش كسرى، وتولى أمر المسلمين خليفته عثمان ذو النورين رضي الله عنه وأرضاه فواصل الزحف والجهاد تنفيذاً لأمر الله: ﴿قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾ فاتسعت البلاد الإسلامية شرقاً وغرباً ودخلت ممالك كبيرة وعديدة في دين الله. واستمر الجهاد والفتح وحدود البلاد الإسلامية تتسع شرقاً وغرباً طيلة ثلاثة قرون، وهي القرون التي قال فيها رسول الله ﷺ: **«خيركم قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»**. وما إن انتهت القرون الذهبية حتى كاد العدو المؤلف من ثلاثة أعداء وهم المجوس واليهود والنصارى حتى أصبح يعرف بالثالوث، كاد أمة الإسلام بالمكر والدس ففرق كلمتها وشتت جيوشها ورجالها ومزق بلادها، وأخذت تتراجع الحدود حتى ضاقت، ووقف المد والجزر. والأمر لله من قبل ومن بعد، واليوم البشرية تتطلع إلى الإسلام لينقذها من عللها وأمراضها وظلمتها وشرورها ومفاسدها، فعسى الله تعالى أن يتوب على المؤمنين فتجتمع كلمتهم ودولتهم فينهضون بهذا الواجب: قتال من يلي حدود البلاد الإسلامية حتى يدخل في الإسلام وهكذا. . حتى يتم وعد الله في قوله على لسان رسوله ﷺ: **«ليتمن الله هذا الأمر حتى ما يبقى بيت مدر ولا وبر إلا يدخله الإسلام بعز عزيز أو ذل ذليل»**. وأخيراً فقد اشتملت هذه الآية الكريمة على المعلومات الآتية:

١ ـ وجوب الجهاد واستمراره على أمة الإسلام حتى لا تبقى فتنة أو اضطهاد لمؤمن، ويكون الدين كله لله.

٢ ـ مشروعية البدء في الجهاد بأقرب الكفار إلى بلاد المسلمين من باب (الأقربون أولى بالمعروف).

٣ ـ وعد الله تعالى بالنصر والتأييد لأهل التقوى العامة والخاصة باقٍ لا يتبدل ولا يتغير.

٤ ـ أمة الإسلام آثمة إذا لم تحقق هذا الواجب، وهو قتال من يلي بلادها حتى يعم الإسلام ديار العالم كافة، ولا يُعفى من الإثم إلا أهل الأعذار في قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ [النور: ٦١]. والنساء والأطفال والمجانين. كل بحسب حاله قوة وضعفاً. والله نسأل أن يعفو ويغفر، فإنه عفو غفور.

وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين

النداء السادس والخمسون

في الأمر بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والجهاد ولزوم الإسلام والاعتصام به

الآيتان (٧٧، ٧٨) من سورة الحج

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ (٧٧) وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ (٧٨)﴾.

الشـــرح:

إنه بعد تقرير العقيدة بأقسامها الثلاثة وهي التوحيد والنبوة والبعث الآخر والجزاء فيه، نادى الله تبارك وتعالى عباده المؤمنين بعنوان الإيمان الدال على كمال الحياة الروحية، وقوة الإرادة العملية ناداهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي يا من آمنتم بالله رباً وإلهاً لا رب غيره ولا إله سواه، وآمنتم بمحمد نبيه ورسوله، وآمنتم بلقائه وما أعد لأوليائه وما لديه لأعدائه. ﴿ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ﴾ أي لربكم وحده فأطيعوه فيما يأمركم به وفيما ينهاكم عنه ﴿وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ﴾ وهو كل ما انتدبهم ربهم إليه ورغبهم فيه من أنواع البر وضروب العبادات ليتأهبوا بذلك للفلاح الذي هو الفوز بالجنة بعد النجاة من النار الدال عليه ﴿لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾. وخص من الصلاة الركوع والسجود من بين أركانها لأنهما أشرف أجزائها وأدلها على خضوع العبد لربه وذلته له سبحانه وتعالى. كان هذا ما دلت عليه الآية الأولى.

أما الآية الثانية وهو قوله تعالى لهم: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ﴾، فإنه أمرهم بأمر عظيم، إذ الأمر الأول في تأثيره في أرواحهم بالتطهير والصفاء أكثر من تأثيره في أبدانهم. وأما هذا الأمر فإنه ذو تأثير أعظم في الأرواح والأبدان معاً، إنه جهاد أعدائه تعالى وأعدائهم، وهم الكافرون والمشركون والمنافقون، وهذا يتطلب بذل الأموال

والأرواح كما هو جهاد الشيطان الذي لا يبرح يزين الشر، ويقبح الخير، يدعو إلى الخبث ويصرف عن الطهر حتى يهبط بالعبد إلى أسوأ الدركات في الخبث والشر والفساد، كما هو جهاد النفس الأمارة بالسوء، اللوامة عن فعله بعد أن تخضع العبد لفعله، وهذا في مرحلة جهادها إلى أن تنهزم وتقهر فحينئذٍ تطيب وتطهر وتصبح المطمئنة التي لا ترتاح ولا تسعد إلا على ذكر الله تعالى وشكره بأنواع العبادات والقربات.

وقوله تعالى: ﴿حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ إنه بذل الطاقة البدنية والعقلية واستفراغ الجهد كاملاً نفساً ومالاً ودعوة في سبيل إعلاء كلمة الله تعالى وحده، دل على هذا قوله تعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ﴾ أي في سبيل إعلاء كلمته ونصرة أوليائه، على أنفسهم الأمّارة بالسوء وعلى الشيطان المزين للباطل المقبح للحق، وعلى أعدائهم وهم الكفار والفجار الذين لا يريدون أن يُعبد الله وحده، ولا أن يعز ويطهر أولياؤه. ولما كانت طاقة العبد محدودة ذكر أولياءه بأنه لا يكلفهم ما يوقعهم في الحرج الذي هو الضيق الذي لا يقدر العبد على اجتيازه ولا الخروج منه. ومن مظاهر رفع الحرج أنه تعالى[١] فتح لهم باب التوبة، مَنْ أذنب منهم ذنباً فليتركه نادماً على فعله مستغفراً ربه فإنه يقبل ولا يُرد. ومن رفع الحرج رخص للمريض والمسافر في الإفطار حال مرضهما أو سفرهما، ورخص للمريض أن يُصلي قاعداً أو على جنب أو مُسْتَلْقياً على حسب قدرته. ورخص للمريض والأعمى والأعرج في عدم الخروج إلى الجهاد في حال التعبئة العامة، ورخص لمن لم يجد الماء أو عجز عن استعماله أن يترك الغسل والوضوء ويتيمم بالتراب ويصلي. هذه جملة من رفع الحرج على أولياء الله المؤمنين.

وقوله تعالى: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَۚ﴾. حث منه تعالى لعباده المؤمنين على أن يلزموا ملة أبيهم إبراهيم عليه السلام، إذ هو أبو إسماعيل وإسماعيل هو أبو العرب المستعربة الذين منهم سيد الأنبياء محمد ﷺ حظهم وحثهم على لزوم عبادة الله تعالى وحده بما شرع، وترك الشرك والبدع، بقوله: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَۚ﴾ أي الزموها ولا تخرجوا عنها فتتركوها وتستبدلوا بها غيرها فإنها هي مناط عزكم وشرفكم، ومدار سعادتكم في الدنيا والآخرة. وذكرهم سبحانه وتعالى بشرف آخر أضفاه عليهم وهو أنه سمَّاهم المسلمين في الكتب الأولى وفي القرآن الكريم، إذ قال لهم: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا﴾. وعلة هذه التسمية المشرفة الرافعة للقدر والجاه والمنصب، ﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾ لأنه أول من أسلم منكم فهو يعرف الإسلام وأهله. لذا

(١) هذه الجملة لم تشرح كغيرها نسياناً لا غير/ ومعناها: اختاركم لحمل دعوة الله تعالى إلى الناس كافة.

إذا استشهده الرب تبارك وتعالى شهد عليكم، وإذا استشهدكم أنتم شهدتم على الناس على من أسلم منهم قلبه ووجهه لله فعبده وحده. ومن لم يسلم ذلك لله فعبد غير الله تعالى فأشرك وكفر وزاغ وضل وابتدع فضل سواء السبيل. وآخر ما ناداهم من أجله ودعاهم إليه هو أن يقيموا الصلاة كما ينبغي أن تقام. وما تقام به الصلاة هو:

١ ـ الطهارة الكاملة برفع الحدث بالوضوء إن كان أصغر، وبالغسل إن كان أكبر، وطهارة البدن والثوب والمكان الذي يصلي فيه العبد من النجاسات كالبول والعذرة والدم.

٢ ـ أن تؤدى في أوقاتها المعلومة، فلا تقدم ولا تؤخر إلا لعلة سفر أو مرض.

٣ ـ أن تؤدى في جماعة المؤمنين، لا انفرادياً إلَّا في ضرورة قصوى.

٤ ـ الإتيان بأركانها وهي قراءة الفاتحة في كل ركعة، والطمأنينة في الركوع والرفع منه، وفي السجود والجلوس مع اعتدال الأعضاء في ذلك كله[١].

٥ ـ مراعاة سننها وآدابها حتى تصبح قادرة على إنتاج الطهر والصفاء للروح. هذا معنى إقام الصلاة وأن يؤتوا الزكاة ويعتصموا بالله، بمعنى يتمسكوا بدينه الإسلام وما حواه من الشرائع والأحكام والآداب والأخلاق، إذ هو سبحانه وتعالى مولاهم، والمولى يجب أن يُحب ويُعظم ويُطاع، فهو حينئذٍ نعم المولى لهم ونعم النصير، لأنهم أحبوه وعظموه وأطاعوه.

تنبيه:

القارئ لهذا النداء ولما سبقه من آيات إذا كان متطهراً إذا قال: ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ خَرَّ ساجداً مسبحاً، ثم يرفع رأسه مكبراً ويواصل قراءته لما بقي من الآيات. إذ هذه سجدة من سجدات القرآن، إلا أن هذه السجدة مختلف في مشروعيتها ولم يجمع عليها كما أجمعوا على سجدة الأعراف، والرعد، ومريم، وأولى الحج، والفرقان، والنمل، والسجدة، وفصلت، والنجم، والانشقاق، والعلق، واختلف أيضاً في سجدة ص، والنجم.

فلنذكر هذا والله المسؤول أن يبلغنا المأمول في رضاه والنزول بجواره في دار السلام.

وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين

---

(١) والركوع، والسجود، والقيام للركوع، والجلوس، والسلام، هذه أركان في الصلاة.

النداء السابع والخمسون

في النهي عن اتباع خطوات الشيطان وبيان حال المتبع لها. وامتنان الله تعالى على المؤمنين بوقايتهم من الشيطان

الآية (٢١) من سورة النور

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢١)﴾.

الشـــرح:

اعلم أيها القارئ الكريم والمستمع المستفيد أن الله تعالى ما ينادي عباده المؤمنين به وبلقائه المصدقين بوعده ووعيده، الراغبين في فضله وإنعامه، الراجين رحمته وإحسانه، ما يناديهم إلا لما يعدهم لذلك ويقربهم منه، ويحققه لهم. فها هو ذا عزّ وجلّ يناديهم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، لينهاهم عن اتباع خطوات الشيطان فيقول: ﴿لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ﴾ فإنه عدو لكم فكيف تمشون وراءه وتتبعونه فيما يزين لكم من قبيح المعاصي، وسيئ الأقوال والأفعال، ويعلل لذلك النهي فيقول، ﴿وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۚ﴾ أي إن من يتبع خطوات الشيطان لا يلبث أن يصبح شيطاناً يأمر بالفحشاء والمنكر، ألا ففاصلوا هذا العدو وقاطعوه، واتركوا المشي والجري وراءه فإنه لا يأمر بخير قط، إذاً فاحذروا وساوسه وقاوموا نزغاته بالاستعاذة بالله السميع العليم، فإنه لا ينجيكم منه إلا هو سبحانه وتعالى. فمن زين له سوءاً أو قبح له حسناً، أو نزغه ليحركه فيجري وراء شهوة باطلة فليفزع إلى الله سبحانه وتعالى قائلاً: «**أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم**»، وليواصل ذلك حتى يفر منه ويهرب من ساحته. كان هذا في بيان النهي عن اتباع خطوات الشيطان، وبيان حال المتبع له والعياذ بالله.

أما ما تضمنه هذا النداء في امتنان الرب تبارك وتعالى على عباده المؤمنين بوقايتهم من الشيطان، وقد قال تعالى فيه بقوله الحق: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ أي إنه لولا فضل الله عليكم أيها المؤمنون الصادقون ورحمته بكم وحفظه لكم بدفع الشيطان عنكم، ما كان ليطهر منكم أحد؛ وذلك لضعف الإنسان واستعداده الفطري للاستجابة لعدوه وعدو أبيه من قبل، وهو الشيطان عليه لعائن الرحمن. إذاً فعلى الذين شعروا بكمالهم؛ لأنهم نجوا مما وقع فيه غيرهم من الإثم أن يستغفروا لإخوانهم الذين تورطوا وأن يقللوا من لومهم وعتابهم فإنه لولا فضله تعالى عليهم ورحمته بهم لوقعوا فيما وقع فيه إخوانهم. ألا فليحمدوا الله عزّ وجلّ الذي نجاهم مما وقع فيه إخوانهم، وليتطامنوا تواضعاً لله وشكراً له. إذ هذه الآيات نزلت في حادثة الإفك التي تولى كبرها رئيس المنافقين ابن أبي عليه لعائن الله.

وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾، وعليه فليلجأ إليه المؤمنون طالبين تزكية نفوسهم منه سبحانه وتعالى؛ إذ هو الذي يزكي من يشاء، إلا أنه حسب سنته في خلقه لا يزكي إلا من طلب ذلك منه، فمن طلب في صدق زكاة نفسه، فإن الله تعالى لا يُخيبه ويزكي نفسه، وما دام تعالى سميعاً لأقوال عباده عليماً بنياتهم وأفعالهم فليفزع إليه المؤمن الراغب في زكاة نفسه. فليذكره وليشكره، بفعل الصالحات، والبعد عن الطالحات من الذنوب والآثام، وبذلك يصبح أهلاً لزكاة نفسه فتزكو نفسه وتطيب، والفضل لله والمنة له سبحانه وتعالى، إذ لولاه ما زكى ممن تورطوا في حادثة الإفك، وممن سلم منها ولم يشارك فيها من أولئك الأصحاب رضوان الله تعالى عليهم، ومن عجيب أحداث الكون أن الروافض جلهم متورطون في تلك الفتنة إلى اليوم؛ إذ هم مصرون على اتهام أم المؤمنين بها، وقد برأها الله عز وجل في كتابه وبشرها بالجنة بقوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ مع العلم أن من يكذب الله عز وجل يكفُر كفراً يخرجه من الإسلام فسبحان الله كيف يرضى المؤمن بالكفر، ولا لشيء سوى التقليد الأعمى لأئمته واتباع هواه. والعياذ بالله.

وأخيراً إليك أيها القارئ خلاصة طيبة نفعك الله وإياي بها آمين وهي:

١ ـ حرمة اتباع الشيطان فيما يزينه من الفحشاء والمنكر والباطل والسوء.

٢ ـ متابعة الشيطان والجري وراءه في كل ما يدعو إليه يؤدي بالعبد إلى أن يصبح شيطاناً يأمر بالفحشاء والمنكر.

٣ ـ على كل من حفظه الله من الوقوع في الفواحش والمنكر والسوء والباطل في الاعتقاد والقول والعمل، عليه أن يشكر الله تعالى، وأن يتواضع ويتطامن، ولا

يلغ في أعراض المتورطين، وليكف لسانه عنهم ويدعو لهم بالهداية إلى طريق تطهير أنفسهم وتزكيتها، ويبين لهم ذلك بالحكمة والموعظة الحسنة. والجزاء على الله إذ هو رب العالمين ومالك يوم الدين.

وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين

النداء الثامن والخمسون

في وجوب الاستئذان على من يراد الدخول عليه في بيته، وعدم مشروعية الاستئذان على بيت غير مسكون للعبد حاجة له فيه

الآيات (٢٧ ـ ٢٩) من سورة النور

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِنْ قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾﴾.

الشـــرح:

إنه نظراً إلى خطر الرمي بالفاحشة، وخطر فعلها وحرمة ذلك بين المؤمنين شرع الله تعالى الاستئذان عند دخول البيوت فنادى عباده المؤمنين قائلاً: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي يا من آمنتم بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ورسولاً، ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا﴾ والاستئناس هو الاستئذان، لأن الاستئذان لا يكون إلا من إنسان، ولا يكون من حيوان محال. فلذا أطلق الاستئناس وأريد به الاستئذان، وكيفيته أن يقف المرء إلى جانب باب المنزل عن يمينه أو عن شماله ويقول: «السلام عليكم أأدخل» ثلاث مرات فإن أُذن له في الدخول دخل وإلا انصرف راضياً غير ساخط ولا غاضب. وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أي الاستئذان والسلام على أهل البيت قبل الدخول خير للمستأذن ولأهل البيت الذين يريد أن يدخل عليهم؛ إذ علة وجوب الاستئذان هي أن لا يطلع المرء على عورة أخيه، وناظر العورة يتأذى كما يتأذى صاحب العورة سواء بسواء، فلذا كان الاستئذان خيراً للجانبين وهو ما أراده تعالى بقوله: ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أي تذكرون أنكم مؤمنون، وأن الله تعالى أمركم بالاستئذان حتى لا يحصل لكم ما يضركم، فتبقى

لكم طهارة نفوسكم وسمو أرواحكم، وإن استأذن المرء ولم يجد في البيت أحداً فلا يدخل حتى يوجد من يأذن له بالدخول أو عدمه. وهذا معنى قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا﴾، وإن وجد في البيت أحد، وقال للمستأذن: ارجع فإن عليه أن يرجع ولا يسأل لماذا لم يأذن له بالدخول، لقوله تعالى: ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟﴾، لأنه ما أمر صاحب البيت بالرجوع إلا لأمر اقتضى ذلك. وفي الرجوع خير من الدخول بدون إذن صاحب البيت، ولذا قال تعالى: ﴿هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾ أي أطهر لنفوسكم وأكثر عائدة عليكم بالخير ومن مظاهر ذلك أن تبقى الألفة والمحبة بينكم.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾. أي مطّلع على أحوالكم وأعمالكم، فتشريعه لكم الاستئذان واقع موقعه. وعليه فأطيعوه فيه وفي غيره تكملوا وتسعدوا. وقوله تعالى في الآية الثالثة في هذا النداء ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ﴾، هذه رخصة منه سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين وهي أن لا يستأذنوا إذا أرادوا دخول بيوت غير مسكونة أي ليس فيها نساء من زوجات وسريات وغيرهن من النساء ممن يحرم النظر إليهن، وذلك كالدكاكين والفنادق والأسواق، وما إلى ذلك. فللمؤمن أن يدخل لقضاء حاجة المعبر عنها بالمتاع بدون استئذان لأنها مفتوحة للعموم من أصحاب الأغراض والحاجات من عامة الناس. هذا في الاستئذان، أما السلام فهو سنة في حق كل مؤمن يدخل أو يمر على مؤمن إذ يُسلم الراكب على الماشي والواقف على القاعد والكبير على الصغير. فمن دخل دكاناً أو نُزلاً أو مطعماً من السنة أن يُسلم قائلاً: السلام عليكم، ويرد عليه من سلم عليه قائلاً: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته. هذا النداء الموجبُ للمؤالفة والمحبة بين المؤمنين والمحقق للطهر والمحافظة عليه ختمه تعالى بقوله: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ أي ما تظهرون وما تخفون من نياتكم وأقوالكم وأفعالكم وأحوالكم. إذاً فراقبوه تعالى فيما أمركم به وفيما نهاكم عنه فافعلوا المأمور واتركوا المنهي تكملوا في آدابكم وأخلاقكم وتسعدوا في حياتكم، وفي آخرتكم.

هذا وإليك أيها القارئ الكريم والمستمع المستفيد معلومات إضافية فاذكرها، فإنها خير لك وهي:

١ ـ اذكر أن سبب هذا النداء هو أن امرأة من الأنصار قالت: يا رسول الله إني أكون في بيتي على حال لا أحب أن يراني عليها أحد، لا والد، ولا ولد فيأتي الأب فيدخل عليّ فإنه لا يزال يدخل عليّ رجل من أهلي على تلك الحال فكيف أصنع؟ فأنزل الله هذه الآية. وقال أبو بكر: يا رسول الله أرأيت الخانات

والمساكن في شرق الشام ليس فيها مساكن؟ فأنزل الله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ . . .﴾.

٢ ـ إذا استأذن أحد فقال له صاحب البيت: من أنت؟ فلا يقل: أنا، وإنما يذكر اسمه أو كنيته. إذ استؤذن على رسول الله ﷺ فقال للمستأذن: من هذا؟ فقال: أنا، فقال[١]: أنا أنا كأنه كره ذلك.

٣ ـ من آداب الاستئذان أن يقف المستأذن بجانب الباب فلا يعترضه وأن يرفع صوته بقدر الحاجة وأن يقرع الباب قرعاً خفيفاً، وأن يقول: السلام عليكم أأدخل؟ ثلاث مرات فإن أذن له وإلا رجع.

٤ ـ اعلم أن في كل طاعة لله ورسوله خيراً وبركة وإن كانت كلمة طيبة.

وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين

(١) أي الرسول ﷺ.

النداء التاسع والخمسون

في مشروعية استئذان الخدم والأطفال على أهل البيت ثلاثة أوقات. ووجوب استئذان الطفل إذا بلغ الحُلم

الآيتان (٥٨، ٥٩) من سورة النور

أعوذ بالله من الشيطان الرحيم

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُواْ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ ﴾.

الشـــرح:

اعلم أيها القارئ الكريم أن هذا النداء وإن كان لنزوله سبب ككثير من الآيات والنداءات إلا أن الحكم عام يشمل كل مؤمن ومؤمنة ما بقي الإسلام والمسلمون، وذلك إلى آخر أيام هذه الحياة الدنيا، واسمع أقص عليك سبب نزول هذا النداء وهو أن النبي ﷺ بعث غلاماً من الأنصار يُقال له مدلج إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يدعوه له فوجده نائماً في وقت الظهيرة، فدق الباب ودخل فاستيقظ عمر فانكشف منه شيء ـ أي من عورته ـ فقال عمر عندها: وددت أن الله تعالى نهى أبناءنا ونساءنا وخدمنا أن لا يدخلوا علينا في هذه الساعة إلا بإذن، ثم انطلق إلى رسول الله ﷺ، فوجد هذه الآية نزلت فخر ساجداً شكراً لله تعالى. وليست هذه أول موافقة عمر لربه تعالى فيما ينزل من أحكام إذ منها نزول آية الحجاب، والصلاة خلف المقام[1] إلى غير هذا فقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ أي يا من آمنتم بالله ولقائه وكتابه ورسوله

---

(١) أي مقام إبراهيم بمكة.

﴿لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ﴾، ومعنى هذا الأمر أن عليكم أيها المؤمنون أن تُعلّموا أطفالكم وخدمكم الاستئذان عليكم في ثلاثة أوقات وأمروهم بذلك. والأوقات الثلاثة هي التي في قوله تعالى: ﴿ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ﴾ وهي ساعات النوم من الليل، ﴿وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ﴾ وهي ساعات القيلولة، ﴿وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ﴾ وهي بداية النوم في الليل.

وقوله تعالى: ﴿ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ﴾ أي هي مظنة انكشاف العورة فيها فأطلق عليها اسم العورة، والعورة هي ما يُستحى من كشفه. وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ﴾ أي ليس عليكم أيها الآباء والسادة، ولا عليهم يريد الأبناء الصغار والخدم جناح أي إثم وحرج وتضييق. وقوله تعالى: ﴿طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ أي يدخلون ويخرجون عليكم للحاجة إليكم وللخدمة لكم فبعضكم يدخل على بعض حيث لا غنى لكم عن بعضكم بعضاً، فلذا رفع الله تعالى عليكم الحرج في الدخول بدون استئذان في غير الأوقات الثلاثة التي لا بد من الاستئذان فيها. وقوله تعالى في ختام الآية الأولى من هذا النداء: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ أي كهذا التبيين، الذي يبين لكم فيه حكم الاستئذان، يبين الله لكم الآيات المتضمنة للشرائع والأحكام والآداب، إذ هو تعالى عليم بخلقه وما يحتاجون إليه في إكمالهم وإسعادهم، حكيم فيما يشرع لهم ويفرض عليهم. وهذا ما دل عليه قوله في ختام الآية ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ وحقاً هو عليم حكيم سبحانه لا إله إلا هو ولا رب سواه.

أما الآية الثانية في هذا النداء وهي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ﴾ أي سن الاحتلام وهي في الذكور تجاوز الخامسة عشرة من العمر، أو إنبات الشعر؛ شعر العانة، أو الاحتلام بأن يفرز الغلام المني في نومه لرؤية يراها. وأما البنت فبالحيض وإنبات شعر العانة أو بلوغ الخامسة عشرة من عمرها، والغالب أن البنت تبلغ سن الاحتلام في الثانية عشرة فما فوق، كما أن الذكر قد يتأخر بلوغه إلى الثامنة عشرة من عمره، فإذا بلغ الأطفال سن الاحتلام وجب عليهم أن يستأذنوا عند الدخول إلى بيت غير بيتهم بأن يقول أحدهم إذا أراد الدخول على بيت أحد «السلام عليكم أأدخل» ثلاث مرات كما جاء ذلك في نداء الاستئذان قبل هذا النداء من هذه السورة (النور)، لذا قال تعالى: ﴿كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ وهم الرجال مثل آبائهم وإخوانهم وأعمامهم. وقوله تعالى في ختام هذه الآية: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ أي لهذا التبيين الذي بينه في آداب الدخول يبين لكم آياته الحاملة للشرائع والأحكام من أجل طهارتكم وأمنكم وسعادتكم. ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ﴾ أي بخلقه وما يصلح لهم ﴿حَكِيمٌ﴾ في شرعه، وهذه حال توجب طاعته تعالى فيما يشرع فعلاً أو تركاً.

وأخيراً أذكر أيها القارئ الكريم ما دل عليه هذا النداء الكريم وهو ما يلي:

١ ـ وجوب تعليم الآباء أبناءهم وخدمهم الاستئذان في الأوقات الثلاثة المعبر عنها بالعورات؛ لأنها من مظنة انكشاف العورات.

٢ ـ وجوب استئذان الأولاد إذا بلغوا الحلم عند الدخول إلى غير بيوتهم؛ لأنهم كلفوا بالبلوغ.

٣ ـ اذكر علامات البلوغ واحفظها وعلّمها؛ إذ كثير من النساء والرجال لا يعرفون ذلك.

وصلّى الله على نبينا محمّد وآله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً

النداء الستون

وجوب ذكر النعم وشكرها وبيان موجب الذكر والشكر لله تعالى

الآيات (٩ ـ ١١) من سورة الأحزاب

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾﴾.

الشـــرح:

اعلم أيها القارئ الكريم أن هذا النداء الإلهي وإن وجه ابتداء إلى المؤمنين من أصحاب رسول الله ﷺ ليذكرهم بنعمة عظمى ليشكروا الله تعالى عليها بذكره وشكره، وذلك بطاعته عزّ وجلّ، وطاعة رسوله في العسر واليسر والمنشط والمكره، إلا أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وأمر آخر: وهو أن نجاة رسول الله ﷺ وأصحابه مما دُبر لهم للقضاء عليهم هي نعمة الله تعالى على كل مؤمن ومؤمنة في هذه الحياة، إذ لو هلكوا في حرب الأحزاب لما بلغنا إسلام ولا عرفنا ربنا ولا ذكرناه ولا شكرناه، فالحمد لله على إنعامه وإفضاله حيث رد المتآمرين على رسول الله وأصحابه ردهم خائبين خاسرين، ونجا رسوله والمؤمنون. وإليك بيان هذه الآيات الثلاث التي حواها هذا النداء الإلهي العظيم: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي يا من آمنتم بالله رباً وإلهاً وبمحمد نبياً ورسولاً وبالإسلام ديناً وشرعاً ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾، المتمثلة في دفع أكبر خطر قد حاق بكم وهو اجتماع جيوش عدة على غزوكم في عقر داركم وهم جيوش قريش وأسد وغطفان وبنو قريظة من اليهود ألّبهم عليكم وحزب أحزابهم حيي بن أخطب النضري اليهودي يريد الانتقام منكم؛ إذ أجليتموه عن المدينة وأخرجتموه منها فالتحقوا[1] بخيبر وتيماء.

(١) أي هو ويهود بني النضير.

وقوله تعالى: ﴿إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾ هي جنود المتحزبين من المشركين من قريش وأسد وغطفان، وقوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾. وذلك بعد حصار في سفح جبل سلع الجبل وراءهم والخندق أمامهم مدة خمسة وعشرين يوماً؛ أرسل الله تعالى عليهم ريح الصبا ففعلت بهم العجب حيث أطفأت نيران وقودهم وطبخ طعامهم، وأكفأت قدور طعامهم واقتلعت خيامهم حتى اضطروا إلى الرحيل والهرب، وأرسل تعالى عليهم جنوداً من الملائكة فأصابتهم بالفزع والرعب الأمر الذي أفقدهم كل رشدهم وصوابهم فرجعوا يجرون أذيال الخيبة المريرة، والحمد لله. وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ أي بكل أعمالكم أيها المؤمنون. وذلك كحفر الخندق والمشادات والمناورات التي كانت بينكم وبين عدوكم، وما قاله المنافقون وفاهوا به من أسوأ الأقوال وأقبحها. كل ذلك لم يغب عنه تعالى منه شيء، وسيجزي به المحسن بالإحسان والمسيء بالإساءة.

وقوله تعالى في الآية الثانية من آيات هذا النداء ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ﴾ أي من الشرق وهم غطفان وأسد بقيادة عيينة بن حصن. وقوله: ﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾، وهم قريش وكنانة أي من الجنوب الغربي. وهذا تحديد لساحة المعركة وسبحان الله العليم الخبير وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ﴾ أي مالت عن كل شيء فلم تبق تنظر إلا إلى القوات الغازية وذلك من شدة الخوف. وقوله تعالى: ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ أي ارتفعت بارتفاع الرئتين فبلغت منتهى الحلقوم، وذلك من شدة الفزع والخوف. قد يكون هذا من بعض المؤمنين لا من كلهم وهو كذلك. وقوله تعالى: ﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ أي المختلفة من نصر وهزيمة وسلامة وعطب. وهذا منه تعالى تصوير للحال أبدع تصوير، إذ حالهم كانت هكذا حرفياً فسبحان العليم الخبير.

وقوله تعالى في الآية الثالثة من هذا النداء ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ أي ثم اختبرهم ربهم عزّ وجلّ ليرى الثابت على إيمانه الذي لا تزعزعه الشدائد ولا تحيله الفتن ويرى المهزوز الإيمان، السريع الانهزام والتحول وذلك لضعف عقيدته وقلة عزمه وصبره. وقوله تعالى: ﴿وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ أي أزعجوا وحركوا حراكاً شديداً لعوامل: قوة العدو وجنوده وضعف المؤمنين وقلة عددهم، وعامل المجاعة والحصار والبرد الشديد، وما أظهر المنافقون من تخاذل، وما كشفت عنه الحيل من نقض بني قريظة عهدهم، وانضمامهم إلى الأحزاب[١].

هذا ولنعلم أن التذكير بالنعم وبما يجب من شكر للمنعم على إنعامه مما ينبغي أن لا ينساه المؤمن؛ إذ الذي لا يذكر النعمة لا يشكرها. ولنعلم أن نعم الله تعالى

---

(١) اقرأ أحداث غزوة الخندق تتجلَّ لك الحيل، وما كشفت عنه.

على عباده لا تحصى، إذ كل ما أوتيه العبد من صحة بدن وسلامة عقل، وسلامة معتقد، وصحة الدين، وأن كل هذه النعم تتطلب الشكر من العبد. ومما يساعد على الشكر ذكر النعمة ومعرفة المنعم، والشكر يكون بطاعة المنعم وبالتقرب إليه بمحابه، مع تعظيمه وإجلاله وإكباره. ومن باب شكر الله على نعمه أن يذكر العبد الله تعالى بقلبه ولسانه ويصرف النعم فيما من أجله وهبها الله تعالى للعبد، ومن شكر النعم زاده الله منها أفضل وأكثر، لقوله عزّ وجلّ: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

اللهم لك الحمد ولك الشكر فزدنا ولا تنقصنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا.

وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين

النداء الحادي والستون

في الأمر بذكر الله وتسبيحه عزّ وجلّ بكرة وعشياً وبيان ثواب ذلك من الله عزّ وجلّ

الآيات (٤١ ـ ٤٤) من سورة الأحزاب

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٤٢) هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا (٤٣) تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا (٤٤) ﴾.

الشـــرح:

اعلم أيها القارئ أن هذا النداء الكريم من رب رحيم يوجه إلى المؤمنين الصادقين، وجهه إليهم ربهم ليُعلمهم ما يزيد به إيمانهم ونورهم، ويحفظون به من عدوهم وعدو أبيهم، إبليس عليه لعائن الله. ألا إنه ذكر الله تعالى، إذ قال لهم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) ﴾ أي لا حد له ولا حصر، إذ هو الطاقة التي تساعد على الحياة الروحية ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٤٢) ﴾ البكرة من طلوع الفجر إلى الضحى، والأصيل من الزوال إلى غروب الشمس، وقد بين الرسول ﷺ أنواع التسبيح منها: سبحان الله وبحمده مائة مرة، وأن من سبح هذا التسبيح بهذا العدد غُفر له ما تقدم من ذنبه، إن قالها بعد الصبح أو بعد العصر فاز بهذا الأجر، وهو مغفرة ذنوبه وأعظم به من أجر، ومنها: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير مائة مرة. وذكر ﷺ أن من أتى بهذا الذكر كان كمن أعتق عشر رقاب وكُتبت له مائة حسنة وحطت عنه مائة خطيئة، وظل يومه ذلك كله في حرز من الشيطان، ولم يأت أحد بمثل ما أوتي به من الأجر، إلا من قال مثله وزاد. ومنها التسبيح دبر الصلوات الخمس نحو سبحان الله ثلاثاً وثلاثين والحمد لله ثلاثاً وثلاثين، والله أكبر ثلاثاً وثلاثين فهذه تسع وتسعون تسبيحة وختام المائة لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. ومما يدل على أفضلية ذكر الله تعالى قول النبي ﷺ: **«ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم**

وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إعطاء الذهب والورِق[١] وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا: وما هو يا رسول الله؟ قال: ذكر الله عزّ وجلّ».

وقوله تعالى في الآية الثالثة من آيات هذا النداء: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ﴾ أي هو الذي يثني عليكم بخير بين الملائكة ويرحمكم برحمته الواسعة. وقوله: ﴿وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾، أي وملائكته تعالى تُصلي عليكم أيضاً، وصلاة الملائكة هي الدعاء لكم بخير والاستغفار لكم. كما قال تعالى في حملة العرش أنهم يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون للذين آمنوا الآية من سورة المؤمنون (غافر). وقوله تعالى: ﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ أي ليخرجكم سبحانه وتعالى من ظلمات الكفر والذنوب والمعاصي إلى نور الإيمان والطاعات. فصلاته تعالى وصلاة ملائكته هي عامل الإخراج من الظلمات المهلكة إلى النور الهادي إلى النجاة من مهالك الحياة. وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ هذا إنعام آخر وفضل زائد على ما تقدم من صلاته تعالى وصلاة ملائكته عليهم. وهو أنه بالمؤمنين رحيمٌ أي لا يعذبهم ولا يشقيهم، ولا يذلهم في الدنيا ولا يخزيهم.

وقوله تعالى في الآية الرابعة من هذا النداء الكريم ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ أي ما يحيون به يوم موتهم ولقاء ربهم هو السلام. فملك الموت لما يأتي لقبض روح المؤمن يسلم عليه، ولا يقبض روحه حتى يسلم عليه. إذ روي عن البراء بن عازب رضي الله عنه في تفسير هذه الآية ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ قال: فيسلم ملك الموت على المؤمن عند قبض روحه، ولا يقبض روحه حتى يسلم عليه، وتحييهم الملائكة في الجنة بالسلام لقوله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾، والرحمن جل جلاله وعظم سلطانه يسلم عليهم إذ قال تعالى: ﴿لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ [يس: ٥٧، ٥٨]. أي أمان لهم وأمنة من كل خوف وحزن، إذ أهل الجنة لا خوف عليهم ولا هم يحزنون لولاية الله تعالى لهم. وقوله تعالى في ختام هذا النداء: ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾، أي هيأ لهم وأحضر أجراً كريماً وهو الجنة دار السلام. فسبحان الله ما أكرمه، وسبحان الله ما أسعد المؤمنين. فبفضيلة الإيمان، وطاعة الرحمن طلب منهم عزّ وجلّ أن يذكروه كثيراً وأن يسبحوه بكرة وأصيلاً، فأعطاهم ما لا يقادر قدره فسبحانه من إله كريم ورب رحيم.

هذا واعلم أيها القارئ الكريم والمستمع المستفيد أن لهذا النداء خلاصة نافعة فإليكها:

---

(١) الوَرِق: الفِضّة.

١ ـ وجوب ذكر الله تعالى بالقلب واللسان ليلاً ونهاراً وفي كل الأوقات إلا في حال دخول المرحاض لقضاء الحاجة.

٢ ـ بيان فضل المؤمنين المتقين، إذ الرحمن يصلي عليهم وملائكته كذلك.

٣ ـ التذكير بالبعث الآخر وهو معتقد أهل الإيمان إذ قال تعالى: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾، ولقاء الله يكون يوم القيامة لقاءً كاملاً تاماً.

٤ ـ بشرى المؤمنين المتقين بالجنة إذ قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [فصلت: ٣٠] اللهم اجعلنا من أهل الإيمان والتقوى والبشرى في الدنيا والآخرة.

وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين

النداء الثاني والستون

في سقوط العدة على المطلقة قبل المسيس، ووجوب المتعة لها إن لم يُسَمَّ لها مهر

الآية (٤٩) من سورة الأحزاب

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾﴾.

الشـــرح:

اعلم أيها القارئ الكريم أن هذا النداء الإلهي وُجِّه للمؤمنين لإيمانهم بالله تعالى رباً وإلهاً، وبالإسلام ديناً، لا يقبل الله ديناً غيره، ديناً ذا شرائع وأحكام رحيمة عادلة وبمحمد نبياً لا نبي بعده ورسولاً إلى الناس كافة، هؤلاء المؤمنون الذين ناداهم الله تبارك وتعالى ليعلمهم حكماً من أحكام شرعه؛ وهو أن من طلق امرأته التي عقد عليها عقداً شرعياً ثم طلقها قبل أن يخلو بها ويجامعها، فإنه ليس له أن يطالبها بعدة لا بالإقراء ولا بالشهور لأن علة العدة الواجبة هي الحمل، أي كي تعرف المطلقة هل هي حامل أو لا، أما التي لم يمسها زوجها فإنها قطعاً لا حمل لها أبداً فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾، ويعني بنكحتم عقدتم، إذ يُطلق لفظ النكاح على العقد وعلى الوطء، وغالباً ما يطلق في القرآن على الوطء والعقد إلا في هذه الآية فإنه أُطلق على العقد فقط لقوله تعالى: ﴿مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾، ولفظ المؤمنات خرج مخرج الغالب، وإلا فالكتابيّة إذا نكحها المؤمن فحكمها حكم المؤمنة في العدة والصداق والمتعة على حد سواء.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾. أي من قبل أن تجامعوهن، ولفظ الطلاق هو قول الزوج لزوجته: أنت طالق أو لقد طلقتك، أو الحقي بأهلك وهو ناو الطلاق جازم به عازم عليه، وهذا يُقال له طلاق الكناية فيحتاج إلى النية. أما الأول وهو الصريح أنت طالق وطلقتك لا يحتاج إلى نية إذ لو قال لها: أنت طالق وهو لا يريد الطلاق طُلقت حتى لو قال: أنا هازل. طُلقت لحديث: «**ثلاث جدهن جد وهزلهن جد: الطلاق والعتاق والرجعة**».

وقوله تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾ أي ليس على الرجل المطلق أن يطالب المرأة التي طلقها قبل البناء بها بعدة ولو يوماً أو شهراً، تقدم من أن علة العدة هي الحمل والتي لم يُبْنَ بها قطعاً لا حمل يظن بها. فلها أن تتزوج يوم طلاقها ولا حرج عليها.

وقوله تعالى: ﴿فَمَتِّعُوهُنَّ﴾، والمتعة إعطاء المطلقة شيئاً من المال بحسب قدرة الرجل إذا كان ذا يسار فبحسب يساره، وإن كان ذا إعسار فبحسب إعساره. والقاضي هو الذي يقدر ذلك، إذا رفعت القضية إليه. وهذه المتعة واجبة لمن لم يسم لها مهر؛ إذ لو سُمي لها مهر لكان لها لقول الله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ﴾ [البقرة: ٢٣٧] أي يتنازلن عما وجب لهن وهو نصف المهر، ﴿أَوْ يَعْفُوَاْ الَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾ فيترك لها المهر كاملاً فله ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ أي اتركوهن يذهبن إلى ذويهن من آباء أو أقارب من غير إضرار بهن ولا أذى تلحقونه بهن. ومن سرح مطلقته سراحاً غير جميل بأن سبها أو عيرها أو ذكر عيباً فيها أو ليس فيها أو منعها حقها في المهر إن سمي لها، أو مانعها بشيء نافع ذي قيمة، فإنه قد عصى الله عزّ وجلّ وتجب عليه التوبة فوراً لأنه خالف أمر الله عزّ وجلّ وهو مؤمن.

هذا وإليك خلاصة هذه الأحكام التي تضمنها هذا النداء الإلهي العظيم:

١ ـ مشروعية الطلاق قبل البناء وجوازه بلا حرج.

٢ ـ ليس على المطلقة قبل البناء عدة أبداً إذ لها أن تتزوج يوم طلاقها ولا حرج.

٣ ـ المطلقة قبل البناء إن سُمي لها صداق فلها نصفه، وإن لم يُسم فلها المتعة واجبة بحسب حال المطلق يساراً وإعساراً، وإن تشاحنا فالقاضي يقدرها.

٤ ـ حرمة أذية المطلقة بأي أذى ووجوب تخلية سبيلها تذهب حيث شاءت.

٥ ـ مشروعية المتعة لكل مطلقة. إلا أنها تجب للتي لم يُسم لها صداق.

٦ ـ العدة للتي تحيض ثلاثة قروء أي حيض أو إطهار، ولا يشرع الطلاق إلا في طهر قبل أن يجامعها فيه، والتي لا تحيض لكبر سنها أو صغره عدتها ثلاثة أشهر لا غير، والحامل عدتها ولادتها فمتى ولدت انتهت عدتها. والمتوفى عنها زوجها أربعة أشهر وعشر، وإن كانت حبلى فتعتد بأطول الأجلين الحمل أو الأشهر، إذ هذا خير لها ولأهل زوجها الميت. والإحسان محمود منا أيها المؤمنون والله يحب المحسنين.

وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين

النداء الثالث والستون

في وجوب الأدب مع رسول الله ﷺ وحرمة أذيته بأدنى أذى وحرمة نكاح نسائه بعده ﷺ

الآية (٥٣) من سورة الأحزاب

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُواْ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا (٥٣)﴾.

الشـــرح:

اعلم أيها القارئ الكريم أن هذا النداء الجليل الموجه إلى المؤمنين أيام حياة نبيهم ﷺ ليلتزموا بما يلي إزاء نبيهم ﷺ.

١ ـ أن لا يدخلوا بيوته ﷺ إلا بإذنه. كان هذا قبل نزول آية الحجاب هذه لقوله تعالى: ﴿لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ﴾ أي لا تدخلوا بيت الرسول ﷺ قبل وقت الأكل بزمن، ولا تجلسوا بعد الأكل أيضاً، لقوله تعالى لهم: ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُواْ﴾ أي اخرجوا منتشرين في الأرض كل إلى أهله أو عمله أو حاجته، ولا تجلسوا بعد الطعام مستأنسين بحديث بعضكم بعضاً فتطيلوا الجلوس فتضايقوا رسول الله ﷺ وأهله في هذا الوقت؛ إذ حصل هذا فعلاً من بعض الأصحاب رضي الله عنهم، وعلل تعالى لذلك بقوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ﴾ أي أن يقول لكم اخرجوا أو لا تجلسوا. وقوله: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ أن يقوله لعباده أو يأمرهم به، ولذا أمرهم أن يخرجوا وينتشروا.

٢ ـ إذا أراد أحدهم أن يطلب شيئاً من أزواج رسول الله ﷺ كإناء وشراب أو طعام أو

يسأل عن شيء في دينه وجب عليه أن يسأل زوجات رسول الله من وراء حجاب لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ﴾. وعلل تعالى لذلك بقوله: ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ أي السؤال من وراء حجاب ﴿أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ﴾ أيها الرجال وأطهر لقلوبهن أي نساء النبي ﷺ أطهر أي أكثر طهارة من خواطر السوء الفاسدة التي لا يخلو منها قلب الإنسان إذا خاطب المرأة، أو خاطبت المرأة الرجل، إذ مثل هذا من الغرائز الفطرية في الإنسان ذكراً كان أو أنثى.

٣ ـ حرمة أذية رسول الله ﷺ بأي أذى كان؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا۟ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ وصيغة: ﴿مَا كَانَ﴾ [البقرة: ١١٤] تدل على أن هذا الأذى لا يكون كالمستحيل وهو كذلك. فهل المؤمن الذي يفدي رسول الله ﷺ بنفسه وأهله وماله يتوقع منه أذى له ﷺ لا، لا، ولن يكون أبداً.

٤ ـ حرمة نكاح زوجات الرسول ﷺ بعد وفاته لأنهنَّ أمهات المؤمنين. ثبت هذا وتقرر بقوله تعالى: ﴿ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْۗ﴾ [الأحزاب: ٦] أي في حرمة النكاح ومقدماته إذ هن محرمات على الرجال ما عدا رسول الله ﷺ حرمة مؤبدة كحرمة الأم على ولدها. وهذه الحرمة دل عليها قوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾، أي إن أذى الرسول ﷺ بأي أذى أو بالزواج بنسائه بعد وفاته كان عند الله أي في حكمه وقضائه وشرعه ذنباً عظيماً لا يقادر قدره، ولا يعرف مدى جزائه وعقوبته إلا الله جل جلاله وعظم سلطانه.

هذا وإليك أيها القارئ في هداية هذا النداء ما يكون عوناً لك على السير في منهج الحق والسير في الصراط المستقيم إلى أن تفوز بالنجاة من النار ودخول الجنة دار الأبرار:

١ ـ بيان ما ينبغي أن يلتزمه المؤمن من الآداب في الاستئذان والدخول على البيوت.

٢ ـ بيان كمال الرسول ﷺ وآدابه العالية وخلقه العظيم حتى إنه ليستحي أن يقول لضيفه اخرج من البيت قد انتهى الطعام.

٣ ـ تقرير صفات الله تعالى وإثباتها في القرآن والسنة، إذ وصف تعالى نفسه بأنه لا يستحي من الحق. وعليه فلنصف الله تعالى بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ لا غير فلا نصف الله تعالى بما لم يصف به هو نفسه، ولا بما وصفه رسوله ﷺ ولا ننكر صفاته أو نؤولها هرباً من وصفه بها، كما هو شأن المعتزلة والأشاعرة في الغالب.

٤ ـ حرمة أذية رسول الله ﷺ في نفسه أو في آله أو في أهل ملته من المؤمنين والمؤمنات.

٥ ـ بيان أن أذية الإنسان لا يخلو من خواطر السوء إذا تكلم مع المرأة أو نظر إليها.

٦ ـ مشروعية الحجاب وفرضيته وهو أنه لا يحل لغير المحرم أن يخلو بامرأة من غير محارمه أو يتكلم معها بدون حجاب. إلا أن تكون عجوزاً لا تحمل ولا تحيض لكبر سنها.

فاذكر هذا أيها المؤمن ولا تنسه واعمل به وعلمه غيرك فإنه علم واجب ونافع. والله المستعان وعليه التكلان.

وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين

النداء الرابع والستون

في وجوب الصلاة والسلام على النبي ﷺ

الآية (٥٦) من سورة الأحزاب

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ .

الشـــرح:

اعلم أيها القارئ الكريم أن هذا النداء الكريم له أهميته وشأنه العظيم، وحسبك أن ما أمر الله تعالى به عباده المؤمنين كان قد فعله سبحانه وتعالى قبل أن يأمر به عباده؛ إذ قال تعالى قبل هذا النداء: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾ فأخبر أنه هو تعالى وملائكته يصلون على النبي محمد ﷺ فأين نحن أيها المؤمنون من عظمة الله تعالى، وكمال ملائكته وطهارتهم وهم يصلون على النبي ﷺ. إذاً فأمرُه تعالى لنا بالصلاة على نبيه شرف عظيم لنا، وكرامة تفوق كل كرامة في هذه الحياة. أما المُصلى والمُسلّم عليه فلا نسأل عن كرامته وعن درجته وسمو مقامه فإنا لا ندرك ذلك، ولا نقوى على تصوره. فاللهم صلِّ وسلّم عليه ما ذكر الذاكرون، وغفل عن ذكرك الغافلون. والسؤال الآن هو ما معنى صلاة الله تعالى، وصلاة الملائكة ثم صلاتنا نحن المؤمنين على النبي ﷺ؟ والجواب كالآتي:

١ ـ صلاة الله تعالى على النبي ﷺ معناها ثناؤه ورضوانه عليه.

٢ ـ صلاة الملائكة عليه ﷺ دعاؤهم له واستغفارهم له.

٣ ـ صلاة المؤمنين معناها: التشريف والتعظيم له ﷺ.

ما حكم صلاتنا على نبينا ﷺ؟ والجواب أنه الوجوب الحتمي من لم يُصلّ عليه ولو مرة في عمره هلك وخسر بمعصيته هذه التي لا يتصف بها ولا يأتيها إلا من فارق الإيمان قلبه، وأصبح في عداد من لا يؤمن بالله ورسوله وكتابه. والعياذ بالله تعالى من هذه الحال. وسؤال آخر متى تتأكد الصلاة عليه ﷺ؟ والجواب: تتأكد في موضعين:

١ ـ في الصلاة أي في التشهد من كل صلاة نافلة أو فريضة. وصيغتها هي: اللهم صلِّ على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم،

إنك حميد مجيد، وبارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، هذه صيغة وهناك أُخر هذه أتمها، فاذكر هذا.

٢ ـ عند ذكره ﷺ: «رغم أنف امرئ ذُكرتَ عنده ولم يصل عليك» والقائل هذا جبريل عليه السَّلام في حديث صحيح.

٣ ـ بدء الدعاء وختمه بالصلاة على النبي ﷺ رجاء الإجابة، إذ سمع ﷺ رجلاً يدعو يا رب يا رب.. قال ﷺ: «**لقد عجل هذا إذا أراد أحدكم أن يسأل الله شيئاً فليحمد الله وليصل على نبيه ثم يسأل حاجته**». فالدعاء إذا كان بين صلاتين على رسول الله ﷺ يستجاب، والحمد لله.

٤ ـ بدء الخطبة في الجمعة أو غيرها بحمد الله والثناء عليه ثم بالصلاة والسلام على رسوله ﷺ.

٥ ـ عند الفراغ من الأذان إذ رغّب الرسول ﷺ في ذلك وهو أن يقول السامع مثل ما يقول المؤذن إلا عند حيّ على الصلاة حيّ على الفلاح، فإنه يقول لا حول ولا قوة إلا بالله، فإذا فرغ صلى على النبي الصلاة الإبراهيمية التي يُصلي بها في التشهد الأخير في الصلاة وقد تقدمت صيغتها. ثم يقول: «**اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته**». من فعل هذه حلت له شفاعته ﷺ ووجبت.

٦ ـ الإكثار منها أي من الصلاة والسلام على النبي ﷺ يوم الجمعة وليلتها لترغيبه ﷺ في ذلك.

٧ ـ لقد ورد في صيغ الصلاة والسلام على النبي ﷺ نيف وثلاثون صيغة أكملها الصلاة الإبراهيمية والكل جائز وفاضل ومستحب. وأما الصيغة التي في هذا النداء فهي: اللهم صلِّ على محمد وسلّم تسليماً، وهذه أصغر الصيغ وأيسرها وأسهلها وبها يُؤدى الواجب.

٨ ـ من كتب اسم النبي ﷺ فإنه يكتب ﷺ كما هي مأثورة عن السلف، فأصحاب الصحاح، والسنن، والمسانيد كلهم إذا ذكر النبي ﷺ في الحديث يكتبون ﷺ. وبعض المتأخرين يكتب (ص) وهذا إجحاف ولا ينبغي.

وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين

النداء الخامس والستون

في حرمة أذية رسول الله ﷺ وحرمة التشبه باليهود في أذية موسى عليه السلام

الآية (٦٩) من سورة الأحزاب

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ ﴾.

الشــرح:

اذكر أيها القارئ الكريم ما قد سبق أن عرفت، وهو أن الله تعالى ينادي المؤمنين لإيمانهم؛ إذ المؤمن حيّ يسمع ويفهم ويفعل ويترك لكمال حياته بخلاف غيره من أهل الكفر، فلا يُنادون ولا يُكلفون إلا بالإيمان أولاً، فإن آمنوا أصبحوا أهلاً للنهوض بما يُكلفون به من فعل وترك. وأهلاً لأن يُنذروا فيحذروا، ويُبشروا فيسروا ويفرحوا، ويعلموا فيعملوا، ويُفقهوا فيفقهوا وذلك لكمال حياتهم، لأن نداءه تعالى للمؤمنين بلفظ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ معناه يا من آمنتم بالله رباً وبالإسلام ديناً، وبمحمد رسولاً، ﴿لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ﴾، هذا النهي من الله تعالى للمؤمنين له سببه وهو ما أشاعه ابن أبي؛ كبير المنافقين من فريته على أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها حيث تورط فيه عدد من المؤمنين كحسان رضي الله عنه وغيره. لذلك ناداهم تعالى بعنوان الإيمان ليشمل كل مؤمن ومؤمنة، إذ أذية النبي ﷺ محرمة وأياً كان نوعها، ومن باب التسلية والتخفيف عن النبي ﷺ وأصحابه ذكر تعالى أذى بني إسرائيل لنبي الله موسى عليه السلام فقال: ﴿لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ﴾ مرة قالوا إنه آدر بمعنى أن إحدى خصيتيه منتفخة، ومرة قالوا إنه قتل أخاه هارون لكونه ليناً هيناً معنا.

وقوله تعالى: ﴿ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْ﴾ أي اتهموه به. أما براءته من تهمة الأدرة فإليك رواية مسلم فيها والبخاري بمعناها، أن بني إسرائيل كانوا يغتسلون عراة ينظر بعضهم إلى بعض وكان موسى يغتسل وحده ـ لشدة حيائه ـ فقالوا: ما منعه أن يغتسل معنا إلا أنه آدر، فذهب يوماً يغتسل فوضع ثوبه على حجر وأخذ يغتسل، وإذ بالحجر يهرب بالثوب، فيجري

وأما براءته من تهمة قتل أخيه هارون فقد روى ابن أبي حاتم عن علي رضي الله عنه: «**أنه صعد موسى وهارون الجبل جبل الطور ـ فمات هارون عليه السلام، فقال بنو إسرائيل لموسى عليه السلام: أنت قتلته. كان ألين لنا منك وأشد حياء فآذوه من ذلك فأمر الله الملائكة فحملته فمروا به على مجالس بني إسرائيل فتكلمت الملائكة بموته، فما عرف موضع قبره إلا الرخم**[1]**، وأن الله تعالى جعله أصم أبكم**». وهكذا رواه ابن جرير أيضاً. وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾ أي كان موسى ذا وجاهة وجاه عند الله عزّ وجلّ كان إذا سأل أعطاه وإذا استعاذ أعاذه، وإذا استنصره نصره وذلك لكماله الروحي والخلقي والأدبي، وما هيأه الله له من الطهر والصفاء والصدق والوفاء. ولنذكر هنا أن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال للرسول ﷺ: ادع الله أن يجعلني مجاب الدعوة قال له رسول الله ﷺ: «**يا سعد أطب مكسبك تجب دعوتك**» فكان سعد مجاب الدعوة.

هذا وقد أوذي رسول الله ﷺ من بعض المؤمنين ومن ذلك ما يلي:

١ ـ حادثة الإفك إذ هو أذى في عرضه وشرفه، وعرض امرأته وشرفها، وأنزل الله تعالى في براءة امرأته أم المؤمنين قرابة سبع عشرة آية والحمد لله، ومن العجيب أن المخدوعين المغرر بهم من الروافض ما زالوا يلوكون تلك الفرية ويلصقونها بأم المؤمنين مع أن الذي يكذب الله تعالى يكفر. فكفروا وهم لا يعلمون.

٢ ـ قسم يوماً ﷺ مالاً على أصحابه فقال رجل من الأنصار: إن هذه القسمة ما أريد بها وجه الله، فقال أحد الحاضرين: أما يا عدو الله لأخبرن رسول الله ﷺ بما قلت، فذكره للنبي ﷺ فاحمر وجهه، ثم قال: «**رحمة الله على موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر**».

٣ ـ ومرة أخرى لَبَّبه بثوبه الأقرع بن حابس، وقال له: هذه القسمة ما أريد بها وجه الله اعدل فينا يا رسول الله. فرد عليه قائلاً: «**ويحك إذا لم أعدل أنا فمن يعدل ثم قال: رحم الله أخي موسى أُوذي بأكثر من هذا وصبر**».

وأخيراً فليحذر كل مؤمن ومؤمنة أن يؤذي رسول الله ﷺ بأي نوع من الأذى فإنه إثم عظيم. وصلّى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً دائمين إلى يوم الدين.

وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين

---

(١) الرخم: طائر معروف، واحد رخمة والجمع رخم.

النداء السادس والستون

في وجوب تقوى الله عزّ وجلّ ووجوب القول السديد

الآيتان (٧٠، ٧١) من سورة الأحزاب

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)﴾.

الشــــرح:

اذكر أيها القارئ الكريم ما عرفته من سر نداء الله تعالى للمؤمنين بعنوان الإيمان، وأنه ما يناديهم إلا ليأمرهم أو ينهاهم، أو يبشرهم أو ينذرهم وذلك رحمة بهم وإحساناً إليهم من أجل أن يكملوا ويسعدوا. وها هو ذا تعالى يناديهم: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ ويأمرهم بتقواه عزّ وجلّ إذ تقواه هي المحققة لولايته تعالى لهم بعد الإيمان. ومن وليه الله لا يخاف ولا يحزن، ومن عاداه الله ما أمن ولا فرح أبداً.

هذا واعلم أن تقوى الله عزّ وجلّ حقيقتها: خوف من الله عزّ وجلّ يحمل الخائف على عدم معصيته عزّ وجلّ في فعل ولا ترك في الظاهر والباطن سواء. ويحمله ذلك على أن يطلب العلم ليعرف ما أمر الله تعالى به عباده المؤمنين وما نهاهم عنه من الاعتقادات والأقوال والأعمال والصفات ويجاهد نفسه في ذلك حتى يبلغ بها درجة الطمأنينة فتصبح لا تفرح إلا بطاعة الله عزّ وجلّ ولا تحزن إلا من معصيته تعالى، وتصبح حالها: الإيمان بلقاء الله والرضا بقضاء الله والقناعة بعطاء الله. كما ورد في دعاء الصالحين: اللهم إني أسألك نفساً مطمئنة تؤمن بلقائك وترضى بقضائك وتقنع بعطائك. اللهم وفّقنا لهذا المطلب واجعلنا من أهله آمين.

وقوله تعالى: ﴿وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ هذا أمر آخر بعد الأول وهو أن لا يقول المؤمن إذا قال إلا ما كان صائباً صدقاً نافعاً غير ضار، هادفاً مصيباً ذا أثر محمود. وقد عرفه بعضهم فقال: القول السديد هو لا إله إلا الله محمد رسول الله، وهو القصد الحق وهو الذي يوافق ظاهره باطنه، وهو ما أُريد به وجه الله دون سواه، إذ

القول السديد الذي أمر تعالى به عباده المؤمنين يشمل كل هذه التعريفات ويزيد.

واعلم أن الله تعالى جعل ثمرة تقوانا له وقولنا لبعضنا القول السديد إصلاح أعمالنا ومغفرة ذنوبنا. وفي تحقيق هذين المطلبين سعادة الدارين، وسر ذلك أيها القارئ الكريم أن تقوى الله عزّ وجلّ كفيلة بتطهير النفس وتزكيتها، وسعادة الآخرة تتم بزكاة النفس وطهارتها إذ قال تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩﴾ [الشمس: ٩]، ومعنى أفلح فاز، والفوزُ هو النجاة من النار ودخول الجنان. كما أن القول السديد كفيل بإصلاح الأعمال الدنيوية من بيع وشراء وهدم وبناء، ونكاح وطلاق وسفر وإقامة، وإلى غير ذلك من أمور الحياة الدنيا الضرورية للإنسان فيها. فما أعظم إرشاد الله تعالى لأوليائه، وما أكرم الله تعالى على عباده المؤمنين إذ أمرهم بأمرين: تقواه والقول السديد. وجعل الجزاء أمرين: إصلاح الأعمال ومغفرة الذنوب، وما بعد هذا المطلب من مطلب. وأخيراً زاد إنعامه وإفضاله على عباده المؤمنين إفضالاً فقال: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾. أما طاعة الله وطاعة رسوله فإنها في الأمر والنهي والترغيب والترهيب وفي النفل والمكروه، وأما الفوز العظيم فهو سعادة الدارين؛ أما في الدنيا فهي الأمن ورغد العيش مع انشراح الصدر وطيب الخاطر، وهدوء البال والعز والكرامة الدائمة. وأما في الآخرة فهي النجاة من النار ومواكبة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين إذ قال تعالى من سورة النساء: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ٦٩ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ٧٠﴾ [النساء: ٦٩، ٧٠]. وفي ختام بيان هذا النداء أذكر لك أيها القارئ ما يزيد في تقواك ورضاك ما رواه ابن أبي حاتم وذكره ابن كثير في التفسير أن النبي ﷺ صلى يوماً الظهر بأصحابه ثم أومأ إليهم أن اجلسوا فجلسوا ثم قال لهم: «**إن الله أمرني بأمر أن آمركم أن تتقوا الله وتقولوا قولاً سديداً، ثم أتى النساء فقال لهن: إن الله أمرني بأمر أن آمركن أن تتقين الله وتقلن قولاً سديداً**». فكان ختام هذا النداء كبداءته، والحمد لله المتفضل على عباده.

وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين

النداء السابع والستون

في نصرة الله وما تثمره من نصرة لعباد الله المؤمنين وبيان خسران الكافرين وتعاستهم وضلالهم

الآيات (٧ ـ ٩) من سورة محمد ﷺ

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ وَأَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٩﴾﴾.

الشـــرح:

اذكر أيها القارئ الكريم والمستمع المستفيد أن نداء الله تعالى لعباده المؤمنين الذين آمنوا بالله رباً وإلهاً لا إله غيره ولا رب سواه، وبالإسلام ديناً لا دين يُقْبلُ غيره، وبمحمد نبياً ولا نبي يأتي بعده، ورسولاً إلى الناس كافة أبيضهم وأصفرهم، ومن عاصروه ومن يأتي بعدهم إلى يوم القيامة. كان لأجل أن يأمرهم أو ينهاهم، أو يبشرهم أو ينذرهم، وكل ذلك من أجل إكمالهم في إيمانهم وإسلامهم وإحسانهم، وفي آدابهم وأخلاقهم، ومعارفهم وعلومهم، ولأجل إسعادهم أبداناً وأرواحاً، وحاشاه تعالى أن يناديهم لغير إكمالهم وإسعادهم، لأنه ربهم ووليهم العليم الحكيم والبر الرحيم. فها هو ذا ناداهم ليخبرهم بأنهم إن نصروه تعالى في رسوله ودينه وأوليائه وهم المؤمنون المتقون من عباده نصرهم على أعدائه وأعدائهم وهم الكافرون بتوحيده وبرسوله وبكتابه وشرعه ولقائه وجزاء أوليائه بالنعيم المقيم، وأعدائه بالعذاب الأليم. إذ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴿٧﴾﴾، أي في كل معركة تخوضونها ضد أعدائكم الكافرين والمشركين الذين فُرض عليكم قتالهم حتى يُسلموا لله ربهم قلوبهم ووجوههم. إذ قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ﴾ [البقرة: ١٩٣] أي شرك أو من يدعو إلى الشرك، ويكون الدين كله لله.

كما يخبرهم بأن الذين كفروا به وبرسوله وبكتابه القرآن العظيم، وبلقائه ووعده

ووعيده، وبتوحيده في عباداته، هؤلاء الكفرة المشركون تعساً لهم أي هلاكاً لهم وسقوطاً في أسفل حياة البهائم، وخسراناً كاملاً في الدنيا والآخرة. أما خسران الدنيا فهو حرمانهم من الكمال الروحي، إذ لا أخلاق ولا آداب لهم، ولا زكاة نفس ولا راحة بال إذ هم في ظلمات الكفر يتقلبون وحرمانهم من سعادة الأبدان إذ هم في خوف وشقاء وتعاسة دائمة لحرمانهم من ولاية الله عزّ وجلّ. وأما خسران الآخرة فإنه من ساعة تفيض أرواحهم بنهاية آجالهم، وهم في العذاب الروحي لا يفارقهم إلا أن تُبعث أجسادهم فيساقون إلى جهنم زمراً ويصب عليهم العذاب الروحي بالتقريع والتوبيخ، صباً لا يعرفون معه طعم الحياة، إذ هم لا يموتون في النار ولا يحيون، وفوق العذاب الروحي العذاب الجسماني البدني، إذ يصب فوق رؤوسهم الحميم يصهر ما في بطونهم والجلود ويضربون بمقامع من حديد ويمزق أمعاءهم الجوع فيقدم لهم الزقوم، والضريع. ويعطشون فيسقون الحميم فيمزق أمعاءهم، ويصابون بوحشة، إذ لا أب ولا أم ولا زوجة ولا ولد ولا أنيس، ولكن وحشة وغربة وبلاء عظيم، ولنذكر قول الله تعالى فيهم: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾.

كان هذا بعض ما دل عليه قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعْسًا لَّهُمْ﴾ أما قوله تعالى: ﴿وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ فهو إخبار فيه معنى الدعاء عليهم بضلال أعمالهم فلا ينتفعون بشيء منها إذ كانت لبعضهم أعمال خيرية كإطعام جائع، أو سقي ظمآن أو كسوة عار، كما في قوله: ﴿فَتَعْسًا لَّهُمْ﴾، أيضاً[١] وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٩﴾. ذلك إشارة إلى تعاستهم وضلال أعمالهم أي حصل لهم ذلك الشقاء والخسران الروحي والبدني بسبب كراهيتهم لما أنزل الله من القرآن لما فيه من الأمر بالتوحيد، والتنديد بالشرك وإنذار الكافرين بالخلود في نار جهنم، وتبشير الموحدين بالخلود في الجنة ونعيمها. فلكراهيتهم لما أنزل الله تعالى في كتابه أحبط الله أعمالهم وأبطلها فلم ينتفعوا منها بشيء. فلا دولة عز وطهر وسعادة يقيمون، ولا حياة فيها يخلدون، ولا جزاء حسناً في الآخرة به يتنعمون ويسعدون. وإنما خسران بعد خسران وشقاء بعد شقاء، وهذا جزاء الكافرين، والعياذ بالله رب العالمين.

وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين

---

(١) أي إخبار فيه معنى الدعاء عليهم.

النداء الثامن والستون

في وجوب طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ والتحذير من إبطال الأعمال الصالحة

الآيتان (٣٣، ٣٤) من سورة محمد ﷺ

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾﴾.

الشــرح:

اعلم أيها القارئ الكريم أن طاعة الله وطاعة رسوله عليها مدار السعادة في الدنيا والآخرة، لذا نادى الله جلّ جلاله عباده المؤمنين به وبلقائه ليأمرهم بطاعته وطاعة رسوله ﷺ لعلمه تعالى أن السعادة في طاعته وطاعة رسوله، وأن الشقاء في معصية الله ومعصية رسوله، وهو تعالى يحب أولياءه وهم المؤمنون بما أمرهم أن يأمنوا به، والمتقون له بترك معاصيه. فبحبه لهم أمرهم بالطاعة الموجبة للسعادة حتى يسعدوا ولا يشقوا، فله الحمد وله المنة.

ناداهم قائلاً: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ أي يا من آمنتم بي رباً وإلهاً وبديني الإسلام ديناً حقاً لا دين ينفع ويجدي سواه، وبنبيِّي محمد نبياً خاتماً ورسولاً عاماً ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ﴾ ربكم وإلهكم ووليكم فيما يأمركم به وينهاكم عنه ﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ نبيكم ورسولكم في كل ما يأمركم به وينهاكم عنه، فإن هذه الطاعة التي أمرتم بها هي سبيل نجاتكم، وسلم رقيكم وسعادتكم فلا تحرموا أنفسكم من سعادة الدارين. ولنعلم أن هذا الأمر بالطاعة لله ورسوله هو من باب الزموا طاعة الله ورسوله واثبتوا عليها؛ لأنهم بإيمانهم مطيعون. وقوله تعالى لهم: ﴿وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ يؤكد أن الأمر بالطاعة هنا معناه الثبات عليها وعدم التهاون فيها. وإبطال الأعمال الصالحة يكون بأمور أظهرها وأقواها الشرك والردة عن الإسلام، ثم الرياء وهي أن يعمل المرء عملاً صالحاً فيُرائي به غير الله من أجل أن يشكر عليه، أو من أجل أن يدفع عنه المذمة أو اللوم والعتاب. كما أن الصدقات تُبطل بالمن لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٤]،

والمن هو ذكر الصدقة للمتصدق عليه وتكرار ذلك عليه، **والأذى** قد يكون بلوم المتصدق عليه أو تعييره بقبح أو لفظ سيئ. ومن مبطلات العمل: ارتكاب كبائر الإثم والفواحش. ومعنى إبطالها هنا أن السيئات إذا غشت النفس وأحاطت بالقلب حجبت نور تلك الصالحات ذات الحسنات السابقة ولم يبق لها نور في النفس. فقد روي عن الحسن البصري وعن الزهري أن إحباط الأعمال الصالحة يكون بكبائر الذنوب إذ قالا: لا تبطلوا أعمالكم بالمعاصي. وليس معنى إبطالها إحباطها، فإحباط العمل لا يكون إلا بالشرك والكفر، لقوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥] وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَـٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٥] ﴿وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَـٰلَكُمْ﴾ على أنه من دخل في عبادة ينبغي أن يتمها ولا يخرج منها نافلة كانت أو فريضة. فمن دخل في صلاة نافلة فليتمها، ومن شرع في طواف فليتمه، ومن دخل في صيام فليتمه، ومن أحرم بحج أو عمرة فليتمها، ومن ائتم بإمام فليتم صلاته ولا يخرج عنه، لكنه لا على سبيل الإلزام والوجوب بل على سبيل الندب والاستحباب. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أي بالله ورسوله ﴿وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي عن الإسلام، والدخول فيه بأي سبب من الأسباب، ﴿ثُمَّ مَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ أي لم يتوبوا حتى ماتوا، فهؤلاء حكم الله تعالى بعدم المغفرة لهم إذ قال عزّ من قائل: ﴿فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ أي كفرهم وصدهم عن سبيل الله، ولو كانوا قبل كفرهم وصدهم فعلوا كل بر وخير وعبدوا الله بكل ما شرع من أنواع العبادات؛ لأن موتهم على أكبر إثم وأقبح جريمة، وهما الكفر بالله ولقائه وشرعه وصدهم غيرهم بوسائل الصد عن سبيل الله، فقد تكون الوسائل قتالاً وضرباً وتجريحاً وقد تكون طعناً في الدين وتحريفاً له، وتقبيحاً فيه حتى يصرفوا الناس عنه. ويدخل في هذا الوعيد بدون شك اليهود والنصارى، إذ حملوا راية الصد عن الإسلام والصرف عنه وبذلوا أموالاً وجهوداً لا حد لها. والعياذ بالله فمن مات منهم على ذلك فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين.

وسبحان ربك رب العزة عما يصفون.

وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين

النداء التاسع والستون

في حرمة تقديم الرأي عن الكتاب والسنة ووجوب تقوى الله عزّ وجلّ

الآية (١) من سورة الحجرات

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ١﴾.

الشـــرح:

لا تنس أيها القارئ الكريم لنداءات الرحمن الرحيم أن الله تبارك وتعالى ينادي المؤمنين بعنوان الإيمان؛ لأن المؤمن حيي بإيمانه يسمع ويفهم، وإذا أمر أطاع ففعل ما أمر به، وإذا نهي انتهى عن فعل ما نُهي عنه. وإن حياته هذه سببها إيمانه بالله تعالى وبلقائه، واذكر أن لهذا النداء سبباً نزل به وهو كما رواه البخاري رحمة الله تعالى عليه: أن وفداً من بني تميم قدم على رسول الله ﷺ فقال أبو بكر رضي الله عنه لرسول الله ﷺ: أمّر القعقاع بن معبد، وقال عمر رضي الله عنه: أمّر الأقرع بن حابس، فقال أبو بكر لعمر: ما أردت إلا خلافي، فقال عمر: ما أردت خلافك فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما فنزلت: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ . . . إلخ﴾ أي يا من آمنتم بالله رباً وإلهاً لا رب غيره ولا إله سواه، وبالإسلام شرعاً وديناً لا يقبل شرع ولا دين سواه ﴿لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ أي لا قولاً ولا عملاً، ولا رأياً ولا فكراً بمعنى: لا تقولوا ولا تعملوا إلا تبعاً لما قال الله ورسوله، وشرع الله ورسوله ﷺ، وذلك لأنه من غير الأدب أن يقدم العبد رأيه، وما يراه على ما يراه ويقوله سيده. ومما يوضح هذه الحقيقة ويُجَلِّيها للأفهام قصة معاذ بن جبل رضي الله عنه حين بعثه رسول الله ﷺ إلى اليمن، فإنه سأله قائلاً: «**بم تحكم يا معاذ؟ قال رضي الله عنه: بكتاب الله تعالى فقال ﷺ: فإن لم تجد أي في كتاب الله تعالى؟ قال: بسنة رسول الله ﷺ قال: فإن لم تجد أي في سنة رسول الله ﷺ؟ قال رضي الله عنه: أجتهد برأيي. فضرب رسول الله ﷺ في صدره أي صدر معاذ رضي الله عنه وقال: الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله ﷺ لما يُرضي رسول الله**». ومن هذا الحديث الجليل الذي رواه أحمد

وأبو داود والترمذي وابن ماجه رحمهم الله أجمعين. ومنه استخرج علماء الشريعة رحمهم الله تعالى من سلف هذه الأمة القاعدة الآتية: **«لا يحل لمؤمن القدوم على أمر حتى يعلم حكم الله فيه»**.

وهذه القاعدة تحث المؤمنين على طلب العلم؛ إذ لو أخذ بها المسلمون لما بقي فيهم ولا بينهم جاهل بحكم الله ورسوله في كل قضايا الحياة، ولكان للكتاب والسنة شأن عظيم بينهم لقوله تعالى: ﴿لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾. لا قولاً ولا عملاً ولا رأياً ولا فهماً أو ذوقاً كما يقولون حتى يعرض ما أراده على الكتاب والسنة، فإن وجد طلبه فذاك وإلا سأل أهل العلم حتى يعلم الحكم بالمنع أو بالجواز. فيصبح على بينة من أمره وكيف والله تعالى يقول: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧]، فالمؤمن إن كان عالماً عمل بما علم وإلا سأل أهل العلم حتى يعلم فيعمل بما علم. والعالم إذا سُئل يجب أن يُعلم السائل ما سأل عنه، وبهذا لا يبقى بين المؤمنين جاهل ولا جاهلة. إلا أن يوجد المرء في بلد لا عالم فيه فحينئذ يجب أن يسافر إلى بلد فيه العالم حتى يسأل ولو كان في أقصى الشرق أو الغرب، أو يهاجر من بلد لا عالم فيه؛ إذ لا يمكنه أن يعبد الله تعالى بلا علم. ولو عرف المسلمون هذه الحقيقة لما أصبحوا جهلاء ضلالاً إلا من رحم الله تعالى منهم. ألا فاذكر هذا أيها القارئ أو المستمع.

وقوله تعالى في ختام النداء ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ أمر بتقوى الله عزّ وجلّ وهي الخوف منه الحامل للعبد على طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ. ومن جملة ما تدل عليه هذه الجملة ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ الالتزام بمبدأ: ﴿لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ أي سميع لأقوالكم عليم بأفعالكم. ألا فاتقوه حق تقاته بأن لا تخرجوا عن طاعته في المنشط والمكره، والعسر واليسر في حدود الطاقة البشرية، إذ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين

النداء السبعون

في وجوب الأدب مع رسول الله ﷺ حتى لا يتعرض المؤمن لبطلان عمله فيهلك

الآيتان (٢، ٣) من سورة الحجرات

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾﴾.

الشــرح:

اعلم أيها القارئ الكريم أن سبب نزول هذا النداء هو سبب نزول النداء الذي قبله، وهو ما حدث بين الشيخين رضي الله عنهما، حيث تنازعا على أمر تعيين إمارة وفد بني تميم؛ إذ رأى أبو بكر تعيين القعقاع بن معبد، ورأى عمر تعيين الأقرع بن حابس، فاختلفا وتنازعا حتى ارتفعت أصواتهما فوق صوت رسول الله ﷺ، ففي هذا النداء الإلهي العظيم ينهى الله تبارك وتعالى عباده المؤمنين عن رفع أصواتهم أمام رسول الله ﷺ، وفوق صوت رسول الله ﷺ إذا تحدثوا معه، وهذا الأدب واجب مع رسول الله ﷺ بهذه الآية الكريمة وهو أدب ينبغي للمؤمن أن يتحلى به، لأن رفع الصوت بلا حاجة من سوء الآداب وهبوط الأخلاق، واذكر قول لقمان لابنه وهو يعظه إذ قال له: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾ [لقمان: ١٦ ـ ١٩].

فلنتأمل هذه الوصية اللقمانية الربانية فإنها اشتملت على مكارم الأخلاق وأشرف الآداب، بعد أوجب الواجبات: إنها مراقبة الله، والخوف منه، والحياء إذ لا يَعْزُب عنه مثقال ذرة من أقوالنا وأعمالنا، والأمر بإقام الصلاة، والأمر بالمعروف والنهي عن

المنكر، والصبر على الأذى في ذلك، وحرمة الكبر والتكبر على الناس، والاختيال في المشي وإظهار المرح والزهو بين المؤمنين، ثم الاقتصاد في المشي وهو أنه يسرع في مشيه بقدر الحاجة التي هو ذاهب إليها، وأخيراً خفض الصوت وغضه حتى لا يرفع صوته إلا بقدر ما يسمع من يخاطبه، هذا مع عامة الناس، أما مع الوالدين والمربين والمعلمين فهو من أوجب الواجبات.

هذا واذكر قصة ثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه، فقد روى الإمام أحمد بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ . . .﴾ الآية إلى قوله: ﴿وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾. وكان ثابت بن قيس بن شماس رفيع الصوت أي إذا تكلم، فقال: أنا الذي كنت أرفع صوتي فوق صوت رسول الله ﷺ أنا من أهل النار، حبط عملي، وجلس في أهله حزيناً، ففقده رسول الله ﷺ، فانطلق بعض القوم، فقالوا له تفقدك رسول الله ﷺ ما لك؟ قال: أنا الذي أرفع صوتي فوق صوت النبي ﷺ، وأجهر له بالقول فحبط عملي، أنا من أهل النار، فأتوا النبي ﷺ فأخبروه بما قال فقال ﷺ: لا، هو من أهل الجنة، قال أنس فكنا نراه يمشي بين أظهرنا ونحن نعلم أنه من أهل الجنة، واستشهد رضي الله عنه يوم اليمامة.

ولنعلم أيها القارئ والمستمع أن رفع الصوت بقرب رسول الله ﷺ في مسجده، أو قريباً من حجرته الشريفة فيه مكروه لهذه الآية؛ لأن حرمة الرسول ﷺ ميتاً كحرمته حياً، وهذا عمر يطبق هذه القاعدة فيسمع يوماً صوت اثنين مرتفعاً في المسجد، فدعاهما وقرعهما وسألهما من أين أنتما؟ فقالا: من الطائف. فقال لهما: لو كنتما من أهل المدينة لأوجعتكما ضرباً، ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ هذه علة لمنع رفع الصوت مخافة أن يغضب رسول الله فيغضب الله تعالى لغضبه فيعذب من لم يتأدب مع رسول الله، وكون العمل يبطل دال على أن من تعمد إساءة الأدب مع رسول الله ﷺ يكفر بذلك، ولذا يحبط عمله إذ العمل لا يحبط إلا بالشرك والكفر، لقول الله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ. . .﴾ [الزمر: ٦٥] الآية.

ألا فلنحذر إساءة الأدب مع رسول الله ﷺ فإذا تكلمنا عنه أو حدّثنا بحديث يجب أن نكون على غاية من الأدب والاحترام.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ﴾ فهذه بشرى خير عظيمة لمن يتأدب مع رسول الله ﷺ فيغض صوته ولا يرفعه أمام رسول الله ﷺ فإن الله يوسع قلبه ويشرحه ليتسع لتقوى الله عزّ وجلّ ويزيده فيعده بمغفرة ذنوبه والأجر العظيم ألا وهو الجنة دار السلام. اللهم اجعلنا من أهلها وارزقنا الأدب مع رسول الله، اللهم آمين.

وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين

النداء الحادي والسبعون

في وجوب التثبت في الحكم قولاً أو فعلاً وفي بيان أفضلية أصحاب رسول الله ﷺ

الآيات (٦ ـ ٨) من سورة الحجرات

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ٧ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٨﴾ .

الشـــرح:

اعلم أيها القارئ أن هذا النداء الإلهي كان لسبب عجيب، وهو أن النبي ﷺ بعث الوليد بن عقبة بن أبي معيط إلى بني المصطلق ليأتي بزكاة أموالهم، وكان بينهم وبين أسرة الوليد عداء في الجاهلية، فذكره الوليد وهاب أن يدخل عليهم دارهم، وهذا من وساوس الشيطان، فرجع وستر على نفسه الخوف الذي أصابه فذكر أنهم منعوه الزكاة وهمّوا بقتله فهرب منهم، فغضب رسول الله ﷺ وهمّ بغزوهم. وما زال كذلك حتى أتى وفد منهم يسترضي رسول الله ﷺ ويستعتب عنده خوفاً من أن يكون قد بلغه عنهم سوء فأخبروه بأنهم على العهد، وأن الوليد قد رجع من الطريق ولم يصل إليهم، وبعث الرسول ﷺ خالد بن الوليد من جهة فوصل إليهم قبل المغرب فإذا بهم يؤذنون، ويصلُّون المغرب والعشاء فعلم أنهم لم يرتدوا وأنهم على خير والحمد لله. وجاء بالزكاة وأنزل الله تعالى هذه الآيات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ﴾ أي ذو فسق وهو المرتكب لكبيرة من كبائر الذنوب، والنبأ الخبر ذو الشأن، ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ أي تثبتوا قبل أن تقولوا أو تفعلوا أو تحكوا ﴿أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ﴾ أي خشية إصابة قوم بجهالة منكم ﴿فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾ أي فتصبحوا على فعلكم الخاطئ نادمين متأسفين.

وقوله تعالى في الآية الثانية: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ﴾، أي فاحذروا أن تكذبوا أو تقولوا باطلاً فإن الوحي ينزل، وتُفضحوا بكذبكم وباطلكم. وقوله تعالى:

﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾ أي لوقعتم في المشقة الشديدة والإثم أحياناً. وقوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾ فوقاكم بذلك من أن تكذبوا على رسولكم أو تقترحوا عليه أو تفرضوا آراءكم فتؤذوه بذلك. وهذا الله تعالى بتحبيبه الإيمان إلى قلوبكم وتكريهه إليكم الكفر والفسوق والعصيان، وجعلكم من الراشدين، كفاكم بذلك خواطر السوء ورغبات الباطل فلم يبق مجالاً للاقتراحات التي قد تسيء إليكم، وإلى جناب نبيكم ﷺ. وقوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ أي الذين فعل بهم ما فعل من تحبيب الإيمان وتكريه الكفر والفسوق والعصيان إليهم، أولئك هم الراشدون أي السالكون سبيل الرشاد، وهم قطعاً أصحاب رسول الله ﷺ كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وغيرهم وكل من حبّب الله تعالى إليه الإيمان من هذه الأمة وكره إليه الكفر والفسوق والعصيان فهم من الراشدين أي السالكين سبل الرشد المفضي بصاحبه أي سالكه إلى الطهر والصفاء والعز والكرامة في الدنيا، وإلى الجنة ورضا الله في الدار الآخرة.

وقوله تعالى: ﴿فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً﴾ أي هداية من هداهم الله إلى الإيمان والإسلام والإحسان فأحبوا الإيمان والإحسان وكرهوا الكفر والفسوق والعصيان وسلكوا سبيل الرشاد فسعدوا وكملوا، كل هذا قد أفضل الله تعالى به إفضالاً وأنعم به إنعاماً عليهم. ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ أي عليم بهم وبنياتهم وبواعث أنفسهم، حكيم في تدبيره لهم ولغيرهم، فها هو ذا سبحانه وتعالى أَهَّلَ أصحاب رسول الله ﷺ، ومن جاء بعدهم إلى يوم القيامة ممن أحبوا الإيمان وكرهوا الكفر والفسوق والعصيان أهّلهم للخير وأضفاه عليهم، إلا أن أصحاب رسول الله ﷺ أعلى الله تعالى شأنهم وأعظم قدرهم لصحبتهم لرسوله ﷺ. فهم أفضل الأمة على الإطلاق، ولا مطمع لأحد ممن يأتي بعدهم أن يفوقهم في الفضل والكمال لا في الدنيا ولا في الآخرة فرضي الله عنهم وأرضاهم، ورضي عنا معهم آمين.

وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين

النداء الثاني والسبعون

في حرمة السخرية بالمؤمن وحرمة التنابز بالألقاب السيئة

الآية (١١) من سورة الحجرات

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١﴾.

الشـــرح:

اعلم أيها القارئ الكريم والمستمع المستفيد أن هذا النداء والثلاثة التي قبله، والآتي بعده؛ هذه النداءات الخمسة من سورة الحجرات المباركة كلها في تربية المؤمنين وتهذيب أخلاقهم، وتزكية نفوسهم، والسمو بآدابهم، وهم لذلك أهل بإيمانهم بالله ولقائه، والقرآن وأحكامه، والرسول الكريم ﷺ، وهديه وسننه؛ لذا يتعين على المؤمنين قراءة هذه النداءات بعناية، والتدبر فيها وفهم معانيها، والعمل بها رجاء كمالهم وسعادتهم، حقق الله تعالى لنا ذلك ولهم آمين.

والآن مع شرح هذا النداء الرابع من تلك النداءات.

قوله تعالى: ﴿لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ﴾ أي لا يزدري أناس منكم أيها المؤمنون أناساً آخرين منكم أيها المؤمنون ويحتقرونهم؛ فإن ذلك محرم عليكم مغضب الرب تعالى عليكم، وكيف ترضون بغضب ربكم وهو وليكم وأنتم أولياؤه بإيمانكم وتقواكم. وقوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ﴾ أي عند الله تعالى، والعبرة بما عند الله لا بما عند الناس، فلذا من القبح والسوء سخرية مؤمن بمؤمن بازدرائه واحتقاره وهو لا يدري قد يكون من ازدراه وسخر منه خيراً عند الله وأحب إلى الله منه، ألا فلنذكر هذا فإنه في غاية الأهمية حتى لا يرانا الله جلّ جلاله يسخر بعضنا من بعض ونحن أولياؤه المؤمنون به المتقون له.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ﴾ أي ولا يحل لمؤمنة من نساء

المؤمنين أن تزدري مؤمنة أخرى عسى أن تكون خيراً منها عند الله. وفي قوله: ﴿عَسَىٰٓ﴾ إشارة إلى أن من ازدري به من مؤمن أو مؤمنة هو خير عند الله تعالى ممن ازدراه وسخر منه، وكما حرم الله تعالى السخرية بين المؤمنين والمؤمنات لما يفضي إليه من العداوات والمشاحنات والبغضاء وقد يؤول الأمر إلى التقاتل وسفك الدماء. وكيف يرضى المؤمن والمؤمنة بعداوة أخيه وبغضه وسفك دمه والعياذ بالله. حرم كذلك اللمز والتنابز بالألقاب، إذ قال تعالى في هذا النداء: ﴿وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ﴾، ومعنى اللمز: العيب أي لا تعيبوا بعضكم بعضاً فإنكم كفرد واحد. فلا يحل لمؤمن أن يعيب أخاه المؤمن؛ لأن من عاب أخاه المؤمن كأنما عاب نفسه. كما أن المعاب قد يرد العيب بعيب من عابه، وهو معنى ﴿وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾. ومن آثار اللمز وهو العيب ما رُوي عن ابن مسعود رضي الله عنه حيث قال: (البلاء موكّل بالقول. لو سخرت من كلب لخشيت أن أحول كلباً). وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ﴾ أي لا يحل لمؤمن أن يلقب أخاه المؤمن بلقب يكرهه فإن ذلك يفضي إلى العداوة والبغضاء وحتى المقاتلة. وقوله تعالى: ﴿بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ﴾ أي قبح أشد القبح أن يلقب المسلم بلقب الفسق بعد أن أصبح مؤمناً عدلاً كاملاً في أخلاقه وآدابه. لذا فلا يحل لمؤمن أن يقول لأخيه المؤمن: يا فاسق أو يا كافر أو يا فاجر أو يا عاهر أو يا فاسد؛ إذ بئس الاسم اسم الفسوق كما أن الملقب للمؤمن بألقاب السوء يعد فاسقاً. وبئس الاسم له أن يكون فاسقاً بعد إيمانه بالله ولقائه والرسول ﷺ وما جاء به من الحق والعدل والهداية والنور. وقوله تعالى في نهاية هذا النداء: ﴿وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ أي ومن لم يتب من جريمة احتقار المؤمنين وازدرائهم وتلقيبهم بألقاب السوء التي يكرهونها، فأولئك هم الظالمون المتعرضون لغضب الله تعالى وعقابه، والعياذ بالله من غضب الله وعقابه.

ومن الألقاب السيئة التي يجب أن يتحاشاها المؤمن فلا يلقب بها أخاه المؤمن: نحو أنف الناقة، وقرقور، وبطة وكل لقب مكروه وهو ما أشعر بخسة. أما ما لم يشعر بخسة فلا بأس به كحاتم في كرمه وعنترة في بطولته، ومالك في فقهه، وأحمد في صبره وصدقه. فلا بأس بذلك.

ولنذكر دائماً أن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً. فكيف يصح إذاً أن يلمز أخاه ويتنابز معه أو يلقبه بلقب سوء، وهذه مؤدية إلى العدوان والبغضاء. ألَا فَلْنُلْزِمْ أنفسنا قول الحق والصدق مع إخواننا المؤمنين.

وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين

النداء الثالث والسبعون

في وجوب اجتناب كثير من الظن وحرمة التجسس والغيبة ووجوب تقوى الله عزّ وجلّ

الآية (١٢) من سورة الحجرات

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾.

الشــرح:

هذا النداء الخامس من نداءات الرحمن لعباده المؤمنين في سورة الحجرات، وكل هذه النداءات تدور حول إصلاح الفرد المؤمن في المجتمع الإسلامي، إذ الأول دعا المؤمن أن لا يقدم رأيه على الكتاب والسنة بحال من الأحوال لتبقى الشريعة هي الحكم، وإليها التحاكم. فما شرعته فهو الشرع، وما أوجبته فهو الواجب، وما حرمته فهو الحرام. والنداء الأول: قرر الأدب الواجب مع رسول الله ﷺ وأصحابه وعلماء أمته هذا أولاً. والثاني: الأدب سمة من سمات أهل الإيمان، فلا يحل التخلي عنها أبداً، إذ هي ميزة الأمة الإسلامية، والثالث: أوجب التثبت والتروي في إصدار الأحكام في كل قول وحادثة حتى لا يقع الفرد أو الأمة في خطر يزعزع أمنها ويحط من قدرها أو يحملها ما هي في غنى عنه، والرابع: حرَّم السخرية والاستهزاء بالمؤمن، واحتقاره، والانتقاص من كرامته وشرفه كما حرَّم ألقاب السوء المفضية إلى النزاع والقتال بين المؤمنين؛ لأنهم أمة واحدة. وهذا الخامس من النداءات: فقد حرم على المؤمن اجتناب كثير من الظن بإخوانه المؤمنين؛ إذ قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي يا من آمنتم بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً ورسولاً: ﴿ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾، وعلل لذلك الأمر بالاجتناب فقال: ﴿إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾، وما دام بعضه إثماً فليجتنب بالمرة حتى لا يقع المرء المؤمن في الإثم الموجب لغضب الله وعقابه ولم يبق إلا

مجال ضيق جداً وهو أن يظن المؤمن بمن هو أهل للظن بالشر لوجود قرائن من أحواله تدل على ذلك، والرسول ﷺ يقرر هذه الحقيقة فيقول: «**إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث**» . . . الحديث.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ أي لا يتجسس المؤمن على المؤمن بتتبع عوراته ومعايبه بالبحث عنها والاطلاع عليها لما في ذلك من الضرر الكبير. وكالتجسس التحسس، إلا أن التحسس غالباً يكون في الخير والتجسس لا يكون إلا في الشر والأذى، وقد حرم ذلك رسول الله ﷺ في قوله في الصحيح: «**إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تناجشوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً**». فقد اشتمل هذا الحديث على المحرمات الآتية:

١ ـ الظن السيئ بالمؤمنين وخاصة أهل الصلاح منهم.

٢ ـ حرمة التجسس وهو تتبع أحوال المؤمن في الخفاء للاطلاع عليها، لإلحاق الضرر به.

٣ ـ التحسس وهو كالتجسس، إلا أنه تتبع أحوال المؤمن لمعرفة النقص لإكماله، وسد حاجته الضرورية، وما دام تتبعاً في الخفاء فلا ينبغي، وإن أراد شيئاً فليسأل المؤمن: هل لك حاجة؟ أتشكو من شيء؟ إلى غير ذلك ولا يتحسس عليه.

٤ ـ حرمة النجش وهو أن يزيد في بضاعة معروضة للبيع يزيد في الثمن وهو لا يريد شراءها.

٥ ـ حرمة الحسد وهو تمني زوال النعمة عن أخيه لتحصل له، أو لا تحصل له، وإنما يُحرمها المؤمن الذي أنعم الله تعالى عليه بها.

٦ ـ حرمة التباغض، فلا يحل لمؤمن أن يبغض أخاه المؤمن، وإن بغضك أخوك فلا تبغضه.

٧ ـ حرمة التدابر وهو الهجران، وعدم التلاقي والتحدث مع بعضهما بعضاً بحيث كل يعطي ظهره للآخر.

٨ ـ وجوب تحقيق الأخوّة بين المؤمن والمؤمن، وهذا الواجب يتحقق بإسداء المعروف والإحسان، وكف الأذى عن أخيه فلا ظن سوء، ولا تجسس، ولا تحسس، ولا تناجش، ولا تحاسد، ولا تباغض، ولا تدابر. بهذا الفعل والترك تتحقق الأخوة الإيمانية.

وقوله تعالى في هذا النداء: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ أي بأن يذكر المؤمن في غيبته بما يكره أن يذكر به. وقد سُئل رسول الله ﷺ عن الغيبة فقال ﷺ للسائل: «**ذكرك أخاك بما يكره**» قطعاً هذا في حال غيابه عن المجلس فقال السائل: أرأيت إن

كان في أخي ما يكره فقال ﷺ: «**إن كان فيه ما يكره فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما يكره فقد بهته**»، والبهتان أعظم. وهو أسوأ أنواع الغيبة. وقوله تعالى: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾؟ والجواب معلوم هو: لا، لا، قطعاً إذاً، فكما عرض عليكم لحم أخيكم ميتاً فكرهتموه فاكرهوا إذاً أكل لحمه حياً، وهو عرضه، والعرض أعز وأغلى من الجسم، وإليك هذا البيت من الحكمة فاحفظه وتأمله:

فإن أكلوا لحمي وفرت لحومهم   وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجدا

وقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أي في غيبة بعضكم بعضاً، فإن الغيبة من عوامل الدمار والخراب والفساد بين المؤمنين، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾، جملة تعليلية للأمر بالتوبة؛ إذ من اتقى الله خافه وترك الغيبة وتاب. فأعلمهم الله عزّ وجلّ أنه تواب رحيم يقبل توبة من تاب، ويرحمه فلا يعذبه بحال من الأحوال.

فالحمد لله والمنة له، اللهم إنا تائبون إليك فتب علينا وارحمنا آمين.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين

النداء الرابع والسبعون

في وجوب تقوى الله والإيمان برسول الله محمد ﷺ وبيان الجزاء على ذلك

الآية (٢٨) من سورة الحديد

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾.

الشـــرح:

اعلم أيها القارئ الكريم أن هذا النداء الإلهي موجه إلى مؤمني أهل الكتاب من يهود ونصارى المدعين للإيمان، الزاعمين أنهم مؤمنون بالله ولقائه. ناداهم بعنوان الإيمان؛ لأنهم زعموا أنهم مؤمنون وليسوا في حاجة إلى إيمان جديد يأتي من طريق محمد ﷺ. فأمرهم تعالى بتقواه؛ إذ المؤمن بالله حق الإيمان يتقي الله أي يخافه ويرهبه فيطيعه في أوامره بفعلها وفي نواهيه بتركها. ثم أمرهم بالإيمان برسوله محمد ﷺ، إذ هم به كافرون جاحدون غير معترفين بنبوته ورسالته العامة للناس كافة، فلذا أمرهم بالإيمان به نبياً ورسولاً. ثم وعدهم إن هم آمنوا حق الإيمان فحملهم ذلك على طاعة الله ورسوله في الأمر والنهي، وعدهم بأنه يؤتيهم أي يعطيهم كفلين أي نصيبين من رحمته ومثوبته لعباده المؤمنين، وذلك أن نصيباً وحظاً من أجل إيمانهم بالأنبياء السابقين كموسى وعيسى عليهما السلام وغيرهما كإبراهيم ونوح وإسحاق ويعقوب ويوسف وداود عليهم السلام. ويجعل لهم نوراً يمشون به في الدنيا وهو الهداية الإسلامية، إذ الإسلام صراط مستقيم سالكه لا يضل ولا يشقى. ويمشون في الآخرة على الصراط إلى الجنة دار السلام. وهو معنى قوله تعالى في النداء: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾، وشيء آخر هو أنه يغفر لهم ذنوبهم الماضية التي قبل الدخول في الإسلام، والحاضرة التي من الجائز أن يغشى المؤمن ذنباً من الذنوب وبالتوبة والاستغفار يغفر له، وإن لم يتب منه فإنه يغفر له يوم القيامة أو يؤاخذ به فيعذب في النار ويخرج منها بإيمانه وصالح أعماله.

وقوله تعالى في ختام النداء ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، فهو إذاً سينجز لكم ما وعدكم من مغفرة ذنوبكم الماضية والحاضرة ويرحمكم في الدنيا والآخرة؛ لأنه تعالى غفور لذنوب عباده إن تابوا إليه، رحيم بهم لا يعذبهم بدون ذنب اقترفوه، ولا سوء عملوه. ويشهد لصحته أن الكتابي إذا آمن بالرسول محمد ﷺ ودخل في الإسلام يعطى أجره مضاعفاً، وهو معنى ﴿كِفْلَيْنِ﴾ أي حظين، لقول الرسول ﷺ في الصحيح: «**ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين، رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بي فله أجران، وعبد مملوك أدّى حق الله وحق مواليه فله أجران، ورجل أدَّب أَمَتَهُ فأحسن تأديبها ثم أعتقها وتزوجها فله أجران**».

وهناك أيها القارئ الكريم تفسير لهذه الآية، وهو أنها لنا نحن المؤمنين من عرب وعجم ومن مشركين وأهل كتاب، فهي لكل مؤمن ومؤمنة بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً. إذاً فالنداء بعنوان الإيمان كغيره من نداءات الرحمن جميعها لأمة محمد ﷺ إذ روي أن سعيد بن جبير قال لما افتخر أهل الكتاب بأنهم يؤتون أجرهم مرتين أنزل الله تعالى هذه الآية في حق هذه الأمة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ﴾ أي نصيبين من رحمته. وزادهم ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ يعني هدى تبصرون به من العمى والجهالة ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ ففضلهم بالنور والمغفرة. رواه ابن جرير. ومما يرجح هذا التفسير قوله تعالى بعد نهاية الآية: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾، واللام في لئلا صلة لتقوية الكلام، لذا قرأها ابن مسعود لكي يعلم. وهي قراءة بالمعنى لا غير.. إذ قوله تعالى: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ... إلخ﴾، كأنه قال: أعطينا عبادنا المؤمنين الصادقين من غير أهل الكتاب هذا الذي أعطيناهم من مضاعفة الأجر والنور يمشون به ليعلم أهل الكتاب المتبجحون أنهم لا يقدرون على منع شيء من فضل الله على أحد أراد الله إعطاءه إياه، فلنذكر هذا فإنه علم عظيم زادنا الله وإياكم منه.

وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين

النداء الخامس والسبعون

في حرمة التناجي بالإثم والعدوان ومعصية الرسول والإذن في التناجي بالبر والتقوى

الآيتان (٩ ، ١٠) من سورة المجادلة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيۡتُمۡ فَلَا تَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ لِيَحۡزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيۡسَ بِضَآرِّهِمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ .

الشـــرح:

نادى الله تبارك وتعالى عباده المؤمنين بقوله عزّ وجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾، لأن المؤمن بحق حيّ يسمع النداء ويعي ما يُقال له، وذلك لكمال حياته. ناداهم ليُربّيهم روحياً، ويهذبهم أخلاقياً. وكيف لا، وهو مولاهم ووليهم، وهم عبيده وأولياؤه. فقال لهم: ﴿إِذَا تَنَٰجَيۡتُمۡ﴾ لأمر استدعى ذلك منكم، ﴿فَلَا تَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ﴾ حتى لا تكون حالكم كحال اليهود والمنافقين الذين يتناجون بالإثم أي بما هو إثم في نفسه، كما يتناجون بما هو عدوان على الرسول ﷺ وعلى أصحابه، ومعصية لله والرسول؛ إذ كانوا يتواصون فيما بينهم بعدم طاعة الله والرسول؛ لذا نهى تعالى أولياءه المؤمنين أن يتناجوا ﴿بِٱلۡإِثۡمِ﴾ وهو الغيبة وبذاء القول وسيئه، ﴿وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾ وهو الظلم، ﴿وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ﴾ أي بعدم طاعته في بعض ما يأمر به أو ينهى عنه. فقال عزّ وجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيۡتُمۡ﴾ أي إذا استدعى الأمر مفاجأة بعضكم لبعض فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول كما هي حال أعدائكم من اليهود والمنافقين. إذ نزل فيهم قرآن وهو قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُواْ عَنِ ٱلنَّجۡوَىٰ﴾ [المجادلة: ٨]، وهي المسارة الكلامية، ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَيَتَنَٰجَوۡنَ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ. . .﴾ الآيات، ثم بعد أن نهى الله تعالى المؤمنين عن المناجاة المشابهة لمناجاة اليهود والمنافقين. أذن لهم في التناجي بما هو خير وطاعة لله ورسوله ﷺ فقال لهم: ﴿وَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡبِرِّ﴾ الذي هو الخير بمعناه العام حيث لا إثم فيه ولا شر والتقوى التي هي طاعة الله

ورسوله ﷺ في أمرهما ونهيهما. ثم أمرهم عزّ وجلّ بتقواه فقال: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ مشيراً إلى موجبها وهو كونهم يحشرون إليه يوم القيامة فيحاسبهم ويجزيهم بأعمالهم، لذا هم في حاجة إلى تقواه عزّ وجلّ بطاعته وطاعة رسوله ﷺ لينجوا ويفوزوا يوم القيامة، ينجوا من النار ويفوزوا بدخول الجنة.

ولنستمع إلى حديث أحمد ـ رحمه الله ـ عن ابن عمر رضي الله عنهما فإنه يقرر ما تقدم ويوضحه أيما توضيح. قال: حدّثنا بهز وعفان قالا: أخبرنا همام عن قتادة عن صفوان بن مُحرز قال: آخذاً بيد ابن عمر، إذ عرض له رجل فقال: كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى يوم القيامة؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله يُدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره من الناس ويقرره بذنوبه، ويقول له: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه قد هلك قال: فإني قد سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم، ثم يعطى كتاب حسناته، وأما الكفار والمنافقون فيقول الأشهاد: هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين**».

وقوله تعالى في هذا النداء ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ أي هو الدافع إليها والحامل عليها من أجل أن يوقع المؤمنين في الغم والحزن، ومن هنا نهى رسول الله ﷺ عن التناجي فقال: «**إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس من أجل أن لا يحزنه ذلك**». وقال ﷺ في حديث ابن عمر في الصحيح: «**إذا كان ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الواحد**»، وعلى هذا أكثر أهل السلف وعلماء الخلف، فلا يجوز أن يتناجى اثنان دون الثالث ولا ثلاثة دون الرابع، ولا خمسة دون السادس لما يوجده ذلك من غم وحزن وخوف للمؤمن الذين تناجى إخوانه دونه وهم في مجلس واحد، وليس هذا خاصاً بحالة حرب أو خوف، بل هو عام في سائر الظروف والأحوال، وفي القرآن الكريم يقول تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤] حينئذٍ تجوز المناجاة لأنها في الصالح العام.

وقوله تعالى في نهاية النداء: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ أي هو الحامل عليها لإيجاد أذى بين المؤمنين ﴿وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾. أي فلا ينبغي للمؤمن أن يغتم أو يحزن من المناجاة إذا حصلت من يهودي، أو منافق، فضلاً عن أن تكون من مؤمن. وليتوكل على الله ويفوض أمره إليه فإنه وليه وحافظه من كل ما يؤذيه أو يُسيء إليه.

والعاقبة للمتقين وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين

النداء السادس والسبعون

في وجوب التفسح في المجالس إذا أُمر المؤمن بذلك ووجوب القيام من المجلس إذا أُمر كذلك وذلك لصالح الدعوة

الآية (١١) من سورة المجادلة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿١١﴾ ﴾.

الشـــرح:

اعلم أيها القارئ الكريم أن هذا النداء الإلهي هو كالنداء الذي سبقه إذ هو في تربية المؤمنين وتهذيبهم، ليكملوا ويسعدوا في الدارين، فها هو ذا تعالى يناديهم بقوله الكريم الرحيم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ أي يا من آمنتم بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً ورسولاً، فأصبحتم أحياء كاملين ذوي قدرة على السمع والطاعة ﴿ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ ﴾، أي إذا قال الرسول ﷺ، وهو مربيكم ومعلمكم ومهذبكم أخلاقاً وآداباً، أو غيره من مربيكم ومعلميكم ومهذبيكم من علمائكم وولاة أموركم. إذا قال لكم تفسحوا في المجلس أي توسعوا ليجد غيركم مكاناً بينكم فتوسعوا، ولا تبخلوا بالقرب من الرسول ﷺ، أو من العالم المربي، أو المذكر الذي يذكركم وعظاً لكم وتذكيراً بما ينفعكم في دنياكم وأخراكم، واعلموا أنكم إذا تفسحتم أو توسعتم عندما طلب منكم ذلك فإن الله تعالى يكافئكم فيوسع عليكم في الدنيا بسعة الرزق وفي البرزخ في القبر، وفي الآخرة بغرفات الجنان، إذ بهذا وعدكم الله ربكم بقوله: ﴿ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ ﴾. هذا أمر ووعد من الله تعالى فاغتنموه أيها المؤمنون الصادقون. ولا يفوتن الظن والبخل بالمجلس القريب من الرسول ﷺ والعالم أو الوالي عليكم ما وعدكم الله تعالى به من التوسعة في الرزق والقبر والجنة دار السلام.

وقوله تعالى في هذا النداء: ﴿وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾. فهو أمر ووعد أيضاً، ومن امتثل الأمر فاز بالوعد الإلهي الكريم. أما الأمر فهو ﴿وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ﴾ ومعناه إذا قال الرسول ﷺ أيام حياته أو قال من دونه بعد وفاته من عالم مرب أو واعظ مذكر أو أمير حافظ للأمن والطهر للمؤمنين إذا قال لك انشز أي ارتفع من مكانك أي قم منه ليجلس مؤمن لحاجة تدعو إلى جلوسه لما في ذلك من مصلحة الدعوة الإسلامية أو قال: قم للصلاة، أو للجهاد أو لفعل بر وخير فقم لأمر الله تعالى بذلك، إذ قال لنا: ﴿وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ﴾ أي ارتفعوا وقوموا هذا أمر الله جلّ جلاله. وأما وعده الكريم فهو قوله: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ﴾ أي درجات بالنصر والذكر الحسن في الدنيا، وفي غرف الجنة في الآخرة. ويرفع الذين أوتوا العلم منكم أيها المؤمنون درجات عالية لجمعهم بين الإيمان والعلم والعمل. ومما يدل على أن رفع الذين أوتوا العلم درجات لعلمهم وعملهم بعد إيمانهم قول عمر رضي الله عنه في القصة الآتية وهي أن عمر رضي الله عنه قد استخلف على مكة نافع بن عبد الحارث فلقيه يوماً بعسفان فقال له: من استخلفت على أهل الوادي؟ (أي مكة) قال: استخلفت عليهم ابن أبزى رجل من موالينا فقال عمر: استخلفت عليهم مولى؟ فقال: يا أمير المؤمنين إنه قارئ لكتاب الله تعالى عالم بالفرائض قاص. أي محدث واعظ. فقال عمر رضي الله عنه: أما إن نبيكم ﷺ قد قال: «**إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين**» رواه مسلم. هذا ولنعلم أن القيام من المجلس بدون حاجة كما تقدم لا يجوز كما لا يجوز أن يقيم الرجل الرجل من مجلسه ليجلس فيه، لقول الرسول ﷺ: «**لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه فيجلس فيه، ولكن تفسحوا وتوسعوا**» وقال ﷺ: «**لا يُقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن افسحوا يفسح الله لكم**». ولنعلم أنه يجوز للمؤمن باختياره وبدون إكراه أن يقوم لذي علم أو كبر سن ويجلسه في مجلسه ولا حرج على الاثنين. كما أن الأمي إذا كان وراء الإمام في الصلاة وجاء ذو علم ونهى فإن على الأمي أن يتأخر ويقوم العالم مقامه، لقول الرسول ﷺ: «**ليليني منكم أولو الأحلام والنُهى**»(١) ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم.

وقوله تعالى في ختام النداء: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾. إنه يذكرهم بعلمه بهم في جميع أحوالهم ليراقبوه فيلزموا طاعته وطاعة رسوله، ويحافظوا على تقواه ليحفظوا ولايته تعالى لهم فيأمنوا من الخوف والحزن في الدارين. حقق الله تعالى لنا ذلك آمين.

وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين

---

(١) رواه مسلم.

النداء السابع والسبعون

في بيان حكم مناجاة الرسول ﷺ وتقديم صدقة قبلها ونسخ ذلك تخفيفاً، ووجوب إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الله ورسوله ﷺ

الآيتان (١٢، ١٣) من سورة المجادلة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٢) أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٣)﴾.

الشـــرح:

اعلم أيها القارئ الكريم أن هذا النداء الإلهي كان يحمل حكماً شرعياً، وهو أن من أراد من أصحاب رسول الله ﷺ أن يخلو بالرسول ﷺ ليناجيه سراً دون غيره، وجب عليه أن يتصدق بصدقة على فقير ثم يتفضل فيناجي الرسول ﷺ بعدها، إلا أنهم لظروف الحرب والاحتياج الشديد ما أقدموا على هذا المطلوب. كما شعروا أن هذا كان من باب تأديبهم وتربيتهم، إذ رغبة كل واحد في مناجاة الرسول تحقيقها أمر صعب، وأصعب منه ما يعانيه الرسول ﷺ، من تعب ومضايقة، فلما كفوا عن طلب الخلوة بالرسول ﷺ، نسخ الله هذا الحكم وأذن لهم في المناجاة عند الحاجة إليها، وبدون تقديم صدقة بين يدي المناجاة. ولم يثبت أن أحداً من الصحابة قدم صدقة، ثم ناجى إلا علي رضي الله عنه، إذ قال عنه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: لقد كان لعلي رضي الله عنه ثلاث لو كانت لي واحدة منهن كانت أحب إليّ من حُمر النعم: تزويجه فاطمة، وإعطاؤه الراية يوم خيبر، وآية النجوى.

وإليك شرح الآيتين اللتين حواهما هذا النداء الرحيم، قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي يا من آمنتم بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ورسولاً ﴿إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ﴾ أي إذا أردتم مناجاته ﴿فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً﴾ أمرهم تعالى إذا أراد أحدهم أن

يناجي رسول الله ﷺ ويكلمه وحده أن يقدم صدقة أولاً، ثم يطلب المناجاة. وكان هذا الأمر لصالح الفقراء أولاً ثم للتخفيف عن رسول الله ﷺ؛ إذ كل مؤمن يود أن يخلو برسول الله ﷺ ويقرب منه ويكلمه. والرسول بشر لا يتسع لكل أحد. فشرع الله تعالى هذه الصدقة فأفهَمَهُم أنه يريد التخفيف عن رسوله ﷺ. فلما فهموا ذلك وعلموه وتحرجوا من بذل الصدقة، وكان أكثرهم فقراء لا يجدون ما يتصدقون به، نسخ الله تعالى ذلك، ولم تدم مدة الوجوب أكثر من ليالٍ ونسخها تعالى.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ أي تقديم الصدقة بين يدي المناجاة خير لكم حيث تعود الصدقة على الفقراء إخوانكم، وأطهر لنفوسكم، لأن النفس تزكو وتطهر بالعمل الصالح، وقوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا﴾ أي ما تقدمونه صدقة قبل المناجاة فناجوه ﷺ، ولا حرج عليكم، وذلك لعدم وجود ما تتصدقون به، ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ لكم ﴿رَّحِيمٌ﴾ بكم.

وقوله تعالى: ﴿أَأَشْفَقْتُمْ﴾ أي خفتم الفاقة والفقر على أنفسكم إن أنتم أُلزمتم بالصدقة بين يدي كل مناجاة، وعليه ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ برفع هذا الواجب ونسخه، والرجوع بكم إلى عهد ما قبل وجوب الصدقة بين يدي مناجاة الرسول ﷺ ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ أي بأدائها، مستوفاة الشروط، والأركان، والسنن، والواجبات، وفي بيوت الله مع جماعة المسلمين، ﴿وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ الواجبة في أموالكم، وما فيه زكاة أنفسكم وطهارتها من سائر العبادات المزكية للنفس المطهرة للروح. هذا أولاً.

وثانياً: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ ﷺ في الأمر والنهي ما دام الأمر للوجوب والنهي للتحريم. فيكفيكم أداء هذه الواجبات عن الصدقة بين يدي المناجاة التي نسخها الله تعالى تخفيفاً عليكم أيها المؤمنون ورحمة بكم لأنكم أولياؤه وهو وليكم ومولاكم، وقوله: ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ وعليه فراقبوه، فلا تفرطوا في طاعته وطاعة رسوله فإنكم تفلحون بالفوز بالجنة والنجاة من النار.

هذا وإليك أيها القارئ فائدة علمية وهي أن تعلم أن النسخ ثابت في الكتاب والسنة أما الكتاب فقد قال تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا﴾ [البقرة: ١٠٦] وأما السنة فقد قال الرسول ﷺ: «**كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها لأنها تذكركم الآخرة**».

ومن هنا كان الواجب على العالم المذكر أن يعرف الناسخ والمنسوخ من الكتاب والسنة. وهذا علي رضي الله عنه قد أرسل إلى رجل كان يخوِّف الناس في المسجد فجاءه فقال له: أتعرف الناسخ من المنسوخ؟ فقال: لا. قال: فاخرج من مسجدنا ولا تذكر فيه. وروي عن ابن عباس مثله وقال للمذكر: هلكت وأهلكت.

فلنذكر هذا ولنحمد الله ونصلِّ ونسلِّم على رسوله وآله وصحابته أجمعين.

وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين

النداء الثامن والسبعون

في وجوب تقوى الله عز وجل والتزود للآخرة ووجوب ذكر الله وحرمة نسيانه لما يفضي إليه من الخسران والحرمان

الآيات (١٨ ـ ٢٠) من سورة الحشر

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (١٩) لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ (٢٠)﴾ .

الشـــرح:

اذكر أيها القارئ الكريم والمستمع أن الله تعالى ينادي عباده المؤمنين لإيمانهم؛ إذ بالإيمان هم أحياء يسمعون النداء، ويجيبون المنادي، وها هو ذا تعالى يناديهم بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي يا من آمنتم بالله، ولقائه، والرسول وما جاء به، والكتاب الحكيم، وما فيه ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾ فأمرهم بتقواه عزّ وجلّ، وهي خوف وخشية ورهبة تحمل صاحبها على أداء الفرائض، وترك المحرمات، كما هي في كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، كما تحمله على المسابقة إلى الخيرات والتنافس في الصالحات. أمرهم بالتقوى، ثم أمر كل نفس على حدة أن تنظر فيما قدمت من الصالحات لتثاب عليها يوم القيامة بحسن الثواب وتجزى بخير الجزاء، كما تنظر فيما قدمت من سوء وعمل غير صالح لأنها تجزى به، والمراد من الغد يوم القيامة إذ هو يوم الحساب والجزاء ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (١٦٠)﴾ [الأنعام: ١٦٠]. ثم كرر أمره السامي الحكيم بالتقوى فقال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾. أي خافوه وارهبوه واتقوا عقابه بطاعته وطاعة رسوله ﷺ إذ الطاعة لله والرسول تثمر زكاة نفس المطيع، إذ كل قول وعمل تعبدنا الله تعالى به فعلُه مستوفياً الشروط ينتج الحسنات التي بها تزكو النفس البشرية. وكما أن كل قول أو عمل نهانا الله عنه وأوجب علينا

تركه إن نحن عصيناه وفعلناه خبث نفوسنا ولوثها فتصبح في خبثها كأرواح الشياطين وقوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾، فيه تشجيع على مراقبة الله تعالى والصبر عليها وهي تثمر حسب سنة الله تعالى الإسراع في الطاعة لله ولرسوله بفعل الصالحات وتجنب السيئات، وبذلك تطهر النفس وتزكو وتصبح أهلاً لرضى الله تعالى ومجاورته في الملكوت الأعلى في الجنة دار المتقين.

وقوله تعالى في الآية الثانية من آيات هذا النداء العظيم: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١٩﴾. إنه من رحمة الله تعالى بعباده المؤمنين المتقين، وهم أولياؤه نهاهم عما يضرهم ويسيء إليهم ويعرضهم للشقاء والخسران فقال لهم: ولا تكونوا أيها المؤمنون كأناس تركوا العمل بطاعة الله وطاعة رسوله فعاقبتهم فأنسيتهم أنفسهم. فلم يعملوا لها لتزكو وتطهر وتتأهل لحبّي وجواري في دار كرامتي لأوليائي، وهذا النسيان قائم حسب سنة الله تعالى؛ إذ من نسي الله تعالى فلم يذكره ولم يطعه انغمس في الشهوات وتوغل في الذنوب والمعاصي ففسق بذلك وأصبح في عداد الفاسقين، ومن ثم هو قد نسي نفسه فلم يعمل على تزكيتها وتطهيرها، لأن زكاتها وطهارتها تكونان بعبادة الله بفعل ما أمر به من العبادات وترك ما نهى عنه من الذنوب والمعاصي. وقوله تعالى في ختام النداء: ﴿لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ﴾. فكما لا يستوي أهل الطاعة مع أهل المعصية، ولا أهل الاستقامة على منهج الحق وأهل الانحراف والفسق، لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة؛ إذ أصحاب النار في شقاء وخسران، وأصحاب الجنة في سعادة ورضوان. أصحاب النار في الدركات السفلى من عالم الشقاء وأصحاب الجنة في الفراديس العلا.

وإليك أيها القارئ هذه الكلمات كمذكرة لك لا تنسيك ما قرأت وفهمت وهي:

١ ـ وجوب تقوى الله تعالى بفعل محابه وترك مكارهه.

٢ ـ وجوب مراقبة الله تعالى حتى لا تغفل فتقع في المعصية.

٣ ـ التحذير من نسيان الله تعالى فإنه يفضي بالعبد إلى الفسق والعياذ بالله تعالى.

٤ ـ خطب أبو بكر الصديق خطبة طويلة، إليك منها هذه الكلمات. قال رضي الله عنه: «**لا خير في قول لا يراد به وجه الله، ولا خير في مال لا ينفق في سبيل الله، ولا خير في من يغلب جهلُه حلمَه، ولا خير في من يخاف في الله لومة لائم**». فاذكر هذا وذكِّر به. والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين

النداء التاسع والسبعون

في حرمة اتخاذ الكفرة أحباء يودون وأولياء ينصرون. وإن من يفعل ذلك فقد ضل طريق السعادة والكمال

الآيتان (١، ٢) من سورة الممتحنة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾﴾.

الشـــرح:

اعلم أيها القارئ الكريم أن هذه السورة المدنية قد نزلت لسبب، والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وإليك ما رواه مسلم في سبب نزولها عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: بعثنا رسول الله ﷺ أنا، والزبير والمقداد فقال: «**ائتوا روضة خاخ** ـ موضع بينه وبين المدينة اثنا عشر ميلاً ـ **فإنَّ بها ظعينة** ـ امرأة مسافرة ـ **معها كتاب فخذوه منها**» فانطلقنا نهادي خيلنا أي نسرعها فإذا نحن بامرأة فقلنا: أخرجي الكتاب فقالت: ما معي كتاب. فقلنا: لتُخرِجنّ الكتاب، أو لتلقينّ الثياب (أي من عليك) فأخرجته من عقاصها (أي من ضفائر شعر رأسها) فأتينا به رسول الله ﷺ، فإذا به من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس من المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ. فقال رسول الله: «**يا حاطب ما هذا؟**» فقال: لا تعجل عليّ يا رسول الله إني كنت امرءاً مُلصقاً في قريش أي كان حليفاً لقريش، ولم يكن قرشياً، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ فيهم يداً يحمون بها قرابتي ولم أفعله كفراً ولا ارتداداً عن ديني، ولا رضا بالكفر بعد الإسلام، وقد علمت أن الله ينزل بهم بأسه، وأن كتابي لا يغني عنهم من

الله شيئاً، وأن الله ناصرك عليهم، فقال النبي ﷺ: «**صدقت**». فقال عمر رضي الله عنه: دعني يا رسول الله أضرب عُنُق هذا المنافق، فقال رسول الله ﷺ: «**إنه شهد بدراً، وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**» فأنزل الله عزّ وجلّ قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾. أي من صدقتم الله ورسوله ﴿لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ﴾ أي من الكفار والمشركين ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ أي أنصاراً ﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ أي تصرفون إليهم مودتهم بدون تأمل في آثارها الضارة. والحال أنهم ﴿وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ﴾، الذي هو دين الإسلام بعقائده، وشرائعه، وكتابه، ورسوله ﷺ. ﴿يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾ أي من دياركم بالمضايقة لكم حتى هاجرتم فارين بدينكم ﴿أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ﴾ أي من أجل أن آمنتم بربكم. أمثال هؤلاء الكفرة الظلمة تتخذونهم أولياء تلقون إليهم بالمودة، إنه لخطأ جسيم.

وقوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى﴾ أي إن كنتم خرجتم من دياركم مجاهدين في سبيلي أي لنصرة ديني ورسولي وأوليائي المؤمنين، وطلباً لرضاي فلا تتخذوا الكافرين أولياء من دوني تلقون إليهم بالمودة. وقوله تعالى: ﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ أي تخفون المودة إليهم بنقل أخبار الرسول السرية والحال أني ﴿أَعْلَمُ﴾ أي منكم ومن غيركم ﴿بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ﴾ وهاأنذا قد أطلعت رسولي على رسالتكم المرفوعة إلى مشركي مكة والتي تتضمن فضح سر رسولي في عزمه على غزوهم مفاجأة لهم حتى يتمكن من فتح مكة بدون كثير إراقة دم وإزهاق أرواح، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ﴾ أي الولاء والمودة للمشركين ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي أخطأ وسط الطريق المأمون من الانحراف، يعني جانب الإسلام الصحيح المفضي بالسالكين له السائرين فيه إلى سعادة الدنيا والآخرة معاً.

وقوله تعالى: ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾﴾ يريد تعالى أنهم أعداؤكم حقاً إن يثقفوكم أي يظفروا بكم متمكنين منكم يكونوا لكم أعداء ولا يبالون بمودتكم إياهم، ويبسطوا إليكم أيديهم بالضرب والقتل وألسنتهم بالسب والشتم. وتمنوا كفركم لتعودوا إلى الشرك والكفر مثلهم.

هذا وإليك خلاصة ما دعا إليه هذا النداء الإلهي لتزداد معرفة وقوة على الطاعة والامتثال.

١ ـ حرمة موالاة الكافرين بنصرتهم وتأييدهم وموالاتهم دون المسلمين.

٢ ـ عظم جرم الذي ينقل أسرار المسلمين الحربية إلى أعدائهم الكافرين من يهود أو نصارى وغيرهم، وأنه على خطر عظيم وإن صلى وصام.

٣ ـ بيان أن الكافرين لا يرحمون المؤمنين متى تمكنوا منهم؛ لأن قلوبهم عمياء لا يعرفون معروفاً ولا منكراً، وذلك لظلمة الكفر في نفوسهم بعدم مراقبة الله تعالى؛ لأنهم لا يعرفون ولا يؤمنون بما عنده من نعيم لأوليائه، ولا بما لديه من نكال وعذاب لأعدائه.

٤ ـ بيان فضل أهل بدر رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

٥ ـ مشروعية قبول عذر الصادقين الصالحين إذا عثر أحدهم اجتهاداً منه فأخطأ.

وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين

النداء الثمانون

في بيان حكم المهاجرات من دار الكفر إلى دار الإيمان، وكيفية معاملتهن مع أزواجهن

الآيتان (١٠، ١١) من سورة الممتحنة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُواْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾.

الشــرح:

اعلم أيها القارئ الكريم أن لهذا النداء سبباً نزل به، وهو أن ما تم بين رسول الله ﷺ والمشركين من صلح في الحديبية في السنة السادسة، جاء من بين مواده: أن من جاء إلى رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة من الرجال رده إلى مكة ولو كان مسلماً مهاجراً فاراً بدينه، ومن جاء من المشركين من المدينة لم يردوه إليه ﷺ، ولم ينص في بنود الاتفاقية على النساء. وأثناء ذلك جاءت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط مهاجرة من مكة إلى المدينة فلحق بها أخواها عمار والوليد ليرداها إلى قريش، فنزل هذا النداء الكريم، فلم يردها عليهما النبي ﷺ لخلو هذا من مواد الاتفاقية ـ اتفاقية صلح الحديبية ـ فأنزل الله تعالى قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ أي يا من آمنتم بالله رباً وإلهاً، وبمحمد نبياً ورسولاً، وبالإسلام ديناً وشرعاً حكيماً، ﴿إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ﴾ أي من دار الكفر إلى دار الإسلام ﴿فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ﴾ أي غلب على ظنكم أنهن مؤمنات ﴿فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ﴾. وكيفية الامتحان هي أن يقال لها: احلفي بالله أي قولي بالله الذي لا إله إلا هو ما خرجت إلا رغبة في الإسلام لا بغضاً لزوجي ولا عشقاً لرجل مسلم في هذه البلاد.

وقوله تعالى: ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ وذلك لأن الإسلام فَصَم تلك العصمة التي كانت بين الزوج وزوجته، إذ حرم الله نكاح المشركات وإنكاح المشركين، ولهذا لم يأذن الله تعالى في ردهن إلى أزواجهن الكافرين وقوله تعالى: ﴿وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟﴾ أي إذا جاء زوجها المشرك يطالب بها أعطوه ما أنفق عليها من مهر، والذي يعطيه هو إمام المسلمين أو جماعة المسلمين.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ أي تتزوجوهن ﴿إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ أي مهورهن مع باقي شروط النكاح: وهي الولي فإن لم يكن لها ولي فالقاضي وليها أو ذو الرأي من عشيرتها إذا لم يوجد في البلد قاضٍ شرعي وانقضاء عدتها إذا كانت مدخولاً بها وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾ أي إذا أسلم الرجل وبقيت امرأته مشركة انقطعت عصمة الزوجية بينهما وأصبحت لا تحل لزوجها الذي أسلم. وكذا إذا ارتدت امرأة مسلمة ولحقت بدار الكفر فإن العصمة قد انقطعت بينهما ولا يحل إمساكها، وفائدة ذلك أنها لو كان تحت الرجل نسوة له أن يزيد رابعة لأن التي ارتدت أو التي كانت مشركة وأسلم وهي في عصمته لا تمنعه من أن يتزوج رابعة، لأن الإسلام قطع العصمة وذلك لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ﴾ والعصم جمع عصمة، والعصمة هي المانع من أن تتزوج المرأة زوجاً آخر وهي في عصمة زوجها. وقوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ﴾ أي اطلبوا من المرتدة ما أنفقتم عليها من مهر يؤدى لكم. ﴿وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟﴾ أي وليطلب أي المشركون ما أنفقوا من مهور على أزواجهن اللائي أسلمن وهاجرن إليكم.

وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾. أي فاقبلوه وارضوا به فإنه حكم عادل رحيم.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ أي عليم بخلقه وحاجاتهم، حكيم في قضائه عليهم وقد بينه لهم، فَليُسلّم له الحكم وليُرض به فإنه قائم على أساس المصلحة للجميع.

وقوله تعالى في هذا النداء الكريم ﴿وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟﴾ أي وإن ذهب بعض نسائكم إلى الكفار مرتدات ـ والعياذ بالله ـ وطالبتم بالمهور فلم يعطوكم، ثم غزوتم وغنمتم فأعطوا من الغنيمة قبل قسمتها، أعطوا الذي ذهبت زوجته إلى دار الكفر ولم يحصل على تعويض أعطوه مثل ما أنفق.

وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾ أي خافوا عقابه فأطيعوه في أمره ونهيه ولا تعصوه. وطبقوا هذه الأحكام التي بيّنها لكم في هذا النداء حرفياً لما

في ذلك من العدل والرحمة والخير الكثير، واعلم أيها القارئ ما يلي:

١ ـ وجوب امتحان المهاجرة فإن علم إسلامها فلا يحل إرجاعها إلى زوجها الكافر.

٢ ـ حرمة نكاح المشركة.

٣ ـ لا يجوز الإبقاء على عصمة الزوجة المشركة.

٤ ـ من ذهبت زوجته ولم يرد عليه شيء، ثم غزوتم وغنمتم فأعطوه ما أنفق من مهر من الغنيمة قبل قسمتها، وإن لم تكن غنيمة، فجماعة المسلمين وإمامهم يعطونه.

٥ ـ وجوب تقواه تعالى بتطبيق شرعه وإنفاذ أحكامه والرضا بها.

وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين

النداء الحادي والثمانون

في حرمة موالاة اليهود

الآية (١٣) من سورة الممتحنة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُواْ مِنَ ٱلْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾ ﴾.

الشــرح:

اعلم أيها القارئ الكريم أن هذا النداء الذي ختمت به سورة الممتحنة هو كالنداء الذي افتتحت به، إذ الأول حرم موالاة الكفار والمشركين لأنهم أعداء الله ورسوله والمؤمنين، وحرم في هذا موالاة أهل الكتاب من اليهود والنصارى لأنهم أيضاً أعداء الله ورسوله والمؤمنين. والموالاة المحرمة هي النصرة والمودة، إذ ليس من المعقول ولا المقبول أن شخصاً يعادي ربه الذي خلقه ورزقه وحفظه طوال حياته يعاديه فلا يذكره ولا يشكره، ولا يطيعه في أمر ولا نهي، ويعاكسه شر معاكسة إذ هو يحب كل ما يكره الله تعالى، ويكره كل ما يحب الله تعالى، والعياذ بالله من هذا المخلوق الذي عادى خالقه وتحداه، وحارب رسوله وأولياءه. من هنا كانت موالاة الكفار من الذنب العظيم ولا توجد في قلب مؤمن صادق الإيمان محبة عبد يحاد الله تعالى ورسوله والمؤمنين، واسمع قوله تعالى في هذا الشأن: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ [المجادلة: ٢٢] أي الذين نفى تعالى وجود مودة لكافر في قلوبهم ولو كان أقرب قريب ﴿ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ ﴾ كتابة راسخة ثابتة لا تحول ولا تزول ﴿ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾ أي ببرهان وهدى ونور. ﴿ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ أي منها ولا يموتون فيها. وزيادة في الإنعام عليهم أنه رضي عنهم ورضوا عنه. ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ﴾، لا حزب الشيطان إذ طاعتهم للرحمن وليس للشيطان فيها نصيب.

ثم ختم تعالى على البيان بهذا الإعلان فقال: ﴿ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾. أي

الفائزون بالنجاة من النار ودخول الجنة دار الأبرار، وحزب الشيطان وهم الكفرة والمشركون والفسقة والمجرمون هم الخاسرون حيث يخسرون أنفسهم وأهليهم يوم القيامة. إذ قال تعالى فيهم: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الزمر: ١٥].

والآن مع النداء الإلهي إذ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي يا من آمنتم بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ورسولاً ﴿لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ أي لا تتولوهم بالنصرة والمودة. نهاهم الرب تبارك وتعالى عن موالاة اليهود بصورة خاصة إذ هم الذين غضب الله عليهم، وعلة غضب الله تعالى عليهم هي أنهم عرفوا الحق وأعرضوا عنه، وعرفوا ما حرم الله تعالى وفعلوه وعرفوا الهدى وتركوه واتبعوا الضلال والتزموه، فهذه بعض موجبات غضب الله تعالى عليهم.

وقوله تعالى: ﴿قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ أي من السعادة فيها بدخول الجنة بعد النجاة من النار. ويأسهم سببه ما عرفوه من التوراة والإنجيل من قضاء الله وحكمه فيهم وفي أمثالهم ممن عرفوا الحق وأعرضوا عنه، وعرفوا محاب الله وكرهوها، وعرفوا مساخط الله تعالى وأحبوها وأتوها وفعلوها، فلما غرقوا في خضم الجرائم والموبقات من الشرك والكفر واستباحة محارم الله يومها يئسوا من النجاة من النار ودخول الجنة. وشبه تعالى يأسهم بيأس الكفار من أصحاب القبور، هم الذين كفروا يعني وماتوا على ذلك فإنهم يئسوا من دخول الجنة لأنهم ماتوا على الكفر. وكما يئس أصحاب القبور من العودة إلى الدنيا بعد موتهم وكما يئس أقرباؤهم من عودتهم إلى الحياة بعد موتهم إذ الكل يأس وقنوط. وهؤلاء اليهود المغضوب عليهم يئسوا من سعادة الآخرة بالنجاة من النار ودخول الجنة. كما يئس الكفار من أصحاب القبور. كما بيناه آنفاً فاذكره، واستعذ بالله من غضبه وعقابه.

وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين

النداء الثاني والثمانون

في لوم وعتاب من يقول ولا يفعل وأن ذلك من موجبات مقت الله تعالى للعبد وفي بيان حب الله تعالى للمجاهدين في سبيله الثابتين في المعارك

الآيات (٢ ـ ٤) من سورة الصف

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ۝٤﴾.

الشــــرح:

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢﴾ هذا النداء نزل في جماعة من المؤمنين جلسوا يتحدثون فقالوا: لو نعلم أحب الأعمال إلى الله تعالى لفعلناه، فلما علموه ضعفوا عنه، ولم يعملوا، نظير هذا ما جاء في قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمۡ كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَخۡشَوۡنَ ٱلنَّاسَ كَخَشۡيَةِ ٱللَّهِ أَوۡ أَشَدَّ خَشۡيَةٗۚ﴾ [النساء: ٧٧] أي جبنوا عن القتال وقعدوا عنه. إلا أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، إذ المؤمنون في كل زمان ومكان يوجد بينهم من تكون حاله كحال أولئك الذين نزلت فيهم هذه الآيات، والقرآن كتاب هداية وإصلاح، والمؤمنون في حاجة إلى ذلك في كل عصر ومصر. فقوله تعالى: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ أي لم تعدون ولا توفون، فهذا توبيخ وتقريع لكل من يعد ولا يفي. وقد أعلم الرسول ﷺ أمته أن آية المنافق ثلاث: «**إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان**» فجعل خلف الوعد من علامات النفاق، فلذا كان قوله تعالى: ﴿لِمَ تَقُولُونَ﴾ استفهام معناه التأنيب والتوبيخ. ومثل من يعد ولا يفي أي يخلف ما وعد به من يقول: فعلت وهو لم يفعل أيضاً إذ قوله تعالى: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ يحمل معنى لمَ تقولون: فعلنا وأنتم لم تفعلوا كقول الرجل: قاتلت وهو لم يقاتل،

وطعنت وهو لم يطعن أو أعطيت وهو لم يعط، وقوله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي أن قولكم: نفعل كذا ولم تفعلوا مما يمقت عليه صاحبه أشد المقت أي يبغض أشد البغض والعياذ بالله تعالى من مقته وبغضه وغضبه.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾﴾. فيه إشارة واضحة إلى أن الذين وبخهم بقوله: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾. كانوا قد وعدوا بالجهاد، ثم تخلفوا عنه ولم يفوا بما وعدوا. كما يحمل إشارة أخرى إلى الذين انهزموا يوم أحد وفروا من المعركة. ولما كان تعالى يمقت أشد المقت المخلفين للوعد العظيم ذي الأثر الكبير كالوعد بالجهاد ولم يجاهدوا فإنه تعالى يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً متراصاً لا فرجة فيه حال الزحف كالبنيان المرصوص أي المتلاصق بعضه ببعض لا فرجة فيه ولا خلل بين أجزائه.

ولنستمع إلى الرسول ﷺ وهو يُخبِرُ بضَحِكِ الله تعالى إلى بعض عباده الصالحين فيقول: «**ثلاثة يضحك الله إليهم: الرجل يقوم من الليل، والقوم إذا صفوا للصلاة، والقوم إذا صفوا للقتال**»، وكان بعض السلف يكرهون القتال على الخيل ويستحبون القتال على الأرض لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾﴾، وكان صاحب هذا الحديث وهو أبو بحرية يقول: إذا رأيتموني ألتفت في الصف أي صف القتال فَجؤُوا في لَحْيي[1] وهذا عين ما جاء في حرمة تولي المجاهد عن الصف، وخروجه منه لغير سبب يقتضي ذلك إذ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾﴾ [الأنفال: ١٥، ١٦].

وأخيراً خلاصة هذا النداء ولا ننسه وهي:

١ ـ حرمة الكذب وخلف الوعد، إذ قول القائل: أفعل كذا ولم يفعل، هو كذبٌ وخُلْفُ وَعْدٍ، ولذا كان قوله من المقت الذي هو أشدّ البغض، ومن مقته الله فقد أبغضه أشد البغض وكيف يفلح من مقته الله؟

٢ ـ فضيلة الجهاد في سبيل الله وفضيلة الوحدة والاتفاق. وحرمة الخلاف الممزق للصفوف.

٣ ـ اذكر أن الصف في الصلاة يجب رصه بعدم الفرج فيه وأنه مما يحب الله تعالى فلنطلب ذلك في صفوف الصلاة كما في صفوف الجهاد. والله رؤوف بالعباد.

وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين

---

(١) أي اضربوا، واطعنوا، يقول العرب: وجأ فلاناً يجؤه وجْئاً ووِجاءً. ينظر المعجم الوسيط (ص١٠٢٣) وانظر لسان العرب ١/ ١٨٥.

النداء الثالث والثمانون

في عرض بضاعة أغلى بضاعة إذ هي الجنة وبيان الثمن المحصل لها وهو الإيمان والجهاد

الآيات (١٠ ـ ١٢) من سورة الصف

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٢﴾.

الشـــرح:

اعلم أيها القارئ الكريم أن هذا عرض وترغيب وتشويق إلى ما يذكر بعده كقول المرء للآخر: هل لك في كذا، أو هل لك إلى كذا؟ فالاستفهام في هذا النداء هو هل أَدُلُّكُمْ على تجارة وصفها كذا. . . من هذا الباب وذلك لأنهم قالوا: لو نعلم أحب الأعمال إلى الله لفعلناها. فناداهم الرب تبارك وتعالى قائلاً: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، أي يا من آمنتم بالله ولقائه والقرآن وما فيه والرسول محمد عليه الصلاة والسلام وما جاء به: ﴿هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ وهو عذاب الدنيا من تسلط العدو عليكم وقهركم، ومن الفقر والخوف، ومن عذاب الآخرة وهو النار وبئس المصير. والعذاب هو كل ما يقطع عذوبة الحياة ولذاذتها، والأليم الموجع أشد إيجاع. بعد هذا الترغيب بيّن لهم ما يدفعونه من مال ليستلموا البضاعة، فقال في بيان الثمن المطلوب للحصول على السلعة الغالية: ﴿تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ أي بألوهيته ولقائه ووعده ووعيده، وتؤمنون برسوله وما جاء به ويدعو إليه ﷺ، ﴿وَتُجَٰهِدُونَ﴾ أي أعداء الله تعالى وأعداءكم وهم كل مشرك وكافر يعلن الحرب عليكم، ويعاديكم ويعادي ربكم سبحانه وتعالى بأن يعبد غيره، ويتبع سبيلاً غير سبيله.

وقوله تعالى: ﴿بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ﴾ قدم جهاد المال على جهاد النفس، لأن العدة مقدمة على من يحملها في هذا الباب. فالمال لإعداد عدة الحرب، والعدة سلاح على اختلافه وطعام وشراب ومركوب للغزاة المجاهدين، وثني بجهاد النفس وهو بذل

أقصى الجهد والطاقة البدنية، وقوله في سبيل الله، وقدمه على المال والنفس إذ قال تعالى: ﴿وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾. لأن الجهاد إذا لم يرد به إعلاء كلمة الله، فهو لغير الله وهو باطل مذموم. والمراد من إعلاء كلمة الله أن يعبد الله وحده ويحكم شرعه في عباده ويرفع الظلم عن أوليائه وهم المؤمنون المتقون، وقوله عز من قائل: ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ يريد تعالى أن الدخول في هذه الصفقة التجارية خير لكم من تركها والإعراض عنها حرصاً على بقائكم وبقاء أموالكم مع أنه لا بقاء لشيء في هذه الحياة الدنيا. بعد أن بيّن لهم الثمن وهو الإيمان والجهاد بيّن لهم الجزاء فقال: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾. وأوقع بيان السلعة موقع الجزاء إذ قوله في بيان الثمن ﴿تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ... إلخ﴾ فالفعلان مرفوعان، وفعلا البضاعة يغفر لكم ويدخلكم مجزومان على تقدير: إن تؤمنوا وتجاهدوا يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار، على تقدير: إن تعطوا الثمن المطلوب تعطوا البضاعة الموضوعة لذلك والمهيأة له.

وقوله تعالى: ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ هذا من أجزاء السلعة التي عرضت للبيع بثمن غال ألا وهو الإيمان والجهاد. الإيمان الحق والجهاد في سبيل الله تعالى لا غيره.

وقوله تعالى في هذا النداء: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾. أي الحصول على السلعة المذكورة بالثمن المذكور هو الفوز العظيم، وخلاصة هذا الربح العظيم الذي لا يعادله ربح، والله إنه النجاة من النار ودخول الجنة دار الأبرار مع رضوان الرحمن.

وهناك ربح دنيوي آخر ذكره تعالى في قوله: ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾.

وهذا فائدة زائدة على السلعة وهي نصرهم على أعدائهم وأعداء ربهم وفتح قريب لأم القرى وغيرها من عواصم الدنيا.

وختم عزّ وجلّ هذا الإنعام والإكرام بقوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ أي وبشر يا رسولنا الذين آمنوا بنا وبرسولنا وبدعوتنا بشرهم بحصول ما ذكرناه كاملاً غير منقوص. وقد تم لهم كاملاً والحمد لله. فقد نصرهم على أعدائهم وفتح لهم مكة وكثيراً من عواصم العالم كعاصمتي الفرس والروم.

وأخيراً اذكر أيها القارئ الكريم ما قد بُيّن لك واذكر أخيراً ما يلي:

١ ـ فضل الجهاد بالمال والنفس وأنه أعظم تجارة رابحة في هذه الحياة.

٢ ـ تحقيق بشرى الله للمؤمنين التي أمر رسوله أن يبشرهم بها. فكان هذا دليلاً وبرهاناً ساطعاً على صحة الإسلام وسلامة دعوته، وفوز أهله ونجاحهم إذا هم أقاموه ديناً وعبدوا به الله تعالى عقائد وعبادات وآداباً وأخلاقاً وأحكاماً وقوانين ثابتة محققة للأمن والرخاء والصفاء.

وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين

النداء الرابع والثمانون

في وجوب نصرة دين الله وأهله ائتساء بمن دعوا إلى ذلك فأجابوا ففازوا بالنصر والغلبة

الآية (١٤) من سورة الصف

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾﴾.

الشـــرح:

اذكر أيها القارئ الكريم أن الله تعالى لا ينادي عباده المؤمنين به وبلقائه وبرسوله وما جاء به من الدين الحق ويدعو إليه، لا يناجيهم إلا ليأمرهم أو ينهاهم أو يبشرهم، أو ينذرهم أو يعلمهم ما ينفعهم، وهذا مقتضى الولاية التي بينهم وبينه سبحانه وتعالى. فلذا لا يأمرهم إلا بما يزكي أنفسهم، ولا ينهاهم إلا عما يدسي أنفسهم، ولا يبشرهم إلا بما يزيد في طاقة إيمانهم بعد شرح صدورهم وذهاب الغم والهم عنهم وإبعاد الحزن والخوف عنهم. إذ أولياؤه نفى عنهم الخوف والحزن في الحيوات الثلاث: الحياة الدنيا وحياة البرزخ، وهي الحياة بين الحياتين الأولى الفانية والآخرة الخالدة، والحياة الآخرة وهي الخالدة الباقية، في قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٢ ـ ٦٤] وبين الرسول ﷺ بشرى الحياة الدنيا، وأنها الرؤيا الصالحة يراها أو ترى له.

وهيا بنا بعد هذا نستعرض ما جاء في هذا النداء الإلهي العظيم إذ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ أي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ورسولاً فحيوا بذلك وأصبحوا أهلاً للنداء وما يؤمرون به وينهون عنه. ﴿كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ﴾ أي التزموا بنصرة ربكم وإلهكم الحق الذي لا رب غيره ولا إله سواه، التزموا بنصرته في دينه ونبيه وأوليائه المؤمنين المتقين فقولوا كما قال الحواريون لما دعاهم عيسى عبد الله ورسوله

لنصرته قائلاً: ﴿مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾؟ أي من ينصرني في حال كوني متوجهاً إلى الله أنصر دينه وأولياءه فأجابوه قائلين: ﴿نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾. فكونوا أنتم أيها المسلمون مثلهم في نصرة دين الله ونبيه وعباده المؤمنين. وقد أجابوا رضوان الله تعالى عليهم **﴿وخلف من بعدهم خلف﴾**. فلم يجيبوا ونحن مع الأسف منهم واأسفاه.. واحسرتاه. واحزناه.. على ما فرطنا في جنب الله.

وقوله تعالى في ختام هذا النداء: ﴿فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ﴾. فقوله: ﴿فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ﴾ أي بعيسى وما جاء به من الحق والهدى، وهو أن عيسى عبد الله ورسوله، وليس بإله ولا ابن الله، ولا ثالث ثلاثة مع الله، وليس هو بساحر ولا دجال ولا مفتر كذاب، ولا هو بابن زنى. وكفرت طائفة أخرى فاليهود قالوا: عيسى ابن زنى وقالوا: ساحر وكفروا به وبما جاء به واحتالوا على المؤمنين الموحدين من أتباع عيسى فأفسدوا عقائدهم وحرفوا دينهم مكراً بهم وحسداً لهم على فوزهم بالدين الحق والولاية الإلهية حيث حرموا هم منها والعياذ بالله. وقوله تعالى: ﴿فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ﴾ أي الكافرين ﴿فَأَصْبَحُوا۟ ظَٰهِرِينَ﴾ أي غالبين عالين منصورين إلى أن احتال اليهود أعداء الله الحسدة على إفساد الدين الصحيح الذي جاء به عيسى عليه السلام وهو الإسلام القائم على عبادة الله تعالى وحده بما شرع من أنواع العبادات الروحية والبدنية، وحينئذ لم يبق من المؤيدين إلا أنصار قليلون هنا وهناك، وعلا الكفر والتثليث. وظهر الشرك في ربوع الأرض، واستمر الوضع كذلك إلى أن بعث الله رسوله محمداً فانضم إلى الإسلام من انضم من النصارى فأصبحوا بالإسلام ظاهرين على عدوهم من المشركين المؤلهين لعيسى، الحيارى في تقويمه. إذ مرة يقولون: هو ابن الله، ومرة يقولون: ثالث ثلاثة مع الله. وضللهم وتركهم في هذه المتاهات الانتفاعيون من الرؤساء والجاهلون المقلدون من المرؤوسين، كما فعل نظراؤهم في الإسلام، إذ حولوه إلى طوائف وشيع. إلا أن الإسلام تعهد الله تعالى بحفظه إلى يوم القيامة. فمن أراده وطلبه في صدق وجده سليماً صحيحاً صافياً كما هو في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ. ومن لم يرده ولم يطلبه، ورضي بالضلال والجهل والفسق والكفر فهو فيها إلى أن يهلك ويمسي في أصحاب السعير. ولا يهلك على الله إلا هالك.

وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين

النداء الخامس والثمانون

في وجوب حضور صلاة الجمعة إذا نودي لها وحرمة البيع والشراء وسائر الأعمال بعد النداء

الآيتان (٩، ١٠) من سورة الجمعة

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٩) فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٠)﴾.

الشـــرح:

اذكر أيها القارئ الكريم أن الله تعالى ينادي عباده المؤمنين بعنوان الإيمان؛ لأن المؤمنين أحياء بإيمانهم يسمعون النداء ويجيبون من ناداهم لكمال حياتهم. وها هو ذا سبحانه وتعالى نادى عباده المؤمنين من هذه الأمة المسلمة له وجوهها وقلوبها فيقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ بي وبرسولي وبلقائي وما عندي لأوليائي، وما لدي لأعدائي ﴿إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ﴾ أي إذا أذّن المؤذن قائلاً حي على الصلاة، وذلك من يوم الجمعة وهو اليوم الفاضل الذي فازت به أمة الإسلام وحُرمهُ اليهود لعنادهم وحُرمهُ النصارى لجهلهم وضلالهم؛ إذ هو أفضل الأيام فيه خلق الله آدم وأدخله الجنة وأخرجه منها، وفيه تقوم الساعة. وفيه ساعة لا يوافقها مؤمن يصلي ويسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه ويقول فيه الرسول ﷺ: «**من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة (بعيراً) ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشاً أقرن، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة، فإذا خرج الإمام أي ليرقى المنبر ويخطب الناس حضرت الملائكة يستمعون الذكر**».

وقوله تعالى: ﴿فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ أي امشوا إلى أداء صلاة الجمعة بعد سماع الخطبة. وهذا المشي يسبقه أمور منها: الغسل، ولبس الثياب الجديدة أو النظيفة الخاصة بها، ومنها مس الطيب ومنها السواك. وهذا الإمام أحمد رحمه الله يروي في

مسنده الحديث التالي. يقول ﷺ: «**من اغتسل يوم الجمعة، ومس من طيب أهله، إن كان عنده ولبس من أحسن ثيابه ثم خرج حتى يأتي المسجد فيركع ما بدا له، ولم يؤذ أحداً ثم أنصت إذا خرج إمامه حتى يصلي كانت كفارة لما بينها وبين الجمعة الأخرى**». وروى أصحاب السنن أن النبي ﷺ على المنبر قال: «**ما على أحدكم لو اشترى ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوبي مهنته**».

وقوله تعالى: ﴿وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ﴾ أي اتركوا البيع والشراء، إذ لفظ البيع يطلق على الشراء. ولهذا يحرم أي عقد يتم والإمام على المنبر يوم الجمعة. كما يحرم أي عمل كتجارة أو حياكة أو صناعة أو زراعة، أو طهي طعام وما إلى ذلك من سائر الأعمال وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي إن ترك الأعمال من بيع وشراء وغيرها من سائر الأعمال والذهاب إلى المسجد لأداء صلاة الجمعة بعد سماع الخطبة خير ثواب وخير عاقبة في الدنيا والآخرة.

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ﴾ أي أديت وفرغ منها: ﴿فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي لقضاء حوائجكم كالبيع والشراء وسائر الأعمال المأذون فيها من المباحات. وقوله: ﴿وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾. أي اطلبوا ما تحتاجون إليه من أمور دنياكم ومعاشكم، فقد أذن الله تعالى لكم فيه بعد أن منعكم منه عند سماع النداء والإمام على المنبر وقال: ﴿مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ إذ كل رزق يحصل عليه العبد هو من عطاء الله وفضله، وما للعبد إلا إتيان الأسباب الموضوعة لذلك، فلذا لا يطلب المحرم سواء كان طعاماً أو شراباً أو لباساً أو غيرها، إذ ذاك لم يأذن الله فيه فهو ليس من فضله تعالى، وقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ أي أثناء تفرقكم وانتشاركم في أعمالكم طلباً لفضل الله تعالى. في هذه الحال اذكروا الله بقلوبكم وألسنتكم ولا تنسوه واذكروه ذكراً كثيراً، وقوله تعالى: ﴿لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾. أي اذكروا الله كثيراً رجاء أن تفلحوا في سعيكم وعملكم وتعودون بحاجاتكم بعد السعي والطلب؛ لأن في ذكر الله العون الكبير والوقاية العظمى من الخيبة والخسران، وفلاح المؤمن لا يقصر على الدنيا بل هو في الدنيا والآخرة، وفلاح الآخرة معناه الفوز بالجنة بعد النجاة من النار.

وأخيراً اذكر أيها القارئ ما يلي:

١ ـ وجوب صلاة الجمعة ولا يسقط هذا الواجب إلا على المرأة والعبد والمريض والممرض له والمسافر.

٢ ـ حرمة البيع والشراء وسائر الأعمال إذا جلس الإمام على المنبر وشرع المؤذن يؤذن الأذان الأخير.

المشي إليها بسكينة ووقار كما بيَّن ذلك رسول الله ﷺ[1]. وإطلاق السعي على غير السرعة والهرولة كثير، من ذلك فلان يسعى على عائلته ليس معناه أنه يجري وإنما يعمل. ومنه فلان سعى في الإصلاح بين فلان وفلان ليس معناه أنه يجري. هذا واذكر ما علمت ولا تنسه واعمل وعلِّم وبارك الله فيك.

وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين

(١) في الحديث الصحيح.

النداء السادس والثمانون

في حرمة الانشغال بالمال والولد عن عبادة الله تعالى ووجوب الزكاة والترغيب في الصدقات والتحذير من فجاءة الموت قبل التوبة

الآيات (٩ ـ ١١) من سورة المنافقون

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾.

الشــــرح:

اعلم أيها القارئ الكريم أن هذا النداء الإلهي له خطورته وشأنه العظيم، فقد نادى الرب تبارك وتعالى عباده المؤمنين لكمال حياتهم بإيمانهم، ناداهم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ورسولاً، ناداهم ليقول لهم ناهياً لهم: ﴿لَا تُلْهِكُمْ﴾ أي لا تشغلكم أموالكم كثرت أو قلت وأي نوع كان المال سواء كان مال تجارة أو صناعة أو زراعة أو غير ذلك، لا تشغلكم عن عبادة الله تعالى وسواء كانت العبادة صلاة أو حجاً أو جهاداً، ولا يلهكم أَوْلَادُكم أيضاً عن عبادة الله تعالى لا عن صلاة ولا حج ولا جهاد ولا عن ذكر الله تعالى، وكل عبادة هي ذكر لله عزّ وجلّ، إذ لا تخلو عبادة من ذكر الله حتى الصيام فإنه ذكر لله تعالى بالقلب، إذ لولا ذكر الله لأكل الصائم أو شرب.

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾ أي بأن ألهته أمواله أو أولاده أو هما معاً عن عبادة الله تعالى التي تعبد بها عباده من أداء الفرائض والواجبات على اختلافها، فأولئك البعداء هم الخاسرون يوم القيامة بحرمانهم من الجنة ونعيمها، ووجودهم في دار العذاب حيث لا أهل ولا مال ولا ولد. كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ

أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الزمر: ١٥]. وقوله تعالى لهم: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم﴾ أي من مال وعلم وكل خير رزقه العبد من الجاه فإنه ينفق منه في قضاء حاجات من يعجز عن قضائها إلا بالواسطة وإن كان المطلوب الأول في هذا الأمر أداء الزكاة والصدقات الواجبة كالجهاد والإنفاق المتعين كالإنفاق على الأبوين والزوجة والولد وقرى الضيف وما إلى ذلك. والحمد لله إنه تعالى لم يقل وأنفقوا ما رزقناكم. بل قال مما أي من بعض ما رزقناكم. فالزكاة نصابها اثنان ونصف في المائة، وفي الحبوب في عشرة أوسق أي قناطير. قنطار، إن كانت تُسقى بماء العيون والمطر. أما إن كانت تسقى بالسني والدلو، والمكائن فنصف العشر، ففي عشرة قناطير نصف قنطار لا غير، وفي هذا الأمر الإلهي دليل على وجوب تعجيل إخراج الزكاة إذا وجبت وحال حولها، وكذلك سائر العبادات إذا دخل وقتها.

وقوله تعالى: ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ أي من قبل أن ينتهي أجله ويأتي ملك الموت لقبض روحه، وفي هذا دليل قاطع على وجوب أداء الواجبات في أوقاتها وسواء كانت زكاة أو صلاة أو حجاً أو غيرها كقضاء الديون من قدر على سدادها، وذلك لعدم العلم بساعة الوفاة، والموت قد يأتي بغتة. فكم من نائم مات في نومه، وكم من مسافر مات في سفره، وكم من راكب مات في ركوبه، وكم من صحيح مرض ومات في مرضه، وقوله تعالى: ﴿فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ أي يقول المحتضر الذي حضره الموت متمنياً على الله أن يؤخره إلى وقت يمكنه فيه أن يصدّق ويؤدي الحقوق وقوله: ﴿فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ هذا مفاد تمنيه وهو أن يتصدق بماله، ويكون من الصالحين بأن يحج ويعتمر، ويصل الرحم ويرحم الفقراء، ويساهم في مشاريع الخير كبناء المساجد ودور اليتامى والإنفاق على الجهاد وما إلى ذلك. إلا أن هذا التمني وهذا الطلب لا يجديه شيئاً أبداً، لأن حضور ملك الموت لقبض الروح لا يرده أحد إلا الله، والله قد قضى وحكم فلم يبق مجال للطلب والتمني. وإنما هذا من تمني الحسرة والندامة، وهما لا ينفعان بل يزيدان في الكرب والحزن. وكيف والله يقول: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا﴾، فإذا كان تعالى القوي القدير لا يؤخرها، فهل يؤخرها غيره من المخلوقين المربوبين العجزة الهالكين.

وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾. يحض به تعالى المؤمنين على إصلاح أعمالهم والتزود لآخرتهم بإعلامهم سبحانه وتعالى بأنه مطلع على أعمالهم، خبير بها، وسواء ما كان منها صالحاً أو فاسداً. ألا فليراقب العبد ربه فيصحح معتقده، ويحسن عمله، ويلازم ذكر ربه بقلبه ولسانه.

وأخيراً أيها القارئ الكريم إليك خلاصة ما حواه هذا النداء الإلهي الكريم فاحفظه وانتفع به:

١ ـ حرمة التشاغل بالمال والولد إذا كان يحملك ذلك على إضاعة بعض الفرائض أو ترك الحقوق والواجبات كذكر الله تعالى وفعل الخيرات.

٢ ـ حرمة تأخير الحج مع القدرة عليه، والتشاغل عنه بالمال والولد، أو تسويفاً أو مماطلة.

٣ ـ وجوب الزكاة وحرمة تأخيرها عن وقتها.

٤ ـ الندب إلى فعل الخيرات كالصدقات ونوافل العبادات من صيام وصلاة وغيرهما.

٥ ـ لا تنس ذكر الدار الآخرة، فإن الموت اللازم طريقها فاذكر هذا، والله يتولى الصالحين.

وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين

النداء السابع والثمانون

في التحذير من فتنة المال والزوجة والولد وبيان فضل العفو والصفح والغفران، وعلاج شح النفس

الآيات (١٤ ـ ١٦) من سورة التغابن

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٤) إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٥) فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٦)﴾.

الشـــرح:

اذكر أيها القارئ الكريم أن هذا النداء الإلهي يحمل تحذيراً عظيماً من فتنة المال والولد، والزوجة أيضاً، إنه من ولاية الله تعالى لعباده المؤمنين المتقين ناداهم بعنوان الإيمان: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، لأنهم بإيمانهم أحياء يسمعون ويجيبون، ناداهم ليخبرهم محذراً منذراً فيقول: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ﴾ ومن فضل الله تعالى أنه قد توجد زوجة صديقة للزوج ويوجد ولد صديق للوالد دل على هذا قوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ﴾؛ لأن من للتبعيض مثل: ﴿أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ٢٥٤]، لا كل ما رزقناكم، واعلم أن الفرق بين العدو والصديق أن العدو يحملك على ما يضرك ويخسرك، والصديق يحملك على ما ينفعك ويريحك، ولما كان الأمر خفياً ومختلطاً قال تعالى: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ أي أن تطيعوهم في التأخير عن فعل الخير كترك الهجرة، أو الجهاد أو صلاة الجماعة، أو التصدق بفضل المال على الفقراء والمحتاجين، وما إلى ذلك من الصالحات المزكية للنفس، ولنذكر هنا سبب نزول هذه الآيات لتزداد وضوحاً في فهم هذا التحذير الإلهي العظيم، إنه روي أن أناساً كان لهم أزواج وأولاد عاقوهم عن الهجرة من مكة إلى المدينة فترة من الزمن، فلما تغلبوا عليهم وهاجروا، ووجدوا الذين سبقوهم إلى الهجرة قد تعلموا وتفقهوا في الدين فتأسفوا عن تخلفهم، فهموا

بأزواجهم وأولادهم الذين عاقوهم عن الهجرة فترة طويلة، فهموا أن يعاقبوهم بنوع من العقاب كتجويعهم أو ضربهم، أو تثريب وعتاب شديدين فأنزل الله تعالى هذه الآيات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ﴾ أي من بعضهم لا كلهم إذ منهم من يساعد على طاعة الله ورسوله ويكون عوناً عليها. والمرأة في هذا كالرجل فمن النساء الصالحات من يكون زوجها وولدها عدواً لها يحاولون صرفها عن طاعة الله ورسوله ﷺ وهو في النساء كثير، والواقع شاهد. كم من امرأة يأمرها زوجها بكشف وجهها، ويمنعها من التصدق بمالها، ويصرفها عن بر والديها إلى غير ذلك.

وقوله: ﴿وَإِن تَعْفُواْ﴾ أي عن أزواجكم أو أولادكم الذين فتنوكم في دينكم فلا تؤاخذوهم بضرب أو أي عقاب، ﴿وَتَصْفَحُواْ﴾ فتعرضوا عنهم وتعطوهم صفحة وجوهكم فلا تسبوا ولا تشتموا ﴿وَتَغْفِرُواْ﴾ أي لهم ما حصل منهم من أذى وهم صرفوكم عن الهجرة زمناً فاتكم فيه خير كثير من العلم والفقه وصحبة الحبيب ﷺ. وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾. فاغفروا يغفر لكم وارحموا يرحمكم. ثم قال تعالى مخبراً عن حقيقة علمية ثابتة يجهلها العباد وهي أن المال والولد فتنة يمتحن الله تعالى بها عباده أي يبتليهم ويختبرهم ليعلم الصادق في الطاعة من الكاذب، والبار بحق من الفاجر، ومن يحب الله ورسوله أو يحب ماله وولده فقال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾. وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾. أي فآثروا ما عند الله تعالى على ما عندكم من مال وولد. وأحسنوا التصرف فيهم فلا تعصوا الله لأجلهم، لا بترك واجب ولا بفعل محرم. واحذروا أن تسيئوا التصرف فيحملكم حبهم على التفريط في طاعة الله ورسوله. واعلموا أن ما عندكم ينفد وما عند الله باق فآثروا الباقي على الفاني.

وقوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ هذا من إحسان الله تعالى إلى عباده المؤمنين إنه لما أخبرهم أن أموالهم وأولادهم فتنة وحذرهم أن يؤثروهم على طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ علم تعالى أن بعض المؤمنين سيزهد في المال والولد، وأن بعضاً سيعانون أتعاباً ومشقة شديدة في التوفيق بين خدمة المصلحتين فأمرهم أن يتقوه في حدود ما يطيقون فقط، وخير الأمور الوسط فلا يفرط في ماله وولده، ولا يفرط في علة وجوده وسبب نجاته وسعادته التي هي عبادة الله تعالى التي خلق من أجلها وعليها مدار نجاته من النار ودخوله الجنة دار الأبرار.

وقوله تعالى: ﴿وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ﴾. هذا أمره تعالى لعباده المؤمنين لما خفف عنهم أمر التقوى بقوله: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾، أمر بالسمع والطاعة لله ورسوله والإنفاق في سبيله تعالى، وأعلمهم أن ذلك خير لهم إذ بهذا تتم سعادتهم في الدارين.

وقوله تعالى لهم: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ﴾ أي ومن يحفظه الله تعالى من شح النفس فقد أفلح بالفوز بالجنة والنجاة من النار، وفي هذا الخبر إشارة صريحة إلى أن وقاية النفس تطلب من الله تعالى ثم بالإنفاق في سبيل الله تعالى. فسؤال الله تعالى أن يقي العبد شح نفسه الذي فطرت عليه، ثم الإنفاق في سبيل الله بهما يحفظ العبد من شح النفس المهلك وبهذا أمر رسول الله ﷺ في قوله: «**إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم**». وكان عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه إذا طاف بالبيت يدعو بقوله: اللهم قني شح نفسي. لا يزيد على ذلك؛ لأن شح النفس هو الذي يحمل على السرقة والزنى والكذب والخيانة وخلف الوعد وإضاعة الأمانة.

وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين

النداء الثامن والثمانون

في مشروعية الطلاق السني وبيان العدة وعدم إخراج المطلقة من البيت حتى تنتهي عدتها إلا أن تؤذي ومشروعية الإشهاد على الطلاق والرجعة

الآيتان (١ ، ٢) من سورة الطلاق

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحۡصُواْ ٱلۡعِدَّةَۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡۖ لَا تُخۡرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخۡرُجۡنَ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا ١ فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ فَارِقُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖ وَأَشۡهِدُواْ ذَوَيۡ عَدۡلٖ مِّنكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾ .

الشــرح:

اعلم أيها القارئ الكريم أن هذا النداء يحمل أحكاماً شرعية لا بدّ للمؤمن من معرفتها والتقيد بها، واعلم أن النداء وإن كان موجهاً أولاً للنبي ﷺ فهو لأمته ﷺ وإنما بُدئ برسول الله ﷺ لشرفه وعلو مقامه، حتى يسهل على المؤمنين تطبيق الأحكام التي تضمنها النداء وهي:

١ ـ أن تطلق المرأة من أجل رفع الضرر عنها أو عن زوجها وأن تطلق في طهر لم يجامعها فيه الزوج حتى لا تطول مدة عدتها فتتأذى بذلك. وهذا ما دل عليه قوله تعالى: ﴿إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ أي لقبل عدتهن أي لأول عدتهن وذلك بأن يكون الطلاق في طهر لا في حيض، وأن يكون الزوج ما جامعها في ذلك الطهر، بذلك تقصر مدة العدة وتقل وفي هذا الرحمة بالمؤمنات.

٢ ـ وجوب إحصاء العدة أي حفظ مدتها حتى يمكن للزوج أن يراجع فيها إن أراد

المراجعة. وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ﴾. وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ﴾، أي خافوه فامتثلوا أوامره، وقفوا عند حدوده فلا تعتدوها.

٣ ـ لا يجوز إخراج المطلقة من بيت زوجها الذي كانت فيه حتى تنقضي عدتها لما في ذلك من إعطاء فرصة للزوج لعله يراجعها. اللهم إلا أن تأتي المطلقة بفاحشة مبينة كزنا ظاهر، أو تكون بذيئة اللسان فتؤذي أهل البيت بأذى لا يطيقونه ففي هذه الحال يجوز إخراجها من بيتها. دل على هذا قوله تعالى: ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾. وقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ﴾ أي المذكورات من الطلاق لأول الطهر وإحصاء العدة، وعدم إخراجهن من بيوتهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة. وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ﴾ أي من يتجاوز حدود الله فلم يقف عندها فقد ظلم نفسه بذلك وتعرض لعقوبة الله تعالى عاجلاً أو آجلاً. وقوله تعالى: ﴿لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ أي شرع الله تعالى ما شرعه من الطلاق في أول العدة، ومن عدم إخراج المطلقة من بيتها، ومن إحصاء العدة بمعرفة يوم وقع الطلاق فيه ومعرفة متى تنتهي. كل هذا من أجل قد يجعل الله تعالى في قلب المطلق رغبة في مراجعة مطلقته فيراجعها. بخلاف لو لم يضع الله تلك الحدود فإن الرجل قد يرغب في المراجعة ولا يقدر عليها.

٤ ـ إذا بلغت المطلقة أجلها أي قرب نهاية عدتها، هنا على الزوج أن يراجع فيمسكها بمعروف وإحسان لا إنه يراجعها يمكر بها ويؤذيها انتقاماً منها، أو يفارقها بمعروف، فيعطيها باقي مهرها إن بقي منه شيء، وأن يمتعها بشيء، وأن لا يذكرها بسوء أبداً. دل على هذا قوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾.

٥ ـ كما يُشهد الزوج على الزواج يُشهد على الطلاق وعلى الرّجعة أيضاً إلا أن الإشهاد على عقد النكاح بدونه، وأما في الطلاق والرَّجْعَة فهو مطلوب ولكن ليس واجباً، وليكن الشهود عدولاً والعدل من لم يعرف بكبيرة من كبائر الذنوب. دل على هذا قوله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ﴾ أي اعدلوا فيها ولا تجوروا أو تحيفوا ولتكن شهادتكم لله تعالى لا للمشهود عليه ولا للمشهود له، بل لله وحده لا شريك له. وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾. إن هذه الأحكام المذكورة يُؤمر بها ويطبقها عبد يؤمن بالله واليوم الآخر. أما غيره فما هو بأهل لذلك؛ لأنه كافر والكافر ميت، وفي هذا حث وحض على تطبيق هذه الأحكام المتعلقة بالطلاق لما فيها من الخير لكل من المطلق والمطلقة. هذا واعلم أن هناك خلاصة لما تقدم فخذها بعناية وهي:

١ ـ أن السُّنة في الطلاق أن يكون في طهر لم يمسها فيه، وأن يكون بلفظ واحد لا بالثلاث.

٢ ـ أن العدد أربع؛ عدة من تحيض فهي ثلاثة قروء أي حيضات، وعدة من لا تحيض لكبر أو صغر وهي ثلاثة أشهر، وعدة الحامل وهي وضع حملها ولو يوماً وليلة، وعدة الوفاة وهي أربعة أشهر وعشر.

٣ ـ الطلاق في الحيض وفي طهر جامعها فيه طلاق بدعي، كثير من أهل العلم لا يعدونه طلاقاً.

٤ ـ الطلاق قبل الدخول لا عدة فيه على المطلقة لقول الله تعالى: ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾ [الأحزاب: ٤٩] وقد مضى هذا في نداء من نداءات سورة الأحزاب فارجع إليه.

اللهم علمنا ما جهلنا وانفعنا بما تعلمنا ولك الحمد والشكر.

وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين

النداء التاسع والثمانون

في وجوب وقاية النفس والأهل من النار وذلك بالإيمان وطاعة الله ورسوله ﷺ وبيان وصف النار

الآية (٦) من سورة التحريم

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۝٦﴾.

الشـــرح:

اذكر أيها القارئ الكريم ما قد سبق أن عرفته من أن الله تعالى ينادي المؤمنين بعنوان الإيمان؛ لأن المؤمن حيّ يسمع ويعي ويعمل وذلك لكمال حياته، وأن الكافر ميت فلا يسمع نداء ولا يعي ما ينادى له، ولا يمتثل لما يؤمر به أو ينهى عنه. وأن الإيمان ليس مجرد قول العبد: أنا مؤمن وإنما هو تصديق جازم بوجود الله رباً وإلهاً لا رب غيره ولا إله سواه، وبملائكته وكتبه ورسله، وباليوم الآخر وبقضائه وقدره. وآية ذلك إسلام القلب والوجه لله. ويتجلى ذلك في أن يحب ما يحب الله ويكره ما يكره الله، وأن يطيع الله ورسوله في ما أمرا به ونهيا عنه.

اذكر هذا واستمع لما حواه هذا النداء العظيم إنه وجوب وقاية المرء المؤمن نفسه من النار، ووقاية أهله من زوجة وولد وقريب من النار إذ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ والوقاية بم تكون؟ إنها لا تكون أبداً بغير الإيمان والعمل الصالح وباجتناب الشرك والمعاصي. والشرك هو عبادة غير الله تعالى مع الله تعالى. فالدعاء عبادة تعبد الله بها المؤمنين فمن دعا غير الله فقد أشرك، والنذر عبادة فمن نذر لغير الله تعالى فقد أشرك في عبادة الله تعالى، والذبح تقرباً عبادة فمن ذبح لغير الله تقرباً إليه فقد أشرك في عبادة الله تعالى، والحلف عبادة فمن حلف بغير الله تعالى فقد أشرك في عبادة الله تعالى، والركوع والسجود عبادة فمن

ركع أو سجد لغير الله فقد أشرك في عبادة الله تعالى، فاذكر هذا ولا تنسه يا عبد الله.

كان ذلك الشرك فما هي المعاصي؟ المعاصي: جمع معصية وهي مخالفة أمر الله أو أمر رسوله. فإذا أمر الله تعالى بقول أو فعل أو أمر رسوله فمن فعل المأمور على الوجه المطلوب فقد أطاع وما عصى، ومن ترك فلم يفعل فقد عصى، وتركه معصية. وكذلك إذا نهى الله تعالى أو نهى رسوله عن قول أو عمل فمن قال المنهي عنه أو فعله فقد عصى، وقوله وفعله لما نُهي عنه معصية. وعلى هذا فالوقاية للنفس وللأهل من زوجة أو ولد تكون بطاعة الله ورسوله ﷺ بعد الإيمان الصحيح، وهنا يجب على العبد أن يعرف أوامر الله وأوامر رسوله ﷺ ويعلمها أهله، إذ من غير المعقول أن نطيع ونحن لا نعرف فيما نطيع أو نعصي ونحن لا نعرف فيما نعصي. إذاً فالعلم العلم فإنه ضروري، وإلا فلا وقاية من النار فاذكر هذا أيها القارئ واعلم أن وقاية الأهل تكون بأمرهم بإقام الصلاة والصيام، وترك المحرمات من الكذب وقول الباطل وسماعه، وبذكر الله بالقلب واللسان، والبعد عن اللهو الحرام كسماع الأغاني، والنظر إلى صور الفيديو والتلفاز، ولعب الورق ومجالس اللغو والكلام السيِّئ وما إلى ذلك.

وذكِّرهم بالجنة ونعيمها وخوفهم من النار وعذابها واقرأ عليهم هذا النداء ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۝٦﴾. ذكرهم برؤيا رآها عبد صالح وهو الشيخ محمد السالك فقد بعث بها إليّ فذكر فيها أنه دخل عليه النبي ﷺ محمر الوجه وقرأ هذه الآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ...﴾ إلى قوله: ﴿مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ ثم قال: **﴿ويتوب الله على من تاب﴾** هل تدري ما وقود النار؟ إنه أجسام المعذبين. وحجارة الكبريت وأصنام المشركين. هل تدري ما الملائكة؟ إنهم خلق يكفي في معرفة حقيقتهم وصف الله تعالى لهم بقوله: ﴿غِلَاظٞ شِدَادٞ﴾. وإذا كان عرض الكافر في النار ـ مائة وخمسة وثلاثين كيلو متراً وضرسه كجبل أحد. فكيف يكون الملك الموكل بعذابه؟ إنه فوق الوصف، فاذكر هذا وق نفسك وأهلك إن كان لك أهل.

وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين

النداء التسعون

في وجوب التوبة من كل ذنب وعلى الفور وأن تكون التوبة نصوحاً رجاء مغفرة الذنوب ودخول الجنة

الآية (٨) من سورة التحريم

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يَوۡمَ لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥۖ نُورُهُمۡ يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا وَٱغۡفِرۡ لَنَآۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝٨﴾.

الشـــرح:

اعلم أيها القارئ الكريم أن هذا آخر نداء من نداءات الرحمن جلّ جلاله وعظم سلطانه في كتابه العزيز: القرآن الكريم. ناداهم إكراماً لهم، وإنعاماً عليهم ليأمرهم بما يزكي أنفسهم ويطهر أرواحهم، ولينهاهم عما يخبث أرواحهم ويدسي نفوسهم، إذ بطهرهم يتأهلون للنزول بدار السلام حيث النبيون والصديقون والشهداء والصالحون، إذ أخبر تعالى به في قوله من سورة النساء: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ۝٦٩ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ۝٧٠﴾ [النساء: ٦٩، ٧٠] قد ناداهم سبحانه وتعالى في هذا النداء الأخير، ناداهم ليأمرهم بالتوبة إليه سبحانه وتعالى؛ إذ قال وقوله الحق وله الملك وهو على كل شيء قدير ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا﴾ أي ارجعوا إليه بذكره وشكره وحسن عبادته رجوعاً صادقاً أنتم فيه ناصحون لأنفسكم غير خادعين لها ولا غاشين، إذ من الخداع للنفس والغش لها أن يقلع العبد عن الذنب فتطهر نفسه ثم يعاود الذنب ويرجع إليه فيعظم خبث النفس ويكثر، إذ التوبة النصوح هي التي لا يعاود صاحبها الذنب الذي تاب منه، ولا يرجع إليه أبداً كما لا يرجع اللبن في الضرع بعد حلبه منه.

وإليك أيها القارئ الكريم قائمة بمحاب الله تعالى وأخرى بمكارهه لتفعل المحبوب بشرطه، وتترك المكروه بشرطه.

قائمة المحبوب لله عزّ وجلّ:

* الإخلاص لله عزّ وجلّ في فعل المحبوب وترك المكروه، ومعنى الإخلاص أن تفعل ما تفعل وتترك ما تترك طاعة لله وخوفاً منه وحباً فيه. وتترك ما تترك كذلك لا تلتفت بقلبك إلى شيء أبداً.

* إقام الصلاة بأن تؤديها في بيوت الله مع جماعة المسلمين، وأن تخشع فيها، مراعياً فيها شروطها وأركانها وواجباتها وسننها.

* إيتاء الزكاة متى وجبت عليك لملكك مالاً صامتاً كالدراهم والدنانير والحبوب والثمار، أو ناطقاً كالأنعام من الإبل والبقر والغنم. وبلغ مالك نصاباً وحال عليه الحول إن كان غير الحبوب والثمار.

* صيام رمضان مع تجنب مفسداته كالغيبة وسائر الآثام والمفطرات.

* حج بيت الله الحرام إن ملكت زاداً لنفقتك ونفقة أهلك بعدك، وقدرت على المشي أو الركوب.

* بر والديك بطاعتهما في المعروف وإيصال الخير إليهما وذلك بتقديم ما يحتاجان إليه من غذاء وكساء ودواء وإيواء، مع كف الأذى عنهما حتى ولو بكلمة نابية بصوت مرتفع.

* صلة رحمك بالإحسان إليهم في حدود قدرتك.

* الجهاد في سبيل الله متى دعا إليه إمام المسلمين وعينك له.

* الإحسان إلى اليتامى والمساكين وابن السبيل، وإلى كل المسلمين بإكرامهم وعدم أذيتهم بقول أو فعل.

* الصبر بأن تصبر على عبادة الله تعالى فلا تضجر ولا تمل، وتصبر على ما يبتليك به امتحاناً لك كالمرض والجوع والخوف.

قائمة المكروه لله سبحانه وتعالى:

* الشرك في عبادته بصرف أي شيء منها لغير الله تعالى.

* أكل الربا وإن قلّ كدرهم.

* الزنى.

* أكل مال اليتيم.

* عقوق الوالدين.

* شهادة الزور.

* قذف المؤمنين والمؤمنات بالفاحشة.
* أذية الجار.
* أذية المؤمنين والمؤمنات.
* ترك محبوب لله من قائمة المحبوبات.

كانت تلك بعض المحبوبات والمكروهات، فإذا تركت محبوباً منها، أو فعلت مكروهاً منها فبادر بالتوبة على الفور، وهي فعل ما تركت، وترك ما فعلت وأنت تستغفر الله ونادم أشد الندم على ما تركت من محبوب لله، أو على ما فعلت من مكروه لله، وأبشر بعد ذلك بما بشرك الله تعالى به في قوله: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾، واعلم أن ﴿عَسَىٰ﴾ من الله تفيد تحقيق المرجو وتأكيده، فأبشر بالجنة بعد تكفير السيئات، في يوم لا يخزي فيه الله النبي ﷺ والذين آمنوا معه بأن لا يُذلّهم ولا يعذبهم ويعطيهم نوراً يمشون فيه حتى يجتازوا الصراط ويدخلوا الجنة دار السلام.

وسلام عليهم وعلى كل المرسلين، وأهل الجنة أجمعين والحمد لله رب العالمين.

الخاتمة

بسم الله والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وبعد، ففي يوم الاثنين الحادي والعشرين من شهر رجب سنة ١٤١٤هـ، وفي الروضة النبوية الشريفة، وفقني الله تعالى لأبيِّض هذه الخاتمة بيض الله وجهي ووجه كل مؤمن ومؤمنة يوم تبيض وجوه وتسود وجوه، راجياً بذلك من الله تعالى أن ينفعني وينفع كل مؤمن ومؤمنة يقرأ هذه النداءات الرحمانية، أو يستمع إليها، ويجيب من دعاه وهو الله وليه ومولاه فإن أمره بأمر قام به، وإن نهاه عن شيء انتهى عنه، وإن رغبه في خير رغب فيه، وإن حذره من شر حذره، وإن بشره بخير سرَّ بالبشرى وحمد الله وشكر، وإن أنذره خاف وتاب واستغفر. إذ هذا شأن المؤمن الصادق الإيمان، والمسلم الحسن الإسلام المهيأ بفضل الله للجنة دار السلام.

هذا ولا يفوتني أن أرغِّب كل مؤمن ومؤمنة في قراءة هذه النداءات الرحمانية، وحفظها وإجابة الداعي الرحمن فيها نداء بعد نداء. ولا أحسب أن مؤمناً يجد في تحصيلها حفظاً وفهماً وعملاً يبقى في ظلام الجهل أبداً بل سيرقى إلى أفضل مستوى علمي يرفع الله تعالى إليه من يشاء من عباده المؤمنين به وبلقائه. وهنا أذكر منبهاً، لافتاً النظر إلى أن ما يشكوه المسلمون من فرقة وضعف وانحراف، بل وضياع وخسران مرده إلى الجهل بالله تعالى، وبمحابه ومساخطه، وما عنده لأوليائه، وما لديه لأعدائه. وأن الطريق إلى الخروج من هذه المظاهر المؤلمة المحزنة التي تعيشها أمة الإسلام منذ قرون عدة هو العلم واليقين فيه، وأن كيفية الحصول على العلم المطلوب هو أن يتعهد أهل كل حي من أحياء المدن وأهل كل قرية من القرى بأن يجتمعوا كل ليلة من المغرب إلى العشاء في مسجدهم الجامع لهم، يدرسون كتاب الله عزّ وجلّ وسنة نبيه ﷺ، وذلك طوال العام لا يتخلف رجل منهم ولا امرأة ولا ولد إلا معذور عذراً حقيقياً. إنهم لا يمضي عليهم طويل زمن إلا وهم علماء ربانيون أولياء لله تعالى صالحون لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. مع العلم أن هذا الطلب للعلم والهدى والاستقامة والرضا والحب والولاء والمودة لا يكلفهم من الجهد شيئاً ولا من المال قليلاً ولا كثيراً، وأمر آخر ألفت النظر إليه وهو أن العالم البشري كله إذا دقت الساعة السادسة مساء أوقف دولاب العمل وذهب إلى الراحة والترويح عن النفس. أليس المؤمنون أولى بهذه الراحة وأية راحة هي. إنها السعادة الكاملة، إنها الجلوس

في بيوت الله لاستمطار رحمته وتلقي الهدى والعلم من كتابه وهدى رسوله ﷺ وقد وفقني ربي سبحانه وتعالى فكتبت في هذا الأمر كتاباً سميته «كتاب المسجد وبيت المسلم» ودرَّسته سنة كاملة بالمسجد النبوي مبيناً كيفية تدريسه رجاء أن تفيق أمة الإسلام من نومها الطويل وغفلتها الطويلة العريضة. ومن فضل الله تعالى أن وفقني أيضاً لكتابة هذه الرسالة «نداءات الرحمن» رجاء أن يضعها كل مؤمن قريباً من وسادة نومه فيقرأ كل ليلة قبل نومه نداء من نداءات الرحمن فيها ويعمل به حتى يصبح عالماً ربانياً ذا دين وبصيرة فيه وأيضاً قبل هذا وأداء لواجب الدعوة والنصح لكل مؤمن ومؤمنة، قد ألفت كتاب «منهاج المسلم» وهو كتاب شامل جامع للعقيدة المنجية من النار، والآداب الرفيعة والأخلاق الفاضلة السامية، والعبادات والأحكام الشرعية، كل ذلك رجاء أن تجتمع عليه أمة الإسلام فتنتهي بذلك الفرقة المذهبية والطائفية. وعلى إثره وضعت دستوراً إسلامياً آملاً أن يضاف في الطباعة إلى كتاب «منهاج المسلم»، فيتم به نظام الدولة الإسلامية ديناً ودنيا شرعاً وقانوناً. ثم وضعت كتاب «عقيدة المؤمن» على ضوء كتاب الله وسنة رسوله ﷺ من أجل إنهاء الفرقة في العقيدة وما طرأ عليها من إفراط وتفريط كاد يطفئ نورها، ويعطل إمدادها الروحي للمؤمن بالله ورسوله في هذه الحياة. وأخيراً فإني وأنا في روضة الحبيب ﷺ وهي روضة من رياض الجنة بالمسجد النبوي الشريف أدعو الله تعالى أن يجمع حكام المسلمين في هذه الروضة الطاهرة تحت راية لا إله إلا الله محمد رسول الله، أن يجمعهم في يوم من الأيام فيها ويبايعوا أصلحهم لإمامة المسلمين فتصبح أمة الإسلام أمة واحدة ديناً ودولة، ويعهدون إلى خلاصة علماء الشريعة أن يضعوا لهم دستوراً قرآنياً مُستسقى من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ تحكم به أمة الإسلام في سائر بلادها التي أصبحت ولايات تابعة لإمام المسلمين بالمدينة النبوية.

وختاماً، أدعو كل مؤمن ومؤمنة أن يسأل الله تعالى تحقيق هذا الأمل وهو وحدة المسلمين في دينهم ودنياهم ليعزوا ويكملوا وينقذ الله تعالى بهم البشرية الضائعة والمدفوعة إلى الشر والشرك والخبث والفساد لينتهي أمرها إلى الخلود في عذاب النار، كما هو حكم العزيز الجبار. ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [الشمس: ٩، ١٠].

سبحانك اللّهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك.

وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين

فهرس المحتويات